الروض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي
السهيلي

٥٠٨ – ٥٨١ هـ
١١١٤ – ١١٨٥ م

ومعـــه

السيرة النبوية

للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

قدم له وعلق عليه وضبطه

طه عبد الرءوف سعد

الجزء الثالث

يطلب من

مطبوعات
مكتبة ومطبعة
عباس عبد السلام شقرون
٢ شارع بيبرس بالحمزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة جديدة

مضبوطة ــ منقحة

روجعت على عدد من الطبعات القديمة

وعلى نسخة قدوة الأمراء وحجة

العلماء مولانا : عبد الحفيظ

سلطان المغرب الأقصى سابقا

مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة

٧ ــ عمر درويشان

أول شارع الجيش

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران . ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، فى الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم : العاقب ، أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذى لايصدرون إلا عن رأيه ، واسمه : عبد المسيح ، والسيد لهم : ثمالهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه :الأيهم ،وأبو حارثة ابن علقمة ، أحد بنى بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدراسهم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه فى دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم .

إسلام كوز بن علقمة : فلما رجعوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجها ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز بن علقمة ـ قال ابن هشام : ويقال : كرز ـ فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد : يريد : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ! فقال : ولم يا أخى ؟ قال : والله إنه للنبى الذى كنا ننتظر ، فقال له كوز : مايمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ماصنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا وموّلونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ماترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس : قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم . فكلما مات رئيس منهم ، فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمشى، فعثر، فقال له ابنه : تعس الأبعد ! يريد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له أبوه : لاتفعل ، فإنه نبى ، واسمه فى الوضائع ، يعنى . الكتب ، فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم فحسن إسلامه وحج ، وهو الذى يقول :

إليك تعدو قلقا وضينها ... معترضاً فى بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عروة : وزاد فيه أهل العراق :

معترضاً فى بطنها جنينها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلاتهم إلى جهة المشرق : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، جبب وأردية ، فى جمال رجال بنى الحارث بن كعب . قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ : مارأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلون ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوهم ، فصلوا إلى المشرق .

. . . .

أسماؤهم ومعتقدهم: قال ابن إسحاق: فكانت تسمية الأربعة عشر، الذين يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بنى بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنس، فى ستين راكبا؛ فكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والأيهم السيد - وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجون فى قولهم: « هو الله » بأنه كان يحيى الموتى، ويبرىء الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: « ولنجعله آية للناس ».

ويحتجون فى قولهم: « إنه ولد الله » بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم فى المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجون فى قولهم: « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم. ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن - فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما، فأسلما، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير؛ قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجبهما.

ما نزل فيهم من القرآن: فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، فقال جل وعز: « الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم ». فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إياها بالخلق والأمر، لاشريك له فيه، رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجا بقولهم عليهم فى صاحبهم، ليعرفهم بذلك ضلالتهم، فقال: « الم الله لا إله إلا هو » ليس معه غيره شريك فى أمره « الحى القيوم » الحى الذى لا يموت، وقد مات عيسى وصلب فى قولهم. والقيوم: القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول، وقد زال عيسى فى قولهم من مكانه الذى كان به، وذهب عنه إلى غيره. « نزل عليك الكتاب بالحق »، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه: « وأنزل التوراة والإنجيل »: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله: « وأنزل الفرقان »، أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام »، أى: إن الله منتقم ممن كفر بآياته، بعد علمه بها، ومعرفته بما جاء منه فيها: « إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء »، أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى، إذ جعلوه إلها وربا، وعندهم من علمه غير ذلك، غرة بالله، وكفراً به. « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » أى: قد كان عيسى ممن صور فى الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها، وقد كان بذلك المنزل؟! ثم قال تعالى إنزاها لنفسه، وتوحيداً لها مما جعلوا معه: « لا إله إلا هو العزيز الحكيم »،

العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم فى حجته وعذره إلى عباده . « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه « وأخر متشابهات » لهن تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ، ألا يصرفن إلى الباطل ، ولا يحرفن عن الحق . يقول عز وجل : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، أى : ميل عن الهدى « فيتبعون ما تشابه منه » ، أى ما تصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ماقالوا شبهة « ابتغاء الفتنة » ، أى : اللبس « وابتغاء تأويله » . ذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم : خلقنا وقضينا يقول : « وما يعلم تأويله » أى : الذى به أرادوا ما أرادوا « إلا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » كيف يختلف أوهو قول واحد ، من رب واحد ؟ ، ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضا ، فنفذت به الحجة ، وظهر به العذر ، وراح به الباطل ، ودمغ به الكفر . يقول الله تعالى فى مثل هذا : « وما يذكر » فى مثل هذا « إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » : أى لا تمل قلوبنا ، وإن ملنا بأحداثنا . « وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » . ثم قال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » بخلاف ما قالوا « قائما بالقسط » ، أى بالعدل فيما يريد « لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام » ، أى : ما أنت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسل . « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم » ، أى : الذى جاءك ، أى : أن الله الواحد الذى ليس له شريك . « بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله ، فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك » ، أى : بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق « فقل أسلمت وجهى لله » ، أى وحده . « ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » الذين لا كتاب لهم « أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

ما نزل من القرآن فيما ابتدعه اليهود والنصارى : ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » إلى قوله : « قل : اللهم مالك الملك » ، أى : رب العباد ، والملك الذى لا يقضى فيهم غيره « تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير » ، أى : لا إله غيرك « إنك على كل شىء قدير » أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك . « تولج الليل فى النهار، وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى » بتلك القدرة « وترزق من تشاء بغير حساب » لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت ، أى : فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقاً له فى نبوته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطانى وقدرتى ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وإخراج الحى من الميت ، وإخراج الميت من الحى ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبينة ! أن لو كان إلها كان ذلك كله إليه ، وهو فى علمهم يهرب من الملوك، وينتقل منهم فى البلاد ، من بلد إلى بلد .

ما نزل من القرآن فى وعظ المؤمنين وتحذيرهم : ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : « قل إن كنتم تحبون الله » ، أى : إن كان هذا من قولكم حقا ، حباً لله وتعظيما له « فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم » أى : ما مضى من كفركم « والله غفور رحيم . قل : أطيعوا الله والرسول » فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم « فإن تولوا » ، أى : على كفرهم « فإن الله لا يحب الكافرين ».

ما نزل فى خلق عيسى وخبر مريم وزكريا : ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام ، وكيف كان بدء ما أراد الله به ، فقال : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم » ثم ذكر أمر امرأة عمران ، وقولها : « رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، أى : نذرته فجعلته عتيقاً ، تعبده لله ، لا ينتفع به لشىء من الدنيا : « فتقبل منى ، إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت : رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى » أى : ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة « وإنى سميتها مريم ، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » . يقول الله تبارك وتعالى : « فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتاً حسنا ، وكفلها زكريا » بعد أبيها وأمها .

قال ابن هشام ، كفلها : ضمها .

قال ابن اسحاق : فذكرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به ، وما أعطاه ، اذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها « يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » يقول الله عز وجل : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم » أى : ما كنت معهم « إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » .

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قداحهم التى استهموا بها عليها ، فخرج قدح زكريا فضمها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى .

كفالة جريج لمريم قال ابن اسحاق : كفلها هاهنا جريج الراهب ، رجل من بنى اسرائيل نجار ، خرج السهم عليه فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابت بنى اسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها أيهم يكفلها ، فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها . « وما كنت لديهم إذ يختصمون » ، أى : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه .

ثم قال : « إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه : المسيح عيسى بن مريم » أى : هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه « وجيها فى الدنيا والآخرة » أى عند الله « ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره ، كتقلب بنى آدم فى أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته ، وتعريفا للعباد بمواقع قدرته . « قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء » ، أى يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر « إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن » مما يشاء وكيف شاء « فيكون » كما أراد .

ثم أخبرها بما يريد به ، فقال : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة » التى كانت فيهم من عهد موسى قبله « والإنجيل » ، كتابا آخر أحدثه الله عز وجل اليه لم يكن عندهم الا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده « ورسولا

إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » ، أى يحقق بها نبوتى ، أنى رسول منه اليكم « أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله» الذى بعثنى إليكم، وهو ربى وربكم «وأبرىء الأكمه والأبرص».

قال ابن هشام : الأكمه : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجاج :

هرجت فارتد ارتداد الأكمه

قال ابن هشام : هرجت : صحت بالأسد ، وجلبت عليه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

«وأحيى الموتى : بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم » أنى رسول الله من الله اليكم « إن كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدى من التوراة » ، أى لما سبقنى عنها « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراما فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته « وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم » ، أى تبريا من الذين يقولون فيه ، واحتجاجا لربه عليهم ، « فاعبدوه هذا صراط مستقيم » ، أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به . « فلما أحس عيسى منهم الكفر » والعدوان عليه « قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله » هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم « واشهد بأنا مسلمون » لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » ، أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام : ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ، ومطهرك من الذين كفروا » ، إذ هموا منك بما هموا « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » . ثم القصة حتى انتهى إلى قوله : « ذلك نتلوه عليك » يا محمد « من الآيات والذكر الحكيم » القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره . «إن مثل عيسى عند الله » فاستمع « كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك » ، أى ما جاءك من الخبر عن عيسى « فلا تكن من الممترين » ، أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه ، وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودما ، وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

قال ابن هشام : قال : أبو عبيدة : نبتهل : ندعو باللعنة قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لا تقعدن وقد أكلتها حطبا نعوذ من شرها يوما ونبتهل

وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلانا ، أى لعنه وعليه بهلة الله .
قال ابن هشام : ويقال : بهلة الله ، أى لعنة الله ، ونبتهل أيضاً : نجتهد ، فى الدعاء .

قال ابن إسحاق : « إن هذا » الذى جئت به من الخبر عن عيسى « لهو القصص الحق » من أمره « وما من إله

إلا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا ، فإن الله عليم بالمفسدين * قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبـــد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة .

إباؤهم الملاعنة : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فان كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادعوا الرجل . ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ، يا أبا القاسم : قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فانكم عندنا رضاً .

أبو عبيدة يتولى أمرهم : قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجرا ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .

نبذ من ذكر المنافقين

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ـ كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ـ وسيد أهلها عبد الله بن أبى بن سلول العوفى ثم أحد بنى الحبلى ، لا يختلف عليه فى شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين ، حتى جاء الإسلام ، غيره ، ومعه فى الأوس رجل ، هو فى قومه من الأوس شريف مطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة ، الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له : الراهب فشقيا بشرفهما وضرهما .

فأما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ، ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا . فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضغن .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثنى محمد بن أبى أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبى عامر : لا تقولوا الراهب ولكن قولوا : الفاسق .

. . . .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، وكان قد أدرك وسمع ، وكان راوية أن : أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ما هذا الدين الذى جئت به ؟ فقال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم ، قال : فأنا عليها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست عليها ، قال : بلى ، قال : إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها ، قال : ما فعلت ، ولكنى جئت بها بيضاء نقية ، قال : الكاذب أماته الله طريداً غريبا وحيداً ـ يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أى أنك جئت بها كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدو الله خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف . فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً .

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى ، فلما مات اختصما فى ميراثه إلى قيصر ، صاحب الروم . فقال قيصر : يرث أهل المدر أهل المدر ، ويرث أهل الوبر أهل الوبر ، فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة .

فقال كعب بن مالك لأبى عامر فيما صنع :

معاذ الله من عمل خبيث ... كسعيك فى العشيرة عبد عمرو

فإما قلت لى شرف ونخل ... فقــد ما بعت إيمانا بكفر

قال ابن هشام : ويروى :

فإما قلت لى شرف ومال

قال ابن إسحاق : وأما عبد الله بن أبى فأقام على شرفه فى قومه متردداً ، حتى غلبه الإسلام، فدخل فيه كارهاً ،

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة بن زيد بن حارثة ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه على حمار عليه إكاف ، فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف ، وأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه قال : فمر بعبد الله بن أبى ، وهو فى ظل مزاحم أطمه .

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأطم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجال من قومه ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم تذمم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ، وذكر بالله وحذر ، وبشر وأنذر قال: وهو زام لا يتكلم حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال . يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس فى بيتك فمن جاءك فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تغته به ، ولا تأته فى مجلسه بما يكره منه ، فقال عبد الله بن رواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى ، فاغشنا به ، وائتنا فى مجالسنا ودورنا وبيتنا ، فهو والله مما نحب ومما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله بن أبى حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل ... تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازى بغير جناحه ... وإن جذ يوما ريشه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثانى عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة ، قال : وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سعد بن عبادة ، وفى وجهه ما قال عدو الله ابن أبى ، فقال : والله يا رسول الله إنى لأرى فى وجهك شيئاً ، لكأنك سمعت شيئاً تكرهه ، قال : أجل ثم أخبره بما قال ابن أبى : فقال سعد : يا رسول الله ، أرفق به ، فو الله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه ، فو الله إنه ليرى أن قد سلبته ملكا .

ذكر من اعتل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة ، وعمرو بن عبد الله بن عروة ، عن عروة بن الزبير ؛ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم المدينة ، قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال موليا أبى بكر ، مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت له كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كل امرىء مصبح فى أهله — والموت أدنى من شراك نعله

قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه — إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه — كالثور يحمى جلده بروقه

يريد : بطاقته ؛ فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت : والله ما يدرى ما يقول ! قالت وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة — بفج وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة — وهل يبدون لى شامة وطفيل

قال ابن هشام : شامة وطفيل : جبلان بمكة .

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة

قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ماسمعت منهم ، فقلت : إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى . قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وبارك لنا فى مدها وصاعها وانقل وباءها إلى مهيعة ، ومهيعة : الجحفة .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبد الله بن عمرو بن العاصى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة ، حتى جهدوا مرضا ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود ، قال : فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم : يصلون كذلك ، فقال لهم اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم . قال : فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

بدء قتال المشركين : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه . قام فيما أمره الله به من جهاد عدوه ، وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين ، مشركى العرب ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

ذكر نصارى نجران وما انزل الله فيهم

قد تقدم أن نجران عرفت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أهلها فهم : بنو الحارث ابن كعب من مذحج .

كن فيكون : ذكر فيه قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم : من أبوه يا محمد ، يعنون عيسى فأنزل الله تعالى « إن مثل عيسى عند الله » إلى قوله : « كن فيكون » وفيها نكتة ، فإن ظاهر الكلام أن يقول : خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فكان ، فيعطف بلفظ الماضى على الماضى ، والجواب : أن الفاء تعطى التعقيب والتسبيب ، فلو قال : فكان لم تدل الفاء إلا على التسبيب ، وأن القول سبب للكون ، فلما جاء بلفظ الحال دل مع التسبيب على استعقاب الكون للأمر من غير مهل ، وأن الأمر بين الكاف والنون ، قال له : كن فإذا هو كائن ، واقتضى لفظ فعل الحال كونه فى الحال ، فإن قيل وهى مسألة أخرى : إن آدم مكث دهراً طويلا ، وهو طين صلصال ، وقوله للشىء : كن فيكون يقتضى التعقيب ، وقد خلق ، السموات والأرض فى ستة أيام ، وهى ستة آلاف سنة فأين قوله . كن فيكون من هذا ؟

فالجواب : ما قاله أهل العلم فى هذه المسألة ، وهو أن قول البارى سبحانه : كن يتوجه إلى المخلوق مطلقا ومقيداً ، فإذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه ، وإذا كان مقيداً بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذى تقيد الأمر به ، فإن قال له : كن فى ألف سنة ، كان فى ألف سنة ، وإن قال له : كن فيما دون اللحظة كان كذلك .

معنى آيات محكمات : فصل . وذكر صدر سورة آل عمران ، وفسر منه كثيراً ، فمنه قوله سبحانه : « منه آيات محكمات » وهو مالا يحتمل إلا تأويلا واحداً ، وهو عندى من أحكمت الفرس بحكمته ، أى : منعته من العدول عن طريقه كما قال حسان :

ونحكم بالقوافى من هجانا

أى : نلجمه فنمنعه ، وكذلك الآية المحكمة لاتتصرف بقارئها التأويلات ، ولا تتعارض عليه الاحتمالات ، وليس من لفظ الحكمة ، لأن القرآن كله حكمة وعلم . والمتشابه يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة ، وطرق متباينة ، وقوله سبحانه : « كتاب أحكمت آياته » هذا من الحكمة ومن الإحكام الذى هو الإتقان ، فالقرآن كله محكم على هذا ، وهو كله من هذا الوجه متشابه أيضاً ، لأن بعضه يشبه بعضا فى براعة اللفظ ، وإعجاز النظم ، وجزالة المعنى ، وبدائع الحكمة ، فكله متشابه وكله محكم ، وعلى المعنى الأول : « منه آيات محكمات »

. . . .

« وأخر متشابهات » فأهل الزيغ يعطفون المتشابه على أهوائهم ، ويجادلون به عن آرائهم ، والراسخون فى العلم يردون المتشابه إلى المحكم أخذاً بقول الله تعالى : « فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول » وعلماً بأن الكل من عند الله . فلا يخالف بعضه بعضاً . روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » قال : إذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم أولئك فاحذروهم : وللسلف فى معنى المحكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة ، إلا أن منهم من يرى الوقف على قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ويرونه تمام الكلام ، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقول الراسخون فى العلم ، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الراسخين فى العلم لا يعلمون التأويل ، وإن علموا التفسير . والتأويل عند هؤلاء غير التفسير ، إنما هو عندهم فى معنى قوله سبحانه : « يوم يأتى تأويله » وطائفة يرون أن قوله : والراسخون معطوف على ماقبله ، وإنهم عالمون بالتأويل ، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر ، والذى أرتضيه من ذلك مذهب ثالث ، وهو الذى قاله ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، ومعناه كله أن الكلام قد تم فى قوله : وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون فى العلم : مبتدأ . لكن لا نقول : إنهم لا يعلمون تأويله . كما قالت الطائفه الأولى ، ولكن نقول : إنهم يعلمونه برد المتشابه إلى المحكم ، وبالاستدلال على الخفى بالجلى ، وعلى المختلف فيه بالمتفق عليه ، فتنفذ بذلك الحجة ، ويزاح الباطل ، وتعظم درجة العالم عند الله تعالى ، لأنه يقول : آمنت به كل من عند ربى فكيف يختلف ؟ ! ولما كان العلمان مختلفين : علم الله ، وعلم الراسخين فى العلم لم يجز عطف : « الراسخون » على ما قبله ، فالله يعلم تأويله العلم القديم لا بتذكر ، ولا بتفكر ، ولا بتدقيق نظر ، ولا بفحص عن دليل ، فلا يعلم تأويله هكذا إلا الله . والراسخون فى العلم يعلمون تأويله بالفحص عن الدليل ، وبتدقيق النظر وتسديد العبر فهم كما قال الله تعالى : « وما يذكر إلا أولو الألباب » وهذا معنى كلام ابن إسحاق فى الآية .

احتجاج القسيسين والأحبار للتثليث : فصل : وذكر احتجاج الأحبار والقسيسين من أهل نجران بقوله عز وجل : خلقنا وأمرنا وأشباه ذلك ، وقالوا هذا يدل على أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم ، وهذا من الزيغ بالمتشابه ، دون رده إلى المحكم نحو قوله : « وإلهكم إله واحد » و : « قل هو الله أحد » والعجب من ضعف عقولهم : كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد ، وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه ، لأن هذا اللفظ الذى احتجوا به مجاز عربى ، وليس هو لفظ التوراة والإنجيل ، وأصل هذا المجاز فى العربية أن الكتاب إذا صدر عن حضرة ملك كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجمع دلالة على أنه كلام ملك متبوع على أمره ، وقوله ، فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم فى الكلام ، وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك ، وليس هذا فى غير اللسان العربى ، ولا يتطرق هذا المجاز فى حكم العقل إلى الكلام القديم ، إنما هو فى اللفظ المنزل ، ولذلك نجده إذا أخبر عن قول قاله لنبى قبلنا ، أو خاطب به غيرنا نحو قوله : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى » ولم يقل : خلقنا بأيدينا ، كما قال : بما عملته أيدينا ، وقال حكاية عن وحيه لموسى : « ولتصنع على عينى » ولم يقل : كما قال فى الآية الأخرى : « تجرى بأعيننا » لأنه أخبر عن قول قاله لم ينزله بهذا اللسان العربى ولم يحك لفظاً أنزله ، وإنما أخبر عن المعنى ، وليس المجاز فى المعنى ، وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا ، ولا ارحمونى ، ولا عليكم توكلت ، ولا إليكم أنبت ، ولا قالها نبى قط فى مناجاته ، ولا نبى فى دعائه لوجهين ، أحدهما : أنه واجب على العبد أن يشعر قلبه التوحيد ، حتى يشاكل لفظه عقده . الثانى : ما قدمناه من سير هذا المجاز ، وأن سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب فى هذا الأسلوب من كلامها ، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها ، ولا ننظر لقول من قال فى هذه المسألة ، وبذلك رجعوا ، يعنى : بلفظ الجمع ، واحتج بقوله سبحانه خبراً عمن

. . . .

حضره الموت من الكفار إذ يقول : رب ارجعون ، فيقال له : هذا خبر عمن حضرته الشياطين ، ألا ترى قبله : وأعوذ بك رب أن يحضرون ، فإنما جاء هذا حكاية عمن حضرته الشياطين ، وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلوقين ، فلذلك خلط ، فقال : رب ، ثم قال : ارجعون ، وإلا فأنت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ فى مخاطبة الرب سبحانه : هل قلت قط فى دعائك : ارحمون يا رب ، وارزقون ؟ ! بل لو سمعت غيرك يقولها اسطوت به ، وأما قول مالك وغيره من الفقهاء الأمر عندنا ، أو رأينا كذا ، أو نرى كذا ، فإنما ذلك ، لأنه قول لم ينفرد به ، ولو انفرد به لكان بدعة ، ولم يقصد به تعظيما لنفسه ، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة .

احتجاجهم لألوهية عيسى والرد عليهم : وأما احتجاج القسيسين بأنه كان يحيى الموتى ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم ، لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه ، وتبطل أيضاً مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله واستحال عنده أن يكون مخلوقا من غير أب ، فكان نفخه فى الطين ، فيكون طائر حيا : تنبيها لهم لو عقلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان بشراً حيا ، فنفخ الروح فى الطائر الذى خلقه عيسى من طين ليس بأعجب من ذلك ، الكل فعل الله ، وكذلك إحياؤه للموتى ، وكلامه فى المهد ، كل ذلك يدل على أنه مخلوق من نفخة روح القدس فى جيب أمه ، ولم يخلق من منى الرجال ، فكان معنى الروح فيه - عليه السلام - أقوى منه فى غيره ، فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه وبين روح الحياة ، ومن ذلك بقاؤه حيا إلى قرب الساعة . وروى عن أبى بن كعب أن الروح الذى تمثل لها بشراً هو الروح الذى حملت به ، وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها إلى جوفها . رواه الكشى بإسناد حسن يرفعه إلى أبى ، وخص بإبراء الأكمه والأبرص ، وفى تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مشاكلة لمعناه - عليه السلام - وذلك أن فرقة عميت بصائرهم ، فكذبوا نبوته ، وهم اليهود وطائفة غلوا فى تعظيمه بعد ما ابيضت قلوبهم بالإيمان ، ثم افسدوا إيمانهم بالغلو ، فمثلهم كمثل الأبرص أبيض بياضا فاسداً ، ومثل الآخرين مثل الأكمه الأعمى ، وقد أعطاه الله من الدلائل على الفريقين ما يبطل المقالتين ، ودلائل الحدوث تثبت له العبودية ، وتنفى عن أمه الريبة وتثبت له ولها النبوة والصديقية ، فكان فى مسيح الهدى من الآيات ما يشاكل حاله ، ومعناه حكمة من الله ، كما جعل فى الصورة الظاهرة من مسيح الضلالة ، وهو الأعور الدجال ما يشاكل حاله ، ويناسب صورته الباطنية ، على نحو ما شرحنا وبينا فى إملاء أمليناه على هذه النكتة فى غير هذا الكتاب والحمد لله .

رب إنى وضعتها أنثى : فصل : وذكر فى تفسير ما نزل فيهم قول حنة أم مريم ، وهى بنت ماثان « رب إنى وضعتها انثى » قال بعض أهل التأويل : أشارت إلى معنى الحيض أن الانثى تحيض ، فلا تخدم المسجد ، ولذلك قال : « وليس الذكر كالانثى » لأن الذكر لا يحيض ، فهو أبداً فى خدمة المسجد ، وهذه إشارة حسنة . فإن قيل : كان القياس فى الكلام أن يقال : وليس الانثى كالذكر ، لأنها دونه ، فما باله بدأ بالذكر ؟ والجواب : أن الانثى إنما هى دون الذكر فى نظر العبد لنفسه ، لأنه يهوى ذكران البنين ، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقرب إلى فتنة العبد . ونظر الرب للعبد خير من نظره لنفسه ، فليس الذكر كالانثى على هذا ، بل الانثى أفضل فى الموهبة ، ألا تراه يقول سبحانه : « يهب لمن يشاء إناثاً » فبدأ بذكرهن قبل الذكور ، وفى الحديث : ابدءوا بالإناث ، يعنى : فى الرحمة وإدخال السرور على البنين ، وفى الحديث أيضاً « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » فترتب الكلام فى التنزيل على حسب الأفضل فى نظر الله للعبد ، والله أعلم بما أراد .

. . . .

المباهلة : فصل : وذكر دعاءه عليه السلام أهل نجران إلى المباهلة ، وأنهم رضوا ببذل الجزية والصغار ، وأن لا يلاعنوه ، وكذلك روى أن بعضهم قال لبعض : إن لاعنتموه ، ودعوتم باللعنة على الكاذب اضطرم الوادى عليكم ناراً ، وفى تفسير الكشى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تدلى إليهم العذاب ، والذى نفسى بيده لو باهلونى لاستؤصلوا من على جديد الأرض .

نكتة : فى قوله : « ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم » بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس . والجواب : أن أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم ، أى ليدع بعضنا بعضاً ، وهذا نحو قوله : فسلموا على أنفسكم فى أحد القولين ، أى : يسلم بعضكم على بعض ، فبدأ بذكر الأولاد الذين هم فلذ الأكباد ثم بالنساء التى جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة ، ثم من وراءهم من دعاء بعضهم بعضاً ، لأن الإنسان لا يدعو نفسه ، وانتظم الكلام على الأسلوب المعتاد فى إعجاز القرآن . وفى حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام ، منها أن راهب نجران حين رجع الوفد وأخبروه الخبر رحل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع منه وأهدى إليه القضيب والقعب والبرد ، الذى هو الآن عند خلفاء بنى العباس يتوارثونه .

ابن أبى : فصل : وذكر قصة عبد الله بن أبى بن سلول ، وسلول : هى أم أبى ، وهى خزاعية ، وهو أبى ابن مالك من بنى الحبلى ، واسم الحبلى : سالم والنسب إليه : حبلى بضمتين، كرهوا أن يقولوا : حبلوى أو حبلى أو حبلاوى على قياس النسب ، لأن حبلى وسكرى ونحوهما إذا كانا اسما لرجل ، لم يجر فى الجمع على حكم التأنيث ، وكذلك فعلاء بالمد تقول فى جمع رجل اسمه : سلمى أو ورقاء الورقاوون والسلمون ، وهذا بخلاف تاء التأنيث ، فإنك تقول فى طلحة اسم رجل طلحات ، كما كنت تقول فى غير العلمية ، لأن التاء لا تكون إلا للتأنيث ، والألف تكون للتأنيث وغيره ، فلما كانت ألف التأنيث بخلاف تاء التأنيث فى الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفاً للنسب إلى ما فيه ألف التأنيث فى غير الأعلام، غير أن هذا فى باب النسب لا يطرد وإن اطرد الجمع ، كما قدمنا، وكانت النكتة التى خص بها النسب فى بنى الحبلى بمخالفة القياس كراهيتهم لحكم التأنيث فيه لأن الحبلى وصف للمرأة بالحبل ، فليس كراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فيمن اسمه سلمى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فيمن اسمه حبلى ، فلذلك غيروا النسب ، حتى كأنهم نسبوا إلى حبل والله أعلم .

وأما سلول فى خزاعة ، وقد تقدم عند ذكر حبشية بن سلول فاسم رجل مصروف ، وأما بنو سلول بن صعصعة إخوة بنى عامر فهم: بنو مرة بن صعصعة. وسلول: أمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان ، فجميع ما وقع لابن إسحاق فى السير من سلول : ثلاثة : واحد اسم رجل مصروف ، وثنتيان غير مصروفتين ، وهما اللتان ذكرنا .

الملك فى العرب : وذكر أن الأنصار كانوا قد نظموا الخرز لعبد الله بن أبى ليتوجوه ويملكوه عليهم ، وذلك أن الأنصار يمن ، وقد كانت الملوك المتوجون من اليمن فى آل قحطان ، وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولم يتوج من العرب إلا قحطانى كذلك قال أبو عبيدة ، فقيل له : قد تتوج هوذة ابن على الحنفى صاحب اليمامة ، وقال فيه الأعشى :

من يرى هوذة يسجد غير متئب   إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

وفى الخرزات التى بمعنى التاج يقول الشاعر :

رعى خرزات الملك عشرين حجة   وعشرين حتى فاد والشيب شامل

. . . .

وقال أبو عبيــدة : لم يكن تاجا ؛ وإنما كانت خرزات تنظم ؛ وكان سبب تتوج هوذة أنه أجار لطيمة لكسرى منعها ممن أرادها من العرب ، فلما وفد عليه توجه لذلك وملكه .

مزاحم أطمه : فصل : وذكر فى حديث عبد الله بن أبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به ، وهو فى ظل مزاحم أطمه ، وآطام المدينة : سطوح ، ولها أسماء ؛ فمنها مزاحم ومنها الزوراء أطم بنى الجلاح ، ومنها معرض أطم بنى ساعدة ، ومنها: فارع أطم بنى حديلة، ومنها مسعط ، ومنها: واقم، وفى معرض يقول الشاعر:

ونحن دفعنا عن بضاعة كلها ونحن بنينا معرضا فهو مشرف
فأصبح معموراً طويلا قذاله وتخرب آطام بها وتقصف

وبضاعة أرض بنى ساعدة ، وإليها تنسب بئر بنى بضاعة . والأجش وكان بقباء والجميم والنواحان ، وهما أطمان لبنى أنيف وصرار وكان بالجوانية والريان والشبعان وهو فى ثمع . وراتج والأبيض ، ومنها عاصم والرعل وكان لحضير بن سماك ، ومنها خيط وواسط ، والأغلب ومنيع ، فهذه آطام المدينة ذكر أكثرها الزبير والأطم : اسم مأخوذ من ائتطم : اذا ارتفع وعلا ، يقال : ائتطم على فلان اذا غضب وانتفخ ، والأطمات : نيران معروفة فى جبال لا تخمد فيها ، تأخذ بأعنان السماء ، فهى أبداً باقية ، لانها فى معادن الكبريت ، وقد ذكر المسعودى منها جملة ، وذكر مواضعها ، وقول عبد الله بن أبى :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل ويصرعك الذين تصارع

يقال : إن ابن أبى تمثل بهما ، ويقال : إنهما لخفاف بن ندبة وخفاف هو : ابن عمرو بن الشريد أحد غربان العرب ، وأمة . ندبة ، ويقال فيها : ندبة ، وندبة ، [بفتح النون وضمها] وهو سلمى .

وذكر فى حديث عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على سعد بن عبادة يعوده ، وفى رواية يونس زيادة ، فيها فقه قال : كان سعد قد دعاه رجل من الليل فخرج إليه فضربه الرجل بسيف فأشواه ، فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده من تلك الضربة ، ولامه على خروجه ليلا ، وهذا هو موضع الفقه .

وعك أبى بكر وبلال وعامر بن فهيرة : فصل : وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر ، وبلال وعامر ابن فهيرة ، وما أجابوها به من الرجز فيذكر أن قول عامر :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه

إنه لعمرو بن مامة ، وفى هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم إلى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه ، وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى ، ويقال فيه : الهدلى أنه قدم من مكة ، فسألته عائشة ، كيف تركت مكة يا أصيل ؟ فقال : تركتها حين ابيضت أباطحها ، وأحجن ثمامها ، وأعذق إذخرها ، وأمشر سلمها ، فاغرورقت عينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : لا تشوقنا يا أصيل ، ويروى أنه قال له . دع القلوب تقر وقد قال الأول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد الخزامى حيث ربتنى أهلي
بلاد بها نيطت على تمائمي وقطعن عنى حين أدركنى عقلي

. . . .

وأما قول بلال :

بفج وحولى إذخر وجليل

ففج موضع خارج مكة به مويه يقول الشاعر :

ما بفج من الإشراق والطيب ومن جوار نقيات رعابيب

وبفج اغتسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو محرم ، والإذخر من نبات مكة . قال أحمد بن داود وهو أبو حنيفة الدينورى صاحب كتاب النبات : الإذخر فيما حكى عن الأعراب الأول له أصل مندفق وقضبان دقاق، وهو ذفر الريح . وهو مثل الأصل ، أصل الكولان إلا أنه أعرض كعوبا ، وله ثمرة كأنها مكاسح القصب إلا أنها أرق وأصغر . قال أبو زياد ، الأذخر يشبه فى نباته بنبات الأسل الذى تعمل منه الحصر ، ويشبه نباته الغرز ، ضرب من الثمام ، واحدته : غرزة ، ويتخذ من الغرز الغرابيل والأذخر أرق منه ، والأذخر يطحن فيدخل فى الطيب ، وقال أبو عمرو : وهو من الجنبة ، وقلما تنبت الأذخرة منفردة ، وقال فى الجليل عن أبى نصر : إن أهل الحجاز يسمون الثمام الجليل ، ومعنى الجنبة التى ذكر أبو عمرو : وهو كل نبات له أصول ثابتة ، لا تذهب بذهاب فرعه فى الغيظ ، وتلقح فى الخريف ، وليست كالشجر الذى يبقى أصله وفرعه فى الغيظ ، ولا كالنجم الذى يذهب فرعه وأصله ، فلا يعود إلا زريعته جانب النجم والشجر ، فسمى جنبة ، ويقال للجنبة أيضـــاً : الطريفة ، قاله أبو حنيفة . ومجنة سوق من أسواق العرب بين عكاظ وذى المجاز ، وكلها ، أسواق قد تقدم ذكرها . ومجنة يجوز أن تكون مفعلة ، فقد قال سيبويه : فى المجن إن ميمه أصلية ، وأنه فعل ، وخالفه فى ذلك الناس وجعلوه مفعلا ، من جن إذا ستر ، ومن أسواقهم أيضاً حباشة ، وهى أبعد من هذه ، وأما شامة وطفيل ، فقال الخطابى فى كتاب الأعلام فى شرح البخارى : كنت أحسبهما جبلين ، حتى مررت بهما ، ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء ، ويقوى قول الخطابى إنهما عينان قول كثير :

وما أنس م الأشياء لا أنس موقفاً لنا ، ولها بالخبت خبت طفيل

والخبت : منخفض الأرض .

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، وبارك لنا فى مدها وصاعها يعنى الطعام الذى يكال بالصاع . ولذلك قال فى حديث آخر : « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » ، وشكا إليه قوم سرعة فناء طعامهم ، فقال : أتهيلون أم تكيلون ، فقالوا : بل نهيل ، فقال : كيلوا ولا تهيلوا ومن رواه : قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه ، فمعناه عندهم : تصغير الأرغفة ، وهكذا رواه البزار من طريق أبى الدرداء ، وذكر فى تفسيره ما قلناه ، وذكر أبو عبيد : المد فى كتاب الأموال ، أعنى مد المدينة فقال : هو رطل وثلث ، والرطل : مائة وثمانية وعشرون درهما ، والدرهم خمسون حبة وخمسان .

وقوله صلى الله عليه وسلم ، وانقل حماها : واجعلها بمهيعة ، وهى الجحفة ، كأنه عليه السلام لم يرد إبعاد الحمى عن جميع أرض الإسلام ، ولو أراد ذلك لقال : انقل حماها ، ولم يخص موضعاً ، أو كان يخص بلاد الكفر ، وذلك ـ والله أعلم ـ لأنه قد نهى عن سب الحمى ولعنها فى حديث أم المسيب وأخبر أنها طهور ، وأنها حظ كل مؤمن من النار ، فجمع بين الرفق بأصحابه ، فدعا لهم بالشفاء منها ، وبين أن لا يحرموا أيضا الأجر فيما يصيبوا منها ، فلم يبعدها كل البعد .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام ، : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين ، حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتدل ، لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، وهو التاريخ ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوالا ، وذا القعدة وذا الحجة ـ وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرم ، ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة .

وأما مهيعة ، فقد اشتد الوباء فيها بسبب هذه الدعوة ، حتى قيل : إن الطائر يمر بغدير خم فيسقم ، وغدير خم فيها ، ويقال : إنها ، ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم ، وهى أرض نجعة لا تسكن ، ولا يقال فيها إقامة دائمة فيما بلغنى والله أعلم .

وذكر تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفى غير هذه الرواية عن ابن إسحاق عن شرحبيل بن سعد ، قال : كنت أصطاد فى حرم المدينة بالوقاقيص ، وهى شباك الطير ، فاصطدت نهساً ، فأخذه زيد بن ثابت ، وصك فى قفاى ، ثم أرسله .

وذكر حديث عبد الله بن عمرو ، وقوله عليه السلام : صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم حين رآهم يصلون قعوداً من الوعك، قال فتجشم الناس القيام على ما بهم من السقم: وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوى ما تأوله الخطابى :إنما ذلك للضعيف الذى يستطيع القيام بكلفة ، وإن كان عاجزا عن القيام البتة، فصلاته مثل صلاة القائم، وهذا كله فى الفريضة ، والنافلة، وخالف أبو عبيد فى تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة فى حال الصحة ،واحتج الخطابى بحديث عمران بن حصين ، وفيه : وصلاته قائما على النصف من صلاته قاعدا ، قال : وقد أجمعت الأمة أن لا يصلى أحد مضطجعاً الا من مرض ، فدل على أنه لم يرد بهذا الحديث كله الا المريض الذى يقدر على القيام بكلفة، أو على القعود بمشقة ، ونسب بعض الناس النسوى الى التصحيف فى هذا الحديث ، وقالوا انما هو وصلاته نائماً على النصف من صلاته قاعداً ، فتوهمه النسوى قائما : أى مضطجعا ، فترجم عليه فى كتابه : باب صلاة النائم ، وليس كما قالوا ، فان الرواية الثانية : وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد ، ومثل هذا لا يتصحف ، وقول الخطابى : أجمعت الأمة على أن المضطجع لا يصلى فى حال الصحة نافلة ولا غيرها ، وافقه أبو عمر على ادعاء الإجماع فى هذه المسألة ، وليست بمسألة اجماع كما زعما ، بل كان من السلف من يجيز للصحيح أن يتنفل مضطجعا ، منهم الحسن البصرى ، ذكر ذلك أبو عيسى الترمذى فى مصنفه .

غزوة ودان

وهى أول غزواته عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودان، وهى غزوة الأبواء، يريد قريشا وبنى ضمرة، بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذى وادعه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضمرى، وكان سيدهم فى زمانه ذلك. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية صفر، وصدرا من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام: وهى أول غزوة غزاها.

سرية عبيدة بن الحارث

وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف بن قصى فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنية المرة، فلقى بها جمعا عظيما من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به فى الإسلام.

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمر البهرانى، حليف بنى زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى، حليف بنى نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل.

قال ابن هشام: حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء عن أبى عمرو المدنى: أنه كان عليهم مكرز بن حفص بن الأخيف، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فى غزوة عبيدة بن الحارث ـ قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر رضى الله عنه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... أرقت وأمر فى العشيرة حادث
ترى من لؤى فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا ... عليه وقالوا: لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا ... وهروا هرير المجحرات اللواهث
فكم قد متتنا فيهم بقرابة ... وترك التقى شىء لهم غير كارث
فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن أناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها فى الفروع الاثائث
فأولى برب الراقصات عشية ... حراجيج تخدى فى السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف ... يردن حياض البئر ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم ... ولست إذا آليت قولا بحانث

تبتدرنهم غارة ذات مصدق ... تحرم أطهار النساء الطوامث
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ... ولا ترأف الكفار رأف بن حارث
فأبلغ بنى سهم لديك رسالة ... وكل كفور يبتغى الشر باحث
فإن تشعثوا عرضى على سوء رأيكم ... فإنى من أعراضكم غير شاعث

فأجابه عبد الله بن الزبعرى السهمى فقال :

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث ... بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الأيام والدهر كله ... له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذى عرام يقوده ... عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكة عكفا ... مواريث موروث كريم لوارث
فلما لقيناهم بسمر ردينة ... وجرد عتاق فى العجاج لواهث
وبيض كأن الملح فوق متونها ... بأيدى كماة كالليوث العوائث
نقيم بها إصعار من كان مائلا ... ونشفى الذحول عاجلا غير لابث
فكفوا على خوف شديد وهيبة ... وأعجبهم أمر لهم أمر رائث
ولو أنهم لم يفعلوا ناح نسوة ... أيامى لهم، من بين نسء وطامث
وقد غودرت قتلى يخبر عنهم ... حفى بهم أو غافل غير باحث
فأبلغ أبا بكر لديك رسالة ... فما أنت عن أعراض فهر بماكث
ولما تجب منى يمين غليظة ... تجدد حربا حلفة غير حانث

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى .

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسول الله أنى ... حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها أوائلهم ذياداً ... بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام فى عدو ... بسهم يارسول الله قبلى
وذلك أن دينك دين صدق ... وذو حق أتيت به وعدل
ينجى المؤمنون به ، ويجزى ... به الكفار عند مقام مهل
فمهلا قد غويت فلا تعبنى ... غوى الحى ويحك يابن جهل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة بن الحارث - فيما بلغنى - أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء ، قبل أن يصل إلى المدينة .

. . . .

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث فى مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البحر ، من ناحية العيص ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاث مائة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى . وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقا ، فالله أعلم أى ذلك كان . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا . فعبيدة بن الحارث أول من عقد له . فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه :

ألا يا لقومى للتحلم والجهل ... وللنقص من رأى الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرمات من سوام ولا أهل
كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا ... لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر بإسلام فلا يقبلونه ... وينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارة ... لهم حيث حلوا أبتغى راحة الفضل
بأمر رسول الله ، أول خافق ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلى
لواء لديه النصر من ذى كرامة ... إله عزيز فعله أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا ... مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
فقلنا لهم : حبل الإله نصيرنا ... وما لكم إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا ... فخاب ورد الله كيد أبى جهل
وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا ... وهم مئتان بعد واحدة فضل
فيا للؤى لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإنى أخاف أن يصب عليكم ... عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل ... وللشاغبين بالخلاف وبالبطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا ... عليه ذوى الأحساب والسودد الجزل
أتونا بإفك كى يضلوا عقولنا ... وليس مضلا إفكهم عقل ذى عقل
فقلنا لهم : يا قومنا لا تخالفوا ... على قومكم إن الخلاف مدى الجهل
فإنكم إن تفعلوا تدع نسوة ... لهن بواك بالرزية والثكل

وإن ترجعوا عما فعلتم فإننا بنو عمكم أهل الحفائظ والفضل
فقالوا لنا : إنا وجدنا محمداً رضا لذوى الأحلام منا وذى العقل
فلما أبوا إلا الخلاف وزينوا جماع الأمور بالقبيح من الفعل
تيممتهم بالساحلين بغارة لأتركهم كالعصف ليس بذى أصل
فورعنى مجدى عنهم وصحبتى وقد وازرونى بالسيوف وبالنبل
لإل علينا واجب لا نضيعه أمين قواه غـــير منتكث الحبل
فلولا ابن عمرو كنت غادرت منهم ملاحم للطير العكوف بلا تبل
ولكنه آلى بإل فقلصت بأيماننا حد السيوف عن القتل
فإن تبقنى الأيام أرجع عليهم ببيض رقاق الحد محدثة الصقل
بأيدى حماة من لؤى بن غالب كرام المساعى فى الجدوبة والمحل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بواط

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط ، من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى .

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشا ، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر ، يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها . فثم مسجده صلى الله عليه وسلم ، وصنع له عندها طعام ، فأكل منه ، وأكل الناس معه ، فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك ، واستقى له من ماء به ، يقال له : المشترب ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبة يقال لها : شعبة عبد الله ، وذلك اسمها اليوم ، ثم صب لليسار حتى هبط بليل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، واستقى من بئر بالضبوعة ، ثم سلك الفرش : فرش ملل ، حتى لقى الطريق بصحيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق ، حتى نزل العشيرة من بطن ينبع . فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن محمد بن خيثم المحاربى ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن محمد بن خيثم أبى يزيد ، عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل ، فقال لى على بن أبى طالب :

. . . .

ياأبا اليقظان ، هل لك فى أن تأتى هؤلاء القوم ، فتنظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ، قال : فجئناهم ، فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم . فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا فى صور من النخل ، وفى دقعاء من التراب فنمنا ، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله . وقد تتربنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : مالك ياأبا تراب ؟ لما يرى عليه من التراب ، ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك ياعلى على هذه — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منها هذه . وأخذ بلحيته .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمى عليا أبا تراب أنه كان إذا عتب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ، ولم يقل لها شيئا تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟ فالله أعلم أى ذلك كان .

سرية سعد بن أبى وقاص

ذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب

قال ابن إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبى وقاص ، فى ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة .

غزوة سفوان

وهى غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لاتبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ وادياً ، يقال له : سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر ، فلم يدركه ، وهى غزوة بدر الأولى . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقيــة جمادى الآخرة ورجبا وشعبان .

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : « يسئلونك عن الشهر الحرام »

وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى فى رجب ، مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضى لما أمره به ، لا يستكره من أصحابه أحداً .

. . . .

وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين . ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس ، ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش ، وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، أحد بنى أسد بن خزيمة ، حليف لهم . ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زهرة بن كلاب : سعد بن أبى وقاص . ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ، أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البكير ، أحد بنى سعد بن ليث ، حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً ، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم . فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد .

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن ، فوق الفرع ، يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص ، وعتبة ابن غزوان بعيراً لهما . كانا يتعقبانه . فتخلفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمى .

قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبد الله بن عباد ، ويقال : مالك بن عباد أحد الصدف ، واسم الصدف : عمرو بن مالك ، أحد السكون بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندى .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عمار ، لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم ـ فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام . فوقف العير والأسيرين . وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم ،

وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ، ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود ـ تفاءل بذلك على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمى ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله » أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم « والفتنة أشد من القتل » : أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » : أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا ـ يعنى سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان ـ فانا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يا رسول الله : أنطمع ، أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيهم . « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم » ، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث فى هذا عن الزهرى ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن الله عز وجل قسم الفىء حين احله ، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمساً إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع فى تلك العير .

قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمى أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

قال ابن إسحاق : فقال أبو أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عبد الله بن جحش ، ويقال : بل عبد الله ابن جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال ـ قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتلة ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القد عاند

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

تاريخ الهجرة وغزوة ودان

ذكر قدوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة يوم الإثنين فى شهر ربيع ، وقد قدمنا فى باب الهجرة ما قاله ابن الكلبى وغيره فى ذلك ، وفى أى شهر كان قدومه من شهور العجم .

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجمادين ، وكان القياس أن يقول : وشهرى جمادى ، أو يقول : وبقية ربيع وربيعاً الآخر ، كما قال فى سائر الشهور ، ولكن الشهر إذا سميته بالاسم العلم ، لم يكن ظرفاً ، وكانت الإقامة أو العمل فيه كله إلا أن تقول شهر كذا ، كما تقدم من كلامنا على شهر رمضان فى حديث المبعث ، وكذلك قال سيبويه ، فقول ابن إسحاق : جمادين ورجباً مستقيم على هذا الأصل .

وقوله : بقية شهر ربيع ، فلأن العمل والإقامة كان فى بعضه ، فلذلك لم يقل : بقية ربيع الأول ، لكنه قال : وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويشاكل ما قبله ، وهذا كله من فصاحته رحمه الله أو فصاحة من كان قبله إن كان رواه على اللفظ .

وقوله : وجمادين ورجباً . كان القياس أن يقول : والجمادين بالألف واللام ، لأنه اسم علم ، ولا يثنى العلم ، فيكون معرفة إلا أن تدخل عليه الألف واللام ، فتقول : الزيدان والعمران ، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أبانين وقنوين ، وكل واحد من هذين اسم لجبلين ، ولا تدخله الألف واللام ، لأن تعريفه لم يزل بالتثنية ، لأنهما أبداً متلازمان ، فالتثنية لازمة لها مع العلمية بخلاف الآدميين ، ولما كان جماديان شهرين متكارهين جعلهما فى الزمان كأبانين فى المكان ، ولم يجعلهما كالزيدين والعمرين اللذين لا تلازم بينهما ، وهذا كلام العرب . قال الحطيئة :

باتت له بكثيب جربة ليلة ... وطفاء بين جمادين درور

فإن قلت : فقد قالوا : السماكين فى النجوم ، وهما متلازمان ، وكذلك السرطان ، قلنا : إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما ، وهو عنده من باب الحارث ، والعباس فى الآدميين ، وأكشف سر العلمية فى الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية ، والمراد بها فى موضع غير هذا ، وإنما أعجبتنى فصاحة ابن إسحاق فى قوله : بقية شهر كذا وشهر كذا وجمادين ورجباً وشعبان وتنزل الألفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها ، يرحمه الله .

غزوة عبيدة بن الحارث: وذكر فى غزوة عبيدة ولقائه المشركين: وعلى المشركين مكرز بن حفص بن الأخيف،

. . . .

هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم . وذكر ابن ماكولا فى المؤتلف والمختلف عن أبى عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مكرز بفتح الميم ، وكأنه مفعل أو مفعل من الكريز ، وهو الأقط وكذلك ذكر هو وغيره فى الأخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء ، وكان ابن ماكولا وحده يقول فى الأخيف من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، وهو جد الخشخاش التميمى : أخيف بضم الهمزة وفتح الخاء ، وقال الدارقطنى : أخيف كما قالوا فى الأول .

شرح قصيدة أبى بكر وقصيدة ابن الزبعرى وأبى جهل : فصل. وذكر ابن إسحاق القصيد: التى تعزى إلى أبى بكر ، ونقيضتها لابن الزبعرى ، والزبعرى فى اللغة السيء الخلق ، يقال : رجل زبعرى ، وامرأة زبعراة ، والزبعرى أيضاً البعير الأزب الكثيرشعر الأذنين مع قصر ، قاله الزبير. وفى هذا الشعر أو الذى بعده ذكر الدبة وهو الكثيب من الرمل، وأما الدبة بضم الدال فإنه يقال: جرى فلان على دبة فلان أى على سنته وطريقته ، والدبة أيضاً ظرف الزيت ، قال الراجز :

ليلة بالعنف عفاص الدبة

والدبة بكسر الدال هيئة الدبيب ، وليس فيها ما يشكل معناه .

وقوله :

تحدى فى السريح الرثائث

السريح : شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل ، يريد : أن هذه الإبل الحراجيج ، وهى الطوال تحدى أى : تسرع فى سريح قد رث من طول السير . قال :

دوامى الأيد يخبطن السريحا

وذكر العثاعث ، واحدها : عثعث، وهو من أكرم منابت العشب، قاله أبو حنيفة ، وفى العين : العثعث ظهر الكثيب الذى لا نبات فيه .

وذكر ابن هشام أن قوما من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكون هذه القصيدة لأبى بكر ، ويشهد لصحة من أنكر أن تكون له ماروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت « كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام » رواه محمد البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق . وقول ابن الزبعرى: بين نسء وطامث ، والنسء : حمل المرأة فى أوله ، والطامث معروف يقال نسئت المرأة إذا تأخر حيضها من أجل الحمل . من كتاب العين

وقول أبى بكر : رأب ابن حارث . يعنى : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

بعض الأسماء الممنوعة من التنوين : وقول أبى جهل :

وورعنى مجدى عنهم وصحبتى

ترك صرف مجدى ، لأنه علم ، وترك التنوين فى المعارف كلها أصل لاينون مضمر ولامبهم ، ولامافيه الألف واللام ولامضاف ، وكذلك كان القياس فى العلم ، فإذا لم ينون فى الشعر فهو الأصل فيه ، لأن دخول التنوين فى الأسماء إنما هو علامه لانفصالها عن الإضافة ، فما لايضاف لايحتاج إلى تنوين ، وقد كشفنا سر التنوين وامتناع التنوين والخفض مما لاينصرف فى مسئلة أفردناها فى هذا الباب ، وأتينا فيها بالعجب العجاب، والشواهد على حذف

. . . .

التنوين فى الشعر من الاسم العلم كثيرة جداً ، فتأمله فى أشعار السير والمغازى تجدها ، وغرضنا فى شرح هذه الأشعار الواردة فى كتاب السيرة أن نشرح منها ما استغلق لفظه جدا ، أو غمض إعرابه على شرطنا فى أول الكتاب .

كراهة رواية أشعار الكفرة : لكنى لاأعرض لشىء من أشعار الكفرة التى نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزبعرى ، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحاق فى إدخاله الشعر الذى نيل فيه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن الناس من اعتذر عنه . قال حكاية الكفر ليس بكفر والشعر كلام ، ولا فرق أن يروى كلام الكفرة ومحاجتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وردهم عليه منثوراً وبين أن يروى منظوما ، وقـــد حكى ربنا سبحانه فى كتابه العزيز مقالات الأمم لأنبيائها ، وماطعنوا به عليهم ، فما ذكر من هذا على جهة الحكاية نظماً أو نثراً فإنما يقصد به الاعتبار بما مضى ، وتذكر نعمة الله تعالى على الهدى والإنقاذ من العمى وقد قال عليه السلام : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً ، وتأولته عائشة رضى الله عنها فى الأشعار التى هجى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنكرت قول من حمله على العموم فى جميع الشعر ، وإذا قلنا بما روى عن عائشة فى ذلك ، فليس فى الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه . وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية، أو الاستشهاد على اللغة ، فلم يدخل فى النهى ، وقدرد أبو عبيد على من تأول الحديث فى الشعر الذى هجى به الإسلام ، وقال : رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرام ، فكيف يخص امتلاء الجوف منه بالذم ، وعائشة أعلم ، فإن البيت والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذى ذموا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لافرق . وقول عائشة الذى قدمناه ذكره بن وهب فى جامعه ، وعلى القول بالإباحة ، فإن النفس تقذر تلك الأشعار وتبغضها وقائليها فى الله ، فالإعراض عنها خير من الخوض فيها والتتبع لمعانيها .

غزوة بواط : وبواط جبلان فرعان لأصل ، وأحدهما : جلسى ، والآخر غورى ، وفى الجلسى بنو دينار ينسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مروان .

ذكر فيه استخلاف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المدينة السائب بن مظعون ، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، شهد بدراً فى قول ابن إسحاق ، ولم يذكره موسى بن عقبة فى البدريين ، وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخى هذا ، فشهد بدراً فى قول جميعهم إلا ابن الكلبى ، وقتل يوم اليمامة شهيدا .

غزوة العشيرة : يقال فيها : العشيرة والعشيراء وبالسين المهمـــلة أيضاً العسيرة والعسيراء ، أخبرنى بذلك الإمام الحافظ أبو بكر رحمه الله ، وفى البخارى : أن قتادة سئل عنها فقال : العشير ، ومعنى العسيرة والعسيراء أنه اسم مصغر من العسراء والعسرى ، وإذا صغر تصغير الترخيم قيل : عسيرة ، وهى بقلة تكون أذنة أى عصيفة ، ثم تكون سحاء ، ثم يقال لها العسرى . قال الشاعر :

وما منعناها الماء إلا ضنانة ‏ ‏ ‏ بأطراف عسرى شوكها قد تخددا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث : لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ، وأما العشيرة بالشين المنقوطة ، فواحدة العشر مصغرة .

. . . .

وذكر فيها الضبوعة ، وهو : اسم موضع ، وهو فعولة من ضبعت الإبل : إذا أمرت أضباعها فى السير وفى الضبوعة نزل عند شجرة ، يقال لها : ذات الساق ، وابتنى ثم مسجداً ، واستسقى من ماء هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء فى روايه البكائى وغيره عن ابن إسحاق .

وذكر فيه مللا ، وهو اسم موضع يقال : إنما سمى مللا؛ لأن الماشى إليه من المدينة لايبلغه إلا بعدجهدوملل وهو على عشرين ميلا من المدينة أو أكثر قليلا وذكر الحلائق وهى آبار معلومة .

ورواها غير أبى الوليد الخلائق بخاء منقوطة ، وفسرها بعضهم : جمع خليقة وهى البئر التى لاماء فيهاوأكثرروايات الكتاب على هذا فالله أعلم .

وذكر فرش ملل ، والفرش فيما ذكر أبو حنيفة : مكان مستو نبته العرفط والسيال والسمر يكون نحوا من ميل أو فرسخ ، فإن أنبت العرفط وحده فهو وهط ، وإن أنبت الطالح وحده ، فهو غول وجمعه غيلان على غير قياس ، وإن أنبت النصى والصليان ، وكان نحوا من ميلين قيل له : لمعة .

تكنية على بأبى تراب : وذكر حديثين فى تكنية على بأبى تراب ، وأصح من ذلك ماروراه البخارى فى جامعه وهو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجده فى المسجد نائما وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ، ويقول : قم أبا تراب ، وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة ، وهذا معنى الحديث ، وماذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين ، مرة فى المسجدومرة فى هذه الغزوة ، فالله أعلم .

أشقى الناس : وذكر أشقى الناس قال :وهو أحيمر ثمود الذى عقر ناقة صالح واسمه : قدار بن سالف وأمه قذيرة وهو من التسعة رهط المذكورين فى سورة النمل ، وقد ذكرت أسماءهم فى كتاب التعريف والإعلام .

موادعة بنى ضمرة وذكر موادعته لبنى ضمرة ، وهم بطن من بنى ليث ، وهم بنو غفار وبنو نعيلة بنى مليل ابن ضمرة ، وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن إسحاق « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة ، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة ، وإن النبى إذا دعاهم لنصره ، أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من بر منهم واتقى » .

سرية عبد الله بن جحش

وهو المجدع فى الله ، وسيأتى حديثه فى غزوة أحد وترجم البخارى على هذا الحديث فى كتاب العلم احتجاجا به على صحة الرواية بالمناولة ، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناول عبد الله بن جحش كتابه ، ففتحه بعد يومين فعمل على ما فيه . وكذلك العالم إذا ناول التلميذ كتابا جاز له أن يروى عنه ما فيه ، وهو فقه صحيح ، غير أن الناس جعلوا المناولة اليوم على غير هذه الصورة يأتى الطالب الشيخ ، فيقول : ناولنى كتبك ، فيناوله ثم يمسك متاعه عنده ، ثم ينصرف الطالب ، فيقول : حدثنى فلان مناولة ، وهذه روايه لا تصح على هذا الوجه ، حتى يذهب بالكتاب معه ، وقد أذن له أن يحدث بما فيه عنه ، وممن قال بصحة المناولة على الوجه الذى ذكرناه

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشـــام فى عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم مخرمة

مالك بن أنس ، روى إسماعيل بن صالح عنه أنه أخرج لهم كتبا مشدودة ، فقال : هذه كتبى صححتها ورويتها فارووها عنى ، فقال له إسماعيل بن صالح : فنقول : حدثنا مالك ؟ قال : نعم ، روى قصة إسماعيل هـــذه الدارقطنى فى كتاب رواة مالك رحمه الله .

أولاد الحضرمى : وذكر عمرو بن الحضرمى ، وكانوا ثلاثة : عمراً وعامراً والعلاء ، فأما العلاء فمن أفاضل الصحابة ، وأختهم الصعبة أم طلحة بن عبيدالله ، وكانت قبل أبيه عند أبى سفيان بن حرب ؛ وفيها يقول حين فارقها :

وإنى وصعبة فيما نرى ... بعيدان والود ود قريب
فإن لا يكن نسب ثاقب ... فعند الفتاة جمال وطيب
فيالقصى ألا تعجبون ... إلى الوبر صار الغزال الربيب

وفى نسب بنى الحضرمى اضطراب ، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : هو عبد الله بن عماد بن ربيعة ، وقيل ابن عياد ، وابن عباد بالباء ، والذى ذكره ابن إسحاق أصح ، وهم من الصدف ، ويقال فيه : الصدف بكسر الدال ، قاله ابن دريد ، والصدف : مالك بن مرتع بن ثور وهـــو كندة وقد قدمنا ما قيل فى اسم كندة وفى معناه فى المبعث ، وقد قيل فى الصدف هو ابن سمال بن دعمى بن زياد بن حضرموت ، وقيل فى حضرموت : إنه من لد حمير بن سبأ ، وقيل : هو ابن قحطان بن عابر ، والله أعلم .

تحريم القتال فى الأشهر الحرم : وذكر الشهر الحرام ، وما كان من أهل السرية فيه ؛ وأنه سقط فى أيديهم لما أصابوا فيه من الدم ، وذلك أن تحريم القتال فى الأشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد إبراهيم وإسماعيل ، وكان من حرمات الله ومما جعله مصلحة لأهل مكة ، قال الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا إبراهيم لذريته بمكة ، إذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فكان فيما فرض على الناس من حج البيت قواماً لمصلحتهم ومعاشهم ، ثم جعل الأشهر الحرم أربعة : ثلاثة سرداً ، وواحداً فرداً ، وهو رجب ، أما الثلاثة فليأمن الحجاج واردين إلى مكة ، وصادرين عنها شهراً قبل شهر الحج ، وشهراً بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ، ثم يرجع ، حكمة من الله ، وأما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للإقبال ، ونصفه للإياب ، إذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج ، ألا ترى أنا لا نعتمر من بلاد المغرب ، فإذا أردنا عمرة فإنما تكون مع الحج ، وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوما ، فكانت الأقوات تأتيهم فى المواسم ، وفى سائر العام تنقطع عنهم ذوبا العرب وقطاع السبل ، فكان فى رجب أمان للسالكين إليها مصلحة لأهلها ونظراً من الله لهم دبره وأبقاه من إبراهيم لم يغير حتى جاء الإسلام ، فكان القتال فيه محرما كذلك صدراً من الإسلام ، ثم أباحته آية السيف وبقيت حرمة الأشهر الحرم لم تنسخ ، قال الله سبحانه « منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » فتعظيم حرمتها باق وإن أبيح القتال ، وقد روى عن عطاء أن تحريم القتال فيها حكم ثابت لم ينسخ ، وقد تقدم فى باب نسب النبى صلى الله عليه وسلم ـــ ذكر سعد رجب ، وهو أول من سنه للعرب فيما زعموا .

ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا على أمر الناس . حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب : قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها . فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به ، فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث : ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة ، قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ، ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس ، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقا ، فذكرها له ، واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن في ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً ، قال ثم تفرقنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم

ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير لشىء مما سمعت ، قال : قالت : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه من كبير . وايم الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفينكنه .

قالت : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ، ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلا خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أ كل هذا فرق منى أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع مالم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفارى ، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحول رحله ، وشق قميصه . وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لاأرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغله عنى ما جاء من الأمر .

قريش تتجهز للخروج : فتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلا . وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد .

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزىء عنه ، بعثه فخرج ، وتخلف أبو لهب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى معيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه ، بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : ياأبا على استجمر ، فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ماجئت به ، قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

ماوقع بين قريش وكنانة من الحرب : قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر — كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى ، عن محمد بن سعيد بن المسيب — فى ابن لحفص ابن الأخيف ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى ، خرج يبتغى ضالة له بضجنان ، وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة : وعليه حلة له ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، أحد بنى يعمر بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو بضجنان ، وهو سيد بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ، فقال: من أنت ياغلام ؟ قال : أنا ابن لحفص بن الأخيف القرشى . فلما ولى الغلام ، قال عامر بن زيد . يابنى بكر ، مالكم فى قريش من دم ؟ قالوا: بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ، قال ماكان رجل ليقتل هذا الغلام برجله إلا كان قد استوفى دمه ، قال : فتبعه رجل من بنى بكر فقتله بدم كان له فى قريش ، فتكلمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يامعشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم ، فإن شئتم فأدوا علينا مالنا قبلكم ونؤدى مالكم قبلنا ، وإن شئتم فانما هى الدماء : رجل برجل ، فتجافوا عما لكم قبلنا ، ونجافى عما لنا قبلكم ، فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش ، وقالوا صدق ، رجل برجل . فلهوا عنه ، فلم يطلبوا به .

قال : فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الأخيف يسير بمر الظهران ، إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر الملوح

على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامر متوشح سيفه ، فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطنه بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلقه من الليل بأستار الكعبة . فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقاً بأستار الكعبة ، فعرفوه ، فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد ، عدا عليه مكرز بن حفص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم . فبينما هم في ذلك من حربهم ، حجز الإسلام بين الناس ، فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافوهم .

وقال مكرز بن حفص فى قتله عامراً :

لما رأيت أنه هو عامر	تذكرت أشلاء الحبيب الملحب
وقلت لنفسى : إنه هو عامر	فلا ترهبيه ، وانظرى أى مركب
وأيقنت أنى إن أجلله ضربة	متى ما أصبه بالفرافر يعطب
خفضت له جأشى وألقيت كلكلى	على بطل شاكى السلاح مجرب
ولم أك لما التف روعى وروعه	عصارة هجن من نساء ولا أب
حللت به وترى ولم أنس ذحله	إذا ما تناسى ذحله كل عيهب

قال ابن هشام : الفرافر فى غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، وفى هذا الموضع : السيف . والعيهب : الذى لا عقل له ، ويقال : تيس الظباء وفحل النعام ، قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً .

خروجه صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق ؟ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه ـ قال ابن هشام : خرج يوم الإثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان ـ واستعمل عمرو ابن أم مكتوم ـ ويقال اسمه : عبد الله بن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لؤى ، على الصلاة بالناس ، ثم رد أبا لبابة من الروحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والرايتان : قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبى طالب ، يقال لها : العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

إبل المسلمين إلى بدر : قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب ، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة . وأبو كبشة ، وأنسة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً .

قال ابن إسحاق : وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن بن النجار . وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ، فيما قال ابن هشام .

. . . .

الطريق إلى بدر : قال ابن إسحاق : فسلك طريقه من المدينة إلى مكة ، على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة، ثم على أولات الجيش .

قال ابن هشام : ذات الجيش.

قال ابن إسحاق : ثم مر على تربان ثم على ملل ، ثم على غميس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيالة ، ثم على فج الروحاء ، ثم على شنوكة ، وهى الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الظبية - قال ابن هشام: الظبية : عن غير ابن إسحاق- لقوا رجلا من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً. فقال له الناس : سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ، ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل على فأنا أخبرك عن ذلك . نزوت عليها ، ففى بطنها منك سخلة ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،مه، أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالمنصرف ، ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدراً ، فسلك فى ناحية منها ، حتى جزع واديا ، يقال له رحقان، بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم على المضيق، ثم انصب منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، بعث بسبس بن عمرو الجهنى ، حليف بنى ساعدة ، وعدى بن أبى الزغباء الجهنى ، حليف بنى النجار ، إلى بدر يتحسسان له الأخبار ، عن أبى سفيان بن حرب وغيره . ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمها ، فلما استقبل الصفراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جبليهما ما اسماها ؟ فقالوا : يقال لأحدهما ، هذا مسلح ، وللآخر : هذا مخرئ. وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بنى غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلها. فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له : ذفران ، فجزع فيه ، ثم نزل .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له به .

استشارة الأنصار : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله : إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل ، قال : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق ،

لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوناغداً ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك، ثم قال : سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك على ثنايا . يقال لها الأصافر ، ثم انحط منها إلى بلد يقال له : الدبة ، وترك الحنان بيمين ، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .

قال ابن هشام : الرجل هو أبو بكر الصديق .

قال ابن إسحاق : كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبان : حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال :أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى . فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذاوكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قريش . فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ سفيان الضمرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه ـ كما حدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ـ فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالا : نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان ، فضربوهما . فلما أذلقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ، ثم سلم ، وقال إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ـ والكثيب : العقنقل ـ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قال : يوما تسعاً ، ويوماً عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم فيما بين التسعمائة والألف ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل ابن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ، ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها .

قال ابن إسحاق : وكان بسبس بن عمرو ، وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه ، ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء : فسمع عدى وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذى لك . قال مجدى : صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى وبسبس ، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبراه بما سمعا .

نجاة أبى سفيان بالعير : وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدى ابن عمرو : هل أحسست أحداً ، فقال: ما رأيت أحداً أنكره، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا فى شن لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخها ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففته ، فإذا فيه النوى ،فقال: هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف رؤيا ، فقال: إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ـ وكان بدر موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام ـ فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزر ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا.

وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، وكان حليفا لبنى زهرة وهم بالجحفة : يا بنى زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا لى جبنها وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة، لا ما يقول هذا ، يعنى أبا جهل: فرجعوا ، فلم يشهدها زهرى واحد،أطاعوه وكان فيهم مطاعا . ولم يكن بقى من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس ، إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد ، ومشى القوم . وكان بين طالب بن ابى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بنى هاشم، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب ابن أبى طالب :

لاهم إما يغزون طالب ... فى عصبة محالف حارب
فى مقنب من هذه المقانب ... فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

قال ابن هشام : قوله فليكن المسلوب ، وقوله : ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر .

قريش تنزل بالعدوة والمسلمون ببدر : قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى ، وهو يليل ، بين بدر وبين العقنقل ، الكثيب الذى خلفه قريش ، والقلب ببدر فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الودى دهسا ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها مالبد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها مالم يقدروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة ، أنهم ذكروا : أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نعور ماوراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملاؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعورت ، وبنى حوض على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

بناء العريش : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث ، أن سعد بن معاذ قال : يانبى الله ، ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ، يانبى الله ، مانحن بأشد لك حبامنهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ماتخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك : فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير . ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ، فكان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل - وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم الغداة .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (حينما) رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحمر - إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا .

وقد كان خفاف بن أيماء بن رحضة الغفارى ، أو أبوه أيماء بن رحضة الغفارى ، بعث إلى قريش ، حين مروا به ، ابنا له بجزائره أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتك رحم ، قد قضيت الذى عليك ، فلعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم . فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه . فكان إذا اجتهد فى يمينه ، قال : لا والذى نجانى من يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما

اطمأن القوم ، بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا : احزر لنا أصحاب محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال ثلاث مائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب فى الوادى حتى أبعد ، فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : ماوجدت شيئا ، ولكنى قد رأيت . يامعشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ماأرى أن يقتل رجل منهم ، حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فا خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذاك مشى فى الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لاتزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ياحكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى ، قال : قدفعلت ، أنت على بذلك ، إنما هو حليف ، فعلى عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية .

الحنظلية ونسبها :قال ابن هشام : والحنظلية أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مخربة ، أحد بنى نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ فانى لاأخشى أن يشجر أمر الناس غيره ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا ، فقال : يامعشر قريش ، إنكم والله ماتصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لايزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفا كم ولم تعرضوا منه ماتريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل درعا له من جرابها ، فهو يهنئها قال ابن هشام : يهيئها ـ فقلت له : ياأبا الحكم إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، للذى قال ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فأنشد خفرتك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ : واعمراه، واعمراه، فحميت الحرب وحقب الناس ، واستوسقوا على ماهم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قول أبى جهل « انتفخ والله سحره » قال : سيعلم مصفراسته من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟

قال ابن هشام : السحر :الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة. وما كان تحت السرة ، فهو القصب، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النارقال ابن هشام : حدثنى بذلك أبو عبيدة .

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه ، فا وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجز على رأسه ببرد له .

مقتل **الأسود** : قال ابن إسحاق : وقدخرج الأسود بن عبد الأسدالمخزومى ، وكان رجلا شرسأسيء الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ،فلما خرج خرج إليه حمزة بنعبدالمطلب ،

فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - أن يبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

دعاء عتبة إلى المبارزة : قال : ثم خرج بعد عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عوف ، ومعوذ ، ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم؟ فقالوا رهط من الأنصار: قالوا : ما لنا بكم حاجة ، ثم نادى مناديهم يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقم يا على ، فلما قاموا دنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال على : على ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام ، فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز على الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبه فذففا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار ، حين انتسبوا أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا .

التقاء الفريقين :قال ابن إسحاق : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين .

ضرب الرسول لابن غزية : قال ابن إسحاق : وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية ، حليف بنى عدى بن النجار - قال ابن هشام : يقال ، سواد ، مثقلة ، وسواد فى الأنصار غير هذا ، مخفف - وهو مستنتل من الصف - قال ابن هشام : ويقال : مستنصل من الصف ، فطعن فى بطنه بالقدح ، وقال : استو ياسواد، فقال : يارسول الله وجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل ، قال : فأقدنى : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال :أستقد ،قال: فاعتنقه فقبل بطنه : فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال :يارسول الله حضر ماترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله له.

الرسول يناشد ربه أن ينصره : قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وأبو بكر يقول : يانبى الله : بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ماوعدك . وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال: أبشر ياأبا بكر ، أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النقع.

أول قتيل من المسلمين قال ابن إسحاق: وقد رمى مهجع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم، فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بنى عدى بن النجار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهم فأصاب نحره ، فقتل .

قال : ثم . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقال : والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام ، أخو بنى سلمة ،وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : ان عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء قال : يارسول الله ، مايضحك الرب من عبده ، قال : غمسه يده فى العدو حاسراً . فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى ، حليف بنى زهرة ، أنه حدثه : أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل بن هشام : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه ، فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة،فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ،وأسر من أسر من أشرافهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وعلم فى العريش،وسعد ابن معاذ قائم على باب العريش ، الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متوشحاً السيف ، فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كرة العدو ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك ياسعد تكره مايصنع القوم ، قال : أجل والله يارسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك . فكان الإثخان فى القتل بأهل الشرك أحب إلى من استبقاء الرجال

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فانه إنما أخرج مستكرها قال : فقال: أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا . ونترك العباس ، الله لئن لقيته لألحمنه السيف - قال ابن هشام : ويقال : لألجمنه السيف - قال : فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر بن الخطاب : ياأباحفص - قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص - أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فكان أبو حذيفة يقول . ماأنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا ، إلا أن تكفرها عنى الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب . فلقيه المجذر بن ذياد البلوى ، حليف الأنصار ، ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذر لأبى البخترى إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نهانا عن قتلك ، ومع أبى البخترى زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث . واسم أبى البخترى : العاص ـ قال : وزميلى ؟ فقال له المجذر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ، فقال : لا والله ، إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة . فقال أبو البخترى حين نازله المجذر ، وأبى إلا القتال ، يرتجز :

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا ، فقتله المجذر بن ذياد . وقال المجذر بن زياد فى قتله أبا البخترى :

إما جهلت أو نسيت نسبى فأثبت النسبة أنى من بلى
الطاعنين برماح اليزنى والضاربين الكبش حتى ينحنى
بشر بيتم من أبوه البخترى أو بشرن بمثلها منى بنى
أنا الذى يقال أصلى من بلى أطعن بالصعدة حتى تنثنى
وأعبط القرن بعضب مشرفى أرزم للموت كارزام المرى
فلا ترى مجذرا يفرى فرى

قال ابن هشام : المرى عن غير ابن إسحاق . والمرى : الناقة التى يستنزل لبنها على عسر .

قال ابن إسحاق : ثم إن المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

قال ابن هشام : أبو البخترى : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .

مقتل أمية بن خلف : قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال ابن إسحاق : وحدثنيه أيضاً عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو ، فتسميت ، حين أسلمت ، عبد الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكه أبواك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بمالا أعرف ، قال : فكان إذا دعانى : يا عبد عمرو ، لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا على ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأتحدث معه . حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه ، على بن أمية ، آخذ بيده ، ومعى أدراع ، قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رآنى قال لى : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله ؟ فقلت : نعم ، قال : هل لك فى ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال : فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة فى اللبن ؟ قال : ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الواحد بن أبى عون ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ـ وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على ظهره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد . قال : فلما رآه ، قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا . قال : قلت : أى بلال ، أبأسيرى قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته ؛ يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة وأنا أذب عنه . قال : فأخلف رجل السيف ، فضرب رجل ابنه فوقع ،وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط ، قال : فقلت انج بنفسك،ولانجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهبروهما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى .

الملائكة تشهد وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غفار ، قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ،ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ؛ ثم تماسكت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لاأشك فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن رجال من بنى مازن بن النجار ، عن أبى داود المازنى ، وكان شهد بدراً ، قال : إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنه قد قتله غيرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبدالله بن الحارث ، عن عبدالله بن عباس ،قال :كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاقد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرا .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن على بن أبى طالب قال . العمائم : تيجان العرب ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لايضربون .

مقتل أبى جهل : قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل ويقول :

ماتنقم الحرب العوان منى ... بازل عامين حديث سنى
لمثل هـــذا ولدتنى أمى

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى .

وكان أول من لقى أبا جهل ، كما حدثنى ثور بن يزيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله بن أبى بكر أيضا قد حدثنى ذلك، قالا :قال معاذ بن عمرو بن الجموح ،أخو بنى سلمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف. وفى الحديث عن عمر بن الخطاب : أنه سأل أعرابيا عن الحرجة ، فقال : هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها ـ وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه .قال :فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصمدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ،فوالله ماشبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها . قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى ، فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى ، وأجهضنى القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى ، وإنى لأسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان .

ثم مر بأبى جهل وهو عقير ، معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل، فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى ،وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ انظروا إن خفى عليكم فى القتلى ، إلى أثر جرح فى ركبته ، فإنى ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشف منه بيسير ،فدفعته فوقع على ركبتيه ، فجحش فى إحداهما جحشا لم يزل أثره به .قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه ـ قال :وقد كان ضبث بى مرة بمكة ، فآذانى ولكزنى ، ثم قلت له هل أخزاك الله ياعدو الله؟ قال : وبماذا أخزانى ، أعمد من رجل قتلتموه ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام ضبث : قبض عليه ولزمه . قال ضابىء بن الحارث البرجمى :

فأصبحت مما كان بينى وبينكم　　　من الود مثل الضابث الماء باليد

قال ابن هشام : ويقال : أعار على رجل قتلتموه ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم ، أن ابن مسعود كان يقول :

قال لى : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم ، قال : ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : هذا رأس عدو الله أبى جهل ، قال : فقال رسول الله صلى عليه وسلم : آلله الذى لا إله غيره ـ قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : قلت نعم ، والله الذى لا إله غيره ـ ، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى : أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص، ومر به : إنى أراك كأن فى نفسك شيئا ، أراك تظن أنى قتلت أباك ، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ،

ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإنى مررت وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه ، وقصدله ابن عمه على فقتله .

غزوة بدر

وبدر : اسم بئر حفرها رجل من غفار ، ثم من بنى النار منهم ،اسمه: بدر ، وقد ذكرنا فى هذا الكتاب قول من قال : هو بدر بن قريش بن يخلد الذى سميت قريش به . وروى يونس عن ابن أبى زكريا عن الشعبى قال : بدر : اسم رجل كانت له بدر .

التحسس والتجسس : فصل : وذكر أبا سفيان ، وأنه حين دنا من الحجاز، كان يتحسس الأخبار .التحسس بالحاء : أن تتسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفى الحديث « لاتجسسوا ، ولا تحسسوا » .

رؤيا عاتكة : وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذى رأته يصرخ بأعلى صوته : يالغدر !! هكذا هو بضم الغين والدال جمع غدور ، ولا تصح رواية من رواه : يالغدر بفتح الدال مع كسر الراء ، ولا فتحها ، لأنه لاينادى واحدا، ولأن لام الاستغاثة لاتدخل على مثل هذا البناء فى النداء ، وإنمايقول : يالغدر انفروا تحريضاً لهم ، أى : إن تخلفتم ، فأنتم غدر لقومكم ،وفتحت لام الاستغاثة ، لأن المنادى قد وقع موقع الاسم المضمر ، ولذلك بنى ، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهى لام جر فتحت كما تفتح لام الجر إذا دخلت على المضمرات ، هذا قول ابن السراج ، ولأبى سعيد السيرافى فيها تعليل غير هذا كرهنا الإطالة بذكره ، وهذا القول مبنى فى شرح يالغدر إنما هو على رواية الشيخ ، وما وقع فى أصله ، وأما أبو عبيدة ، فقال فى المصنف : تقول ياغدر ، أى : ياغادر ، فإذا جمعت قلت يا آل غدر ، وهكذا والله أعلم . كان الأصل فى هذا الخبر ، والذى تقدم تغيير .

وقوله ، ثم مثل به بعيره على أبى قبيس ، سمى هذا الجبل أبا قبيس برجل هلك فيه من جرهم اسمه قبيس بن شالخ ، وقع ذكره فى حديث عمرو بن مضاض ، كما سمى حنين الذى كانت فيه حنين بحنين بن قالية بن مهلايل ، أظنه كان من العماليق ، وقد ذكره البكرى فى كتاب معجم مااستعجم .

اللياط وذكر حديث أبى لهب ، وبعثه العاصى بن هشام ، وكان لاط له بأربعة آلاف درهم . لاط له : أى أربى له ، وكذلك جاء اللياط مفسرا فى غريب الحديث للخطابى ، وهو قوله عليه السلام فى الكتاب الذى كتبه لثقيف : وما كان لهم من دين لارهن فيه فهو لياط مبرأ من الله وقال أبو عبيد : وسمى الربا لياطاً ، لأنه ملصق بالبيع ، وليس ببيع ، وقيل للربا لياطاً لأنه ، لاصق بصاحبه لايقضيه ، ولا يوضع عنه ، وأصل هذا اللفظ من اللصوق .

المجمرة والألوة : وعزم أمية بن خلف على القعود ، وأن عقبة بن أبى معيط جاءه بمجمرة فيها نار ومجمر ، وقال : استجمر فإنما أنت من النساء . المجمرة : هى الأداة التى يجعل فيها البخور ، والمجمر هو البخور نفسه ، وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مجامرهم الألوة ، فهذا جمع مجمر لامجمرة ، والألوة : هى العود الرطب ، وفيها أربع لغات ألوة وألوة [بفتح الهمزة وضمها] ، ولوة بغير ألف ولية ، قاله أبو حنيفة .

. . . .

شعر مكرز : وذكر فى شعر مكرز :

تذكرت أشلاء الحبيب الملحب

الأشلاء : أعضاء مقطعة ، والملحب من قولهم : لحبت اللحم إذا قطعته طولا ذكره صاحب العين . وذكر فى شعر مكرز :

متى ما أجلله الفرافر يعطب

وقد فسر ابن هشام الفرافر ، وقال : هو اسم سيف ، وهو عندى من فرفر اللحم إذا قطعه أنشد أبو عبيد :

ككلب طسم وقد تربة يعله بالحليب فى الغلس
أنحى عليه يوما يفرفره إن يلغ فى الدماء ينتهس

ويروى : يشرشره . والعيهب الذى لا عقل له ، ويقال لذكر النعم عيهب .

المواضع التى نزل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : وذكر عرق الظبية ، والظبية : شجرة شبه القتادة يستظل بها ، وجمعها . ظبيان ، وكذلك ذكر السيالة فى طريق بدر : والسيال شجر ، ويقال: هو عظام السلم ، قاله أبو حنيفة.

وذكر النازية ، وهى رحبة واسعة فيها عضاة ومروج .

وذكر سجسجاً ، وهى بالروحاء ، وسميت سجسجاً ، لأنها بين جبلين ، وكل شىء بين شيئين ، فهو : سجسج . وفى الحديث : إن هواء الجنة سجسج ، أى . لا حر ولا برد ، وهو عندى من لفظ السجاج ، وهو لبن غير خالص ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء ، قال الشاعر :

ويشربها مزجا ويسقى عياله سجاجاً كأقراب الثعالب أورقاً

وهذا القول جار على قياس من يقول : إن الثرثارة من لفظ : الثرة ، ورقرقت من لفظ : رققت إلى آخر الباب:

وذكر الصفراء ، وهى واد كبير .

ذكر لبعض الأنساب : وذكر بسبس بن عمرو الجهنى ، وعدى بن أبى الزغباء حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحسسان الأخبار عن عير قريش ، وفى مصنف أبى داود : بسبسة مكان بسبس وبعض رواة أبى داود يقول بسبسة بضم الباء : وكذلك وقع فى كتاب مسلم ونسبه ابن إسحاق إلى جهينة ، ونسبه غيره إلى ذبيان ، وقال: هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان ، وأما عدى بن أبى الزغباء ، واسم أبى الزغباء : سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن بذيل ، وليس فى العرب بذيل بالذال المنقوطة غير هذا ، قاله الدارقطنى ، وهو بذيل بن سعد بن عدى بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة ، وجهينة : وهو ابن سود بن أسلم بضم اللام بن الحاف بن قضاعة ، قال موسى بن عقبة : عدى بن أبى الزغباء حليف بنى مالك بن النجار مات فى خلافة عمر ، وكان قد شهد بدراً وأحداً والخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر أنه عليه السلام مر بجبلين ، فسأل على اسميهما ، فقيل له : أحدهما مسلح والآخر مخرىء ، فعدل عن طريقهما وليس هذا من باب الطيرة ، التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولكن من باب كراهية الاسم القبيح، فقد كان عليه السلام يكتب إلى أمرائه إذا أبردتم إلى بريداً فاجعلوه حسن الاسم ، ذكره البزار من طريق بريدة، وقد قال فى لقحة : من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ فقال : مرة ، فقال . اقعد

. . . .

حتى قال آخرهم: اسمي : يعيش ، قال : احلب . اختصرت الحديث وفيه زيادة رواها ابن وهب ، قال : فقام عمر فقال : لا أدري أقول أم أسكت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ، فقال له : قد كنت نهيتنا عن التطير فقال عليه السلام :ما تطيرت ، ولكني آثرت الاسم الحسن ، أو كما قال عليه السلام . وقد أمليت في شرح حديث الموطأ في الشؤم ، وأنه إن كان ففي المرأة والفرس والدار تحقيقا وبيانا شافيا لمعناه ،وكشفاً عن فقهه لم أر أحــــدا ـ والحمد لله ـ سبقني إلى مثله .

وهذان الجبلان لتسميتها بهذين الاسمين سبب ، وهو أن عبداً لبني غفار كان يرعى بهما غنما لسيده ،فرجع ذات يوم عن المرعى ، فقال له سيده : لم رجعت ؟ فقال : إن هذا الجبل مسلح للغنم ، وإن هذا الآخر مخزيء فسميا بذلك . وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوقشي .

وذكر قول المقداد : ولو بلغت بنا برك الغماد ، وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحبشة .

تعوير القلب:وذكر القلب التي احتفرها المشركون ليشربوا منها ، قال : فأمر بتلك القلب فعورت ، وهي كلمة نبيلة ، وذلك أن القلب لما كان عيناً جعلها كعين الإنسان ، ويقال في عين الإنسان : عرتها فعارت ، ولا يقال عورتها ، وكذلك قال في القلب عورت بسكون الواو ولكن لما رد الفعل لما لم يسم فاعله ضمت العين ، فجاء على لغة من يقول : قول القول وبوع المتاع ، وهي لغة هذيل وبني دبير من بني أسد وبني فقعس ، وبنو دبير هو تصغير أدبر على الترخيم ، وإن كانت لغة رديئة ، فقد حسنت هنا المحافظة على لفظ الواو ، إذ لو قالوا : عيرت فأميتت الواو ، لم يعرف أنه من العور إلا بعد نظر ، كما حافظوا في جمع عيد على لفظ الياء في عيد فقالوا . أعياد وتركوا القياس الذي في ريح وأرواح على أن أرياحا لغة بني أسد كي لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين ، وإن كان من العودة ، وقس على هذا القول ، وصحة الواو فيه ، وكما حافظوا على الضمة في سبوح وقدوس ، وقياسه :أن يكون على فعول بفتح الفاء كتنوم وشبوط وبابه ، ولكن حافظوا على الضمتين ، ليسلم لفظ القدس والسبحات وسبحان الله يستشعر المتكلم بهذين الاسمين معنى القدس ، ومعنى سبحان من أول وهلة ، ولما ذكرناه نظائر كثيرة يخرجنا إيرادها عن الغرض .

وذكر قول أبي جهل : قم فانشد خفرتك، أي : اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ،لأنه كان حليفا لهم وجارا يقال : خفرت الرجل خفرة إذا أجرته ، والخفير . المجير . قال العبادى

من رأيت الأيام خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير

وقوله : حقبت الحرب ، يقال : حقب الأمر إذا اشتد ، وضاقت فيه المسالك ، وهو مستعار من حقب البعير إذا اشتد عليه الحقب وهو الحزام الأسفل ، وراغ حتى يبلغ ثيله ، فضاق عليه مسلك البول .

وقول عتبة في أبي جهل : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره . السحر والسحر الرئة ، والسحر أيضاً بفتح الحاء ، وهو قياس في كل اسم على فعل إذا كان عين الفعل حرف حلق ، أن يجوز فيه الفتح ، فيقال في الدهر : الدهر ، وفي اللحم : اللحم ، حتى قالوا في النحو النحو ، ذكرها ابن جني ، ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذي من أجل حرف الحلق لما كان لعلة ، فلم يقلبوا الواو من أجله ألفا حين قالوا :النحو والزهد ، ولو اعتدوا بالفتحة لقلبوا الواو ألفا ، كما لم يعتدوا بها في : يهب ويضع ،إذ كان الفتح فيه من أجل حرف الحلق ، ولو اعتدوا به ، لردوا الواو فقالوا : يوضع ويوهب ، كما قالوا : يوجل .

. . . .

وقوله مصفر استه : كلمة لم يخترعها عتبة ، ولا هو بأبي عذرها، قدقيلت قبله لقابوس بن النعمان ، أو لقابوس ابن المنذر ، لأنه كان مرفها لا يغزو فى الحروب ، فقيل له: مصفر استه ، يريدون : صفرة الخلوق والطيب ،وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير فى حذيفة يوم الهباءة ، ولم يقل أحد إن حذيفة كان مستوهاً ، فإذاً لا يصح قول من قال فى أبى جهل من قول عتبة فيه هذه الكلمة : إنه كان مستوها والله أعلم

وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب إلا فى الدعة والخفض وتعيبه فى الحرب أشد العيب ، وأحسب أن أبا جهل لما سلمت العير ، وأراد أن ينحر الجزور ، ويشرب الخمر ببدر ، وتعزف عليه القيان بها استعمل الطيب أو هم به ، فلذلت قال له عتبة هذه المقالة ، ألا ترى إلى قول الشاعر فى بنى مخزوم :

ومن جهل أبو جهل أخوكم غزا بدراً بمجمرة وتور

يريد : أنه تبخر وتطيب فى الحرب .

وقوله : مصفر استه إنما أراد مصفر بدنه ، ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر ما يسوؤه أن يذكر.

سواد بن غزية : فصل : وذكر قصة سواد بن غزية حين مر به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو مستنتل أمام الصف ، قال ابن هشام : ويقال : مستنصل . قوله مستنتل أمام الصف ، يقال استنتلت واستنصلت وأبرنذعت وابرنتيت بالراء المهملة وبالزاى ، هكذا تقيد فى الغريب المصنف ، كل هذا إذا تقدمت . سواد هذا بتخفيف الواو ، وكل سواد فى العرب ، فكذلك بتخفيف الواو وفتح السين ، إلا عمرو بن سواد أحد بنى عامر ابن لؤى من شيوخ الحديث ، وسواد بضم السين ، وتخفيف الواو ، هو ابن مرى بن إراشة بن قضاعة ثم من بلى حلفاء الأنصار : ووقع فى الأصل من كلام ابن هشام سواد مثقلة ابن غزية ؛ وهو خطأ ، إنما الصواب ما تقدم، وسواد هذا هو عامل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على خيبر الذى جاءه بتمر جنيب ، ذكره مالك فى الموطأ ولم يسمه .

وقول ابن هشام مستنصل ، معناه : خارج من الصف من قولك : نصلت الرمح إذا أخرجت ثعلبه من السنان.

وذكر قول أبى بكر بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك ، رواه غير ابن إسحاق كذلك مناشدتك ، وفسره قاسم فى الدلائل ، فقال : كذلك قد يراد بها معنى الإغراء والأمر بالكف عن الفعل ، وأنشد لجرير :

كذاك القول إن عليك عينا

أى : حسبك من القول ، فدعه ، وفى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأنجشة : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير ، وأورده مرة أخرى فقال فيه شوقك وإنما دخله معنى النصب كما دخل : عليك زيداً معنى النصب ،وفى دونك ، لأنك إذا قلت دونك زيداً وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت : خذه ، ومسألة كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت : كذاك القول أو السير ، فكأنك قلت: كذاك أمرت فاكفف ودع ،فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء ، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشىء ، أو تركه ، فنصبوا بما فى ضمن الكلام، وحسن ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظى إلى معنوى ، وإنما عدلوا عن معنوى إلى معنوى ، ولو أنهم حين قالوا: دونك زيداً يلفظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد ، وهم يريدون الإغراء به والأمر بأخذه لما جاز النصب بوجه ، لأن الفعل ظاهر لفظى ، فهو أقوى من المعنوى .

فصل . وفى هذا الحديث من المعانى أن يقال : كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكف عن الاجتهاد فى الدعاء ، ويقوى رجاءه ويثبته ، ومقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، هو المقام الأحمد ويقينه فوق يقين كل أحد ، فسمعت شيخنا الحافظ ـ رحمه الله ـ يقول فى هذا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف ، وكان صاحبه فى مقام الرجاء ، وكلا المقامين سواء فى الفضل ، لا يريد أن النبى والصديق سواء ، ولكن الرجاء والخوف مقامان لابد للإيمان منهما ، فأبو بكر كان فى تلك الساعة فى مقام الرجاء لله ، والنبى عليه السلام كان فى مقام الخوف من الله ، لأن لله أن يفعل ما شاء ، نخاف أن لا يعبد الله فى الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . وأما قاسم بن ثابت ، فذهب فى معنى الحديث إلى غير هـذا ، وقال : إنما قال ذلك الصديق مأوية للنبى عليه السلام ورقة عليه ، لما رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه ، فقال له : بعض هذا يا رسول الله ، أى : لم تتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر ، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبى صلى الله عليه وسلم .

جهاد النبى فى المعركة : قال المؤلف : وأما شدة اجتهاد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونصبه فى الدعاء فإنه رأى الملائكة تنصب فى القتال وجبريل على ثناياه الغبار ، وأنصار الله يخوضون غمار الموت . والجهاد على ضربين : جهاد بالسيف ، وجهاد بالدعاء ، ومن سنة الإمام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم ، فكان الكل فى اجتهاد وجد ، ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين ، وأنصار الله وملائكته يجتهدون ، ولا ليؤثر الدعة ، وحزب الله مع أعدائه يجتلدون .

المفاعلة ومعناها : وقوله بعض مناشدتك ربك ، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين والرب لا ينشد عبده ، فإنما ذلك لأنها مناجاة للرب ، ومحاولة لأمر يريده ، فلذلك جاءت على بناء المفاعلة ، ولابد فى هـذا الباب من فعلين لفاعلين ، إما متفقين فى اللفظ ، وإما متفقين فى المعنى ، وظن أكثر أهل اللغة أنها قد تكون من واحد نحو : عاقبت العبد وطارقت النعل وسافرت ، وعافاه الله ، فنقول : أما عاقبت العبد فهى معاملة بينك وبينه ، عاملك بالذنب ، وعاملته بالعقوبة ، فأخذ لفظها من العقوبة ، ووزنها من المعاونة ، وأما طارقت النعل ، فمن الطرق وهو القوة ، فقد قويتها وقوتك على المشى . فلفظها من الطرق ، وبناؤها على وزن المعاونة والمقاواة ، فهذا اتفاق فى المعنى ، وإن لم يكن فى اللفظ ، وأما سافر الرجل فمن سفرت : إذا كشفت عن وجهك ، فقـد سفر لقوم ، وسفروا له ، فهذه موافقة فى اللفظ والمعنى ، وأما المعافاة ، فإن السيد يعفى عبده من بلاء فيعفى العبد سيده من الشكوى والإلحاح ، فهذه موافقة فى اللفظ ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعا فى الكلام ، ومجازاً حسنا .

العصب والعصم : فصل : وذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا جبريل على ثناياه النقع ، وهو الغبار ، وفى حديث آخر أنه قال : رأيته على فرس له شقراء ، وعليه عمامة حمراء ، وقد عصم بثنيته الغبار ؛ قال ابن قتيبة : عصم وعصب بمعنى واحد ، يقال : عصب الريق بفيه ، إذا يبس وأنشد :

يعصب فاه الريق أى عصب

وخالفه قاسم بن ثابت ، وقال : هو عصم من العصيم والعصم ، وهى كالبقية تبقى فى اليد وغيرها من لطخ حناء أو عرق أو شىء يلصق بالعضد ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : أعطـينى عصم حنائك ، أى ماسلتت من حنائها ، وقشرته من يدها .

. . . .

حديث عمير بن الحمام : فصل : وذكر حديث عمير بن الحمام بن الجموح بن زيدبن حرام حين ألقى التمرات من يده ، وقال : بخ بخ ، وهى كلمة ، معناها التعجب ، وفيها لغات بخ بسكون الخاء وبكسرها مع التنوين ، وبتشديدها منونة ، وغير منونة ، وفى حديث مسلم والبخارى : أن هذه القصة كانت أيضاً يوم أحد لكنه لم يسم فيها عميراً ، ولا غيره فالله أعلم.

حديث عوف بن عفراء : وقول عوف بن عفراء : ما يضحك الرب من عبده يا رسول الله ؟ قد قيل فى عوف: عوذ بالذال المنقوطة ، ويقوى هذا القول أن أخويه : معاذ ومعوذ .

معنى ضحك الرب : ويضحك الرب ، أى يرضيه غاية الرضى ، وحقيقته أنه رضى معه تبشير وإظهار كرامة ، وذلك أن الضحك مضاد للغضب ، وقد يغضب السيد ، ولكنه يعفو ويبقى العتب ، فإذا رضى ، فذلك أكثر من العفو ، فإذا ضحك فذلك غاية الرضى ، إذ قد يرضى ولا يظهر ما فى نفسه من الرضى ، فعبر عن الرضى وإظهاره بالضحك فى حق الرب سبحانه مجازاً وبلاغة ، وتضميناً لهذه المعانى فى لفظ وجيز ، ولذلك قال عليه السلام فى طلحة ابن البراء : اللهم الق طلحة يضحك إليك ، وتضحك إليه ، فمعنى هذا : القه لقاء متحابين مظهرين لما فى أنفسهما من رضى ، ومحبة ، فإذا قيل : ضحك الرب لفلان ، فهى كلمة وجيزة تتضمن رضى مع محبة وإظهار بشر وكرامة لا مزيد عليهما ، فهى من جوامع الكلم التى أوتيها عليه السلام .

لغويات : فصل : وقول أبى البخترى أنا وزميل . الزميل : الرديف ، ومنه : ازدمل الرجل بحمله إذا ألقاه على ظهره ، وفى مسند الحارث عن ابن مسعود، قال : كنا نتعاقب يوم بدر ثلاثة على بعير ، فكان على وأبو لبابة زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عقبته — عليه السلام — قالا له اركب ، ولنمش عنك يا رسول الله ، فيقول : ما أنتما بأقوى على المشى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما .

وقول المجذر : كإرزام المرى ، المرى : الناقة تمرى للحلب ، أى تمسح أخلافها : وإرزامها . صوتها وهدرها، وقد تقدم الفرق بين أرزمت ورزمت .

وقول عبد الرحمن بن عوف لأمية: ها الله ذا : ها : تنبيه، وذا إشارة إلى نفسه ، وقال بعضهم: إلى القسم، أى : هذا قسمى ،وأراها إشارة إلى المقسم ، وخفض اسم الله بحرف القسم أضمره ، وقام التنبيه مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامه ، فكأنه قال : هأنذا مقسم ، وفصل بالاسم المقسم به ، بين ها وذا ، فعلم أنه هو المقسم فاستغنى عن أنا ، وكذلك قول أبى بكر : لاها الله ذا ، وقول زهير :

تعلمن ها لعمر الله ذا قسما

أكد بالمصدر قسمه الذى دل عليه لفظه المتقدم .

وقوله : هبروه بأسيافهم من الهبرة وهى القطعة العظيمة من اللحم ، أى قطعوه

وذكر قول الغفارى حين سمع حمحمة الخيل فى السحابة ، وسمع قائلا يقول: أقدم حيزوم . اقدم بضم الدال؛ أى أقدم الخيل ، وهو اسم فرس جبريل ، وهو فيعول من الحزم ، والحيزوم أيضاً أعلى الصدر ، فيجوز أن يكون أيضاً سمى به ، لأنه صدر لخيل الملائكة ، ومتقدم عليها ، والحياة أيضاً فرس أخرى لجبريل لا تمس شيئاً إلا حيى، وهى التى قبض من أثرها السامرى ، فألقاها فى العجل الذى صاغه من ذهب ، فكان له خوار ، ذكره الزجاج .

. . . .

نسب أبى داود المازنى : فصل : وذكر أبا داود المازنى وقوله: لقد أتبعت رجلا من المشركين ، فسقطرأسه قبل أن أصل إليه . اسم أبى داود هذا عمرو : وقيل : عمير بن عامر ، وهذا هو الذى قتل أبا البخترى بن هشام ، وأخذ سيفه فى قول طائفة من أهل السير غير ابن إسحاق ، وقال ابن إسحاق قتله المجذر كما تقدم .

لغويات : وقول معـــاذ بن عمرو فى مقتل أبى جهل : ما شبهت رجله حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت المرضخة . طاحت : ذهبت ، ولا يكون إلا ذهاب هلاك ، والمرضخة . كالإرزبة يدق بها النوى للعلف، والرضح بالحاء مهملة : كسر اليابس ، والرضخ كسر الرطب ، ووقع فى أصل الشيخ المرضحة بالحاء والخاء معا ، ويدل على أنه كسر لما صلب ، وأنشد قول الطائى :

أترضحنى رضح النوى وهى مصمت ويأكلنى أكل الدبا وهو جائع

وإنما نحتج بقول الطائى ، وهو حبيب بن أوس لعلمه ، لا لأنه عربى يحتج بلغته .

الغلامان اللذان قتلا أبا جهل : وذكر الغلامين اللذين قتلا أبا جهـــل ، وأنهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء ، وفى صحيح مسلم أنهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، وعفراء هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار عرف بها بنو عفراء وأبوهم الحارث بن رفاعة بن سواد على اختلاف فى ذلك ، ورواية ابن إدريس عن ابن إسحاق ، كما فى كتاب مسلم ، قال أبو عمر : وأصح من هذا كله حديث أنس حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بخبر أبى جهل ، الحديث ، وفيه أن ابنى عفراء قتلاه .

وقول أبى جهل : أعمد من رجل قتلتموه ، ويروى قتله قومه ، أى : هل فوق رجل قتله قومه ، وهو معنى تفسير ابن هشام ، حيث قال : أى ليس عليه عار ، والأول تفسير أبى عبيد فى غريب الحديث ، وقد أنشدوا شاهداً عليه .

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم صدام الأعادى حين فلت نيوبها

قال المؤلف رضى الله عنه : وهو عندى من قولهم عمد البعير يعمد: إذا تفسخ سنامه ، فهلك ، أى أهلك من رجل قتله قومه ، وما ذكره ابن إسحاق من قول أبى جهل هذا ، وما ذكروه أيضا من قوله لابن مسعود : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم : مرتقى صعبا يعارض ما وقع فى سير ابن شهاب وفى مغازى ابن عقبة أن ابن مسعود وجده جالسا لا يتحرك ، ولا يتكلم فسلبه درعه ، فإذا فى بدنه نكت سود ، فحل تسبغه البيضة ، وهو لا يتكلم ، واخترط سيفه يعنى سيف أبى جهل فضرب به عنقه ، ثم سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين احتمل رأسه إليه عن تلك النكت السود التى رآها فى بدنه ، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته ، وأن تلك آثار ضربات الملائكة ، وروى يونس عن أبى العميس ، قال : أرانى القاسم بن عبد الرحمن سيف عبد الله بن مسعود ، قال : هذا سيف أبى جهل حين قتله فأخذه فإذا سيف قصير عريض فيه قبائع فضة وحلق فضـــة قال أبو عميس ، فضرب به القاسم عنق ثور فقطعه ، وثلم فيه ثلما ، فرأيت القاسم جزع من ثلمه جزعا شديداً .

لغويات : وقول النبى عليه السلام آلله الذى لا إله إلا هو ، بالخفض عند سيبويه وغيره ، لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده ، وإذا كنت مخبراً قلت: الله بالنصب لا يجيز المبرد غيره ، وأجاز سيبويه الخفض أيضاً لأنه قسم ، وقد عرف أن المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو ، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا فى مثل هذا الموضع ، أو

حديث عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق : وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدى ، حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف ، يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب ، فقال : قاتل بهذا ياعكاشة، فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه ، فعاد سيفا فى يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة ، وهو عنده ،قتله طليحة بن خويلد الأسدى فقال طليحة فى ذلك:

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم ... أليسوا وإن لم يسلموا برجال
فإن تك أذواد أصبن ونسوة ... فلن تذهبوا فرغاً بقتل حبال
نصبت لهم صدر الحمالة إنها ... معاودة قيل الكماة نزال
فيوما تراها فى الجلال مصونة ... ويوما تراها غير ذات جلال
عشية غادرت ابن أقرم ثاويا ... وعكاشة الغنمى عند حجال

قال ابن هشام : حبال : ابن طليحة بن خويلد . وابن أقرم : ثابت بن أقرم الأنصارى .

قال ابن إسحاق وعكاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ، قال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم؛ قال : إنك منهم ، أو اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منا خير فارس فى العرب ؛ قالوا : ومن هو يارسول الله ؟ قال : عكاشة بن محصن ، فقال ضرار بن الأزور الأسدى : ذاك رجل منا يارسول الله ، قال : ليس منكم ولكنه منا للحلف .

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين ، فقال : أين مالى يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يبق غير شكة ويعبوب ... وصارم يقتل ضلال الشيب

فيما ذكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى .

طرح المشركين فى القليب : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف . فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمه ، فأقروه ، وألقوا عليه ماغيبه من التراب

ما كثر استعماله جداً كما روى أن رؤبة كان يقول، إذا قيل له كيف أصبحت ؟ خير عافاك الله .

وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أبى جهل حين ذكر مزاحمته له فى مأدبة عبد الله بن جدعان ، وقد تقدم فى المولد التعريف بعبد الله بن جدعان وذكرنا خبر جفنته ، وسبب غناه بعد أن كان صعلوكا ، بأتم بيان .

والحجارة . فلما ألقاهم فى القليب ، وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أهل القليب، هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ماوعدنى ربى حقا ؟ قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ماوعدهم ربهم حقا .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ماقلت لهم ، وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :لقدعلموا

قال ابن إسحاق : وحدثنى حميد الطويل . عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول : ياأهل القليب ، ياعتبة بن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، وياأبا جهل بن هشام ، فعدد من كان منهم فى القليب : هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا ! فقال المسلمون : يارسول الله ، أتنادى قوما قد جيفوا قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ،ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى.

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة : ياأهل القليب ، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، ثم قال : هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا للمقالة التى قال .

شعر حسان فى ذلك : قال ابن إسحاق . وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحى فى الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون ... من الوسمى منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست ... يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم ... ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذى لاعيب فيه ... بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر ... لنا فى المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء ... بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع ... كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه ... على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات ... وكل مجرب خاطى الكعوب
بنو الأوس الغطارف وازرتها ... بنو النجار فى الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا ... وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا فى رجال ... ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا : ... صدقت وكنت ذا رأى مصيب

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا فى القليب ، أخذ عتبة بن ربيعة ، فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغنى – فى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد

تغير لونه ، فقال : ياأبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : لا ، والله يارسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ،وذكرت مامات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجوله أحزننى ذلك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيرا .

الفتية الذين نزل فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) وكان الفتية الذين قتلوا ببدر ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذكرلنا : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، فتية مسمين .
من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الحارث بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد .
ومن بنى مخزوم : أبو قيس بن الفاكه بن المغير بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جمح . على بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

ومن بنى سهم : العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعا .

فىء بدر : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر ،مما جمع الناس ، فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحق به منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبى أمامة الباهلى ـ واسمه صدى بن عجلان فيما قال ابن هشام ـ قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقال : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : حدثنى بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد الساعدى مالك ابن ربيعة ، قال : أصبت سيف بنى عائذ المخزوميين الذى يسمى المرزبان يوم بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل ، أقبلت حتى ألقيته فى النفل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا سئله ، فعرفه الأرقم بن أبى الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .

بشرى الفتح . قال ابن إسحاق . ثم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى

. . . .

أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة قال أسامة بن زيد : أتانا الخبر - حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى كانت عند عثمان بن عفان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلفنى عليها مع عثمان - أن زيد بن حارثة قد قدم. قال : فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل ابن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترى والعاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبت ، أحق هذا ؟ قال : نعم ، والله يا بنى .

الرجوع إلى المدينة : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ، ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذى أصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام : يقال : إنه عدى بن أبى الزغباء :

أقم لها صدورها يابسبس ليس بذى الطلح لها معرس
ولا بصحراء غمير محبس إن مطايا القوم لاتخيس
فحملها على الطريق أكيس قد نصر الله وفر الأخنس

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له : سير - إلى سرحة به . فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد بن رومان : ما الذى تهنئوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة . فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أى ابن أخى ، أولئك الملأ .

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة : قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله على بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبى معيط .

قال ابن هشام : عرق الظبية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والذى أسر عقبة : عبد الله بن سلمة أحد بنى العجلان .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصبية يامحمد ؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبى طالب فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيره من أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند ، مولى فروة بن عمرو البياضى بحميت مملوء حيسا .

. . . .

وقال ابن هشام : الحيت : الزق ، وكان قد تخلف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه ، وانكحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء ، في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب .

قال : تقول سودة : والله إني لعندهم إذ أتينا ، فقيل: هؤلاء الأسارى ، قد أتي بهم قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل قالت : فلاوالله ماملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا متم كراما ، فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة ، أعلى الله ورسوله تحرضين؟ قالت : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت .

قال ابن إسحاق : وحدثني نبيه بن وهب ، أخو بني عبد الدار . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى .

قال : فقال أبو عزيز : مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال : شد يدك به ، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك ، قال :وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها . قال : فأستحيي فأردها على أحدهم ، فيردها علي ما يمسها .

بلوغ مصاب قريش في رجالها إلى مكة :قال ابن هشام : وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر ، وهو الذي أسره ، ما قال قال له أبو عزيز : يا أخي ، هذه وصاتك بي ، فقال له مصعب : إنه أخي دونك . فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها .

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله الخزاعي ، فقالوا : ماوراءك؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البختري بن هشام ، فلما جعل يعدد أشراف قريش ؛ قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فاسئلوه عني ؛ فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالسا في الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال:قال

أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً . قال : وكنت رجلا ضعيفا ، وكنت أعمل الأقداح . أنحتها فى حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى ، وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينما هو جالس إذا قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . قال ابن هشام : واسم أبى سفيان المغيرة ـ قد قدم قال : فقال أبو لهب : هلم إلى ، فعندك لعمرى الخبر ، قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ماهو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، بين السماء والأرض ، والله ماتليق شيئا ، ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة . قال : وثاورته فاحتملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة فلعت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا ، فوالله ماعاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لاتفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه ، فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم لايأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء . قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له . وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النحب ، هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة ، يعنى زمعة ، فإن جوفى قد احترق قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته : فذاك حين يقول الأسود :

أتبكى أن يضل لها بعير	ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بنى هصيص	ومخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى إن بكيت على عقيل	وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمى جميعا	وما لأبى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال	ولولا يوم بدر لم يسودوا

قال ابن هشام : هذا إقواء ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء . وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ماهو أشهر من هذا .

قال ابن إسحاق : وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إن له بمكة ابنا كيسا تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه ، فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرائكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبى وداعة ـ وهو الذى كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنى : صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

فداء سهيل بن عمرو : قال : ثم بعثت قريش فى فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، فقال :

أسرت سهيلا فلا أبتغى　　أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى　　فتاها سهيل إذا يظلم
ضربت بذى الشفر حتى انثنى　　وأكرهت نفسى على ذى العلم

وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، أخو بنى عامر بن لؤى : أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو ، ويدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً .

قال ابن إسحاق وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديث ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذى لنا ، قال : اجعلوا رجلى مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزا مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فديت بأذواد ثمان سبا فتى　　ينال الصميم غرمها لا المواليا
رهنت يدى والمال أيسر من يدى　　على ، ولكنى خشيت المخازيا
وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به　　لابنائنا حتى ندير الأمانيا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز .

أسر عمرو بن أبى سفيان : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب وكان لبنت عقبة بن أبى معيط ـ قال ابن هشام : أم عمرو بن أبى سفيان بنت أبى عمرو ، أخت أبى معيط بن أبى عمرو ـ أسيراً فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرى بدر .

قال ابن هشام : أسره على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : فقيل لأبى سفيان : افد عمراً ابنك ، قال : أيجمع على دمى ومالى ! قتلوا حنظلة ، وأفدى عمراً ! دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك ، محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال ، أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مرية له وكان شيخاً مسلماً ، فى غنم له بالنقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يخشى الذى صنع به ، لم يظن أنه يحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً : وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا ، أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بنى عمـــرو لئام أذلة ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لو كان سعد يوم مكة مطلقا ... لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعة ... تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبعثوا به إلى أبى سفيان ، فخلى سبيل سعد .

قصة زينب بنت الرسول وزوجها أبى العاص : قال ابن إسحاق : وقـــد كان فى الأسارى أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب .

قال ابن هشام : أسره خراش بن الصمة ، أحد بنى حرام .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين : مالا ، وأمانة ، وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد ، وكانت خديجة خالته . فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى ، فزوجه ، وكانت تعده بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقنه ، وشهدن أن ما جاء به الحق ، ودن بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبى لهب رقية ، أو أم كلثوم . فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا إنكم قد فرغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته ، فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبى العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ، قال : لا والله ، إنى لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره خيراً ، فيما بلغنى . ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ونحن ننكحك أية امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص ، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهوانا له ، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم ، مغلوبا على أمره وكان الإسلام قـــد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت قريش إلى بدر ، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه ، وردوا عليها الذى لها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أن يخلى سبيل زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه فى إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ما هو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه ، فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتيانى بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر او شيعه . فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة ، فقالت : يا بنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت: ما أردت ذلك ، فقالت . أى ابنة عمى ، لا تفعلى، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سيرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك ، فلا تضطنى منى ، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكنى خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً ، فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقودبها ، وهى فى هودج لها . وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، والفهرى بالرمح وهى فى هودجها ، وكانت المرأة حاملا ـ فيما يزعمون ـ فلما ريعت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهماً ، فتكركر الناس عنه . وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا فى ذلك من ثورة ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلها سراً ، وألحقها بأبيها ، قال : ففعل . فأقامت ليالى ، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رواحة ، أو أبو خثيمة ، أخو بنى سالم بن عوف ، فى الذى كان من أمر زينب ، قال ابن هشام : هى لأبى خيثمة :

أتانى الذى لا يقدر الناس قدره لزينب فيهم من عقوق ومأثم
وإخراجها لم يخز فيها محمد على مأقط وبيننا عطر منشم

وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم ... ومن حربنا فى رغم أنف ومندم
قرنا ابنـــه عمرا ومولى يمينه ... بذى خلق جلد الصلاصل محكم
فأقسمت لا تنفك منا كتائب ... سراة خميس فى لهام مســـوم
نزوع قريش الكفر حتى نعلها ... بخاطمـــة فوق الأنوف بميسم
ننزلهم أكناف نجد ونخـــلة ... وإن يتهموا بالخيل والرجل نتهم
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا ... ونلحقهم آثار عاد وجرهم
ويندم قوم لم يطيعوا محمداً ... على أمرهم وأى حين تنـــدم
فأبلغ أبا سفيان إما لقيته ... لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم
فأبشر بخزى فى الحياة معجل ... وسربال قار خالداً فى جهنم

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عامر بن الحضرمى ، كان في الأسارى ، وكان حلف الحضرمى إلى حرب بن أمية .

قال ابن هشام : مولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عقبة بن الحارث بن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فقتل يوم بدر .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة ، فقالت لهم :

أفى السلم أعياراً جفاء وغلظة ... وفى الحرب أشباه النساء العوارك

وقال كنانة بن الربيع فى أمر زينب ، حين دفعها إلى الرجلين :

عجبت لهبار وأوباش قومه ... يريدون إخفارى ببنت محمد
ولست أبالى ما حييت عديدهم ... وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن سليمان بن يسار ، عن أبى إسحاق الدوسى ، عن أبى هريرة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها ، فقال لنا : إن ظفرتم بهبار بن الأسود ، أو الرجل الذى سبق معـــه إلى زينب ـ قال ابن هشام : وقـــد سمى ابن إسحاق الرجل فى حديثه وقال : هو نافع بن عبد قيس ـ فحرقوهما بالنار . قال : فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما .

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشأم ، وكان رجلا مأمونا ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه . فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا ، لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا مامعه ، وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته وجاء فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ـ كما حدثنى يزيد بن رومان ـ فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب

من صفة النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع . قال : فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ،هل سمعتم ماسمعت ؟ قالوا : نعم ، قال : أما والذى نفس محمد بيده ماعلمت بشىء من ذلك حتى سمعت ماسمعتم ، إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بنية ، أكرمى مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لاتحلين له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له ، فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم : فأنتم أحق به ، فقالوا يارسول الله ، بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو ، ويأتى الرجل بالشنة وبالإداوة ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ ، حتى ردوا عليه ماله بأسره ، لايفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه . ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيا كريما قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والله مامنعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم ،فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئا .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة : أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين ، قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ،فإنها أموال المشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ماأبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى .

قال ابن هشام : وحدثنى عبد الوارث بن سعيد التنورى ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر الشعبى ، بنحو من حديث أبى عبيدة ، عن أبى العاص .

من أطلقوا بغير فداء : قال ابن إسحاق : فكان ممن سمى لنا من الأسارى ممن من عليه بغير فداء ، من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بنى مخزوم بن يقظة : المطلب بن حنطب بن الحارث عبد عبيدة بن عمر بن مخزوم ، كان لبعض بنى الحارث بن الخزرج ، فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله ، فلحق بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصارى ، أخو بنى النجار .

قال ابن إسحاق : وصيفى بن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك فى أيدى أصحابه ، فلما لم يأت أحد فى فدائه أخذوا عليه ليبعثن إليهم بفدائه ، فخلوا سبيله ، فلم يف لهم بشىء ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

وما كان صيفى ليوفى ذمة   قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

. . . .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأبو عزة ، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح ، كان محتاجاذا بنات فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذو حاجة ، وذو عيال ، فامنن على ؛ فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً . فقال أبو عزة فى ذلك ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر فضله فى قومه :

من مبلغ عنى الرسول محمداً ... بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة ... لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربته لمحارب ... شقى ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بدراً وأهله ... تأوب مابى : حسرة وقعود

ثمن الفداء : قال ابن هشام : كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشىء له ، فمن رسول الله صلى الله عيله وسلم عليه .

خبر عكاشة بن محصن : يقال فيه عكاشة بالتشديد والتخفيف ، وهو من عكش على القوم إذا حمل عليهم ، قاله صاحب العين ، وقال غيره العكاشة العنكبوت ، وأما سيفه الذى كان جزلا من حطب ، فقد قيل إنه لم يزل متوارثاً عند آل عكاشة ،وقدروى مثل قول عكاشة فى السيف عن عبد الله بن جحش ، وسيأتى ذكرها عند غزوة أحد ، وأما قوله :

فلن يذهبوا فرعاً بقتل حبال

فالفرع أن يطل الدم ، ولا يطلب بثأره ، وحبال : هو ابن أخى طليحة لاابنه ، وهو حبال بن مسلمة بن خويلد ومسلمة : أبوه هو الذى قتل عكاشة ، اعتنقه مسلمة وضربه طليحة على فرس ، يقال لها : اللزام ، وكان ثابت على فرس يقال لها : المحبر ، وقصته مشهورة فى أخبار الردة .

وذكر الواقدى فى الردة بعد قوله :

فيوماً تراها فى الجلال مصونة ... ويوم تراها فى ظلال عوال

إلى آخر الشعر :

وذكر فى الخبر أن عكاشة وثابت بن أقرم البلوى حليف الأنصار كانا فى جيش خالد حين نهد إلى طليحة ، فاستقدما أمام جيش خالد المسلمين ، فوقعا فى خيل لطليحة ، وهو فيهم ، فاستشهدا معاً ، وذلك فى يوم بزاخة ، كذلك قال كل من ألف فى السير إلا سليمان التيمى ، فإنه ذكر أن عكاشة قتل فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى أسد ، والأول هو المعروف .

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعكاشة حين قال : ادع الله يارسول الله أن يجعلنى منهم ،فدعا له ، ثم قام رجل آخر ، فقال : أدع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة . هكذا الحديث فى الصحاح ، وزاد ابن إسحاق : وبردت الدعوة .

وذكر أبو عمر النمرى عن بعض أهل العلم ، ولم يسمهم أن الرجل الذى قيل له : سبقك بها عكاشة كان منافقا ، ولذلك لم يدع له رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال المؤلف :وهذا لا يصح ؛ لأن فى مسند البزار من طريق أبى صالح عن أبى هريرة فى هذا الحديث قال : فقام رجل من خيار المهاجرين ، فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال ابن بطال معنى قوله : سبقك بها عكاشة ، أى : سبقك بهذه الصفة التى هى صفة السبعين ألفا ، ترك التطير ونحوه ، ولم يقل : لست منهم ، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام ، وتلطفه فى الكلام لاسيما مع أصحابه الكرام .

قال المؤلف رضى الله عنه : والذى عندى فى هذا أنها كانت ساعة إجابة علمها عليه السلام ، فلما انقضت ، قال للرجل ما قال ، يبين هذا حديث أبى سعيد الخدرى ، فإنه قال فيه بعد ذكر عكاشة ، فقام رجل آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم سكتوا ساعة يتحدثون ، ثم قام الثالث ، فقال ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ، وصاحبه ، ولو قلت لقلت ، ولو قلت لوجبت ، وهى فى مسند بن أبى شيبة ،وفى مسند البزار أيضاً . ويقوى هذا المعنى أيضاً رواية بن إسحاق . فإنه زاد ، فقال فيها سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة ، فقف على ما ذكرته فى تفسير حديث عكاشة ، فإنه من فوائد هذا الكتاب . وممن لم يشهد بدراً لعذر ، وهو من النقباء سعد بن عبادة سيد الخزرج ، لأنه نهشته حية ، فلم يستطع الخروج هذا قول القتبى ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ، ولا ابن عقبة فى البدريين . وقد ذكره طائفة فيهم ، منهم ابن الكلبى وجماعة

نداء أصحاب القليب : وقوله عليه السلام : ياعتبة بن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة : الحديث ، يجوز ياشيبة ابن ربيعة ، بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعا ، أما من يقول : جاءنى زيد بن فلان بالتنوين ، فهو الذى يقول : يازيد ابن بضم الدال ، ويكتب بن بالألف على هذا ، ومن يقول جاءنى زيد بن بلا تنوين ، فهو الذى يقول فى النداء يازيد بن بنصب الدال ، ويكتب ابنا بغير ألف ، لأنه جعل الابن مع ماقبله اسما واحدا ، فعلى هذا تقول ياحارث ابن عمرو فتكتبه بألف ، لأنك أردت ياحارث بالضم ، لأنك لو أردت ياحارث بن بالنصب لم ترخمه ، لأنه قد صار وسط الاسم ، وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك : امرأ ، وكذلك قوله : ويا أبا جهل بن هشام إن نونت اللام من أبى جهل كتبت الابن بألف ، وإن لم تنونه كتبته بغير ألف .

وذكر إنكار عائشة أن يكون عليه السلام قال : لقد سمعوا ماقلت ، قالت : وإنما قال : لقد علموا أن الذى كنت أقول حق . قال المؤلف : وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام ، وقد قالوا له : يارسول الله أتخاطب قوما قد جيفوا أو أجيفوا ، فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، وإذا جاز أن يكونوا فى تلك الحال عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين ، إما بآذان رءوسهم إذا قلنا : إن الروح يعاد إلى الجسد أو بعض الجسد عند المساءلة ، وهو قول الأكثرين من أهل السنة ،وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح ، من غير رجوع منه إلى الجسد ،أو إلى بعضه ،وقد روى أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه : « وما أنت بمسمع من فى القبور » وهذه الآية كقوله تعالى : « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى » أى : إن الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب ، لا أنت ، وجعل الكفار أمواتا وصما على جهة التشبيه بالأموات ، وبالصم ، فالله هو الذى يسمعهم على الحقيقة ، إذا شاء لا نبيه ، ولا أحد ، فإذاً لا تعلق بالآية من وجهين ، أحدهما : أنها إنما نزلت فى دعاء الكفار إلى الإيمان .

الثانى : أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم ، وصدق الله فإنه لايسمعهم إذا شاء إلا هو ، ويفعل ماشاء ، وهو على كل شىء قدير .

شعر حسان : فصل : وذكر شعر حسان وقال فيه :

كخط الوحى فى الورق القشيب

القشيب فى اللغة : الجديد ، ولامعنى له فى هذا البيت ، لأنهم إذ وصفوا الرسوم وشبهوها بالكتب فى الورق فإنما يصفون الخط حينئذ بالدروس والامحاء ، فإن ذلك أدل على عفاء الديار وطموس الآثار ، وكثرة ذلك فى الشعر تغنى عن الاستشهاد عليه ، ولكن منه قول النابغة :

وقفت فيها أصيلانا أسائلها ... عيت جوابا وما بالربع من أحد
إلا الأوارى لأياما أبينها ... والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

وقول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأياً عرفت الدار بعد توهم

وقال آخر :

وإلا رسوم الدار قفراً كأنها ... سطور محاها الباهلى بن أصمعا

ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذى خالطه ما يفسده ، إما من دنس، وإما من قدم ، يقال : طعام مقشب إذا كان فيه السم . وقال الشاعر :

نحر تخاله نسراً قشيبا

معناه : مسموم ، لأن القشب هو السم قاله ابن قتيبة فى تفسير حديث آخر من يخرج من النار ، وفيه قشبنى ريحها ، وأحرقنى ذكاها . وقال أبو حنيفة فى القشب هو : نبات رطب مسموم ينصب لسباع الطير فى لحم، فإذا أكلته ماتت ، قال : والعرب يجنبونه ماشيتهم فى المرعى ، كى لاتحطمه ، فيفوح من ريحه مايقتلها ، فقوله فى البيت الذى استشهد به القتبى : تخاله نسراً قشيبا ، أى : نسرا أكل ذلك القشب فى اللحم والله أعلم ، قال : والألب أيضاً ، ضرب من القشب ، إن وجدت ريحه سباع الطير عميت وصمت ، وإن أكلته ماتت قال : والضجاج أيضاً : كل نبات مسموم .

معنى إلقائهم فى القليب ، ومافيه من الفقه : فصل : فإن قيل : مامعنى إلقائهم فى القليب ومافيه من الفقه ؛ قلنا : كان من سنته عليه السلام فى مغازيه إذا مر بجيفة إنسان أمر بدفنه لايسأل عنه مؤمنا كان أو كافراً ، هكذا وقع فى السنن للدارقطنى ، فإلقاؤهم فى القليب من هذا الباب ، غير أنه كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم ، فكان جرهم إلى القليب أيسر عليهم ، ووافق أن القليب حفره رجل من بنى النار ، اسمه بدر ، فكان فألا مقدماً لهم ، وهذا على أحد القولين فى بدر ، والله أعلم .

عود إلى شعر حسان: وفى شعر حسان أيضاً:

بنو الأوس الغطارف وازرتها

ولو قال آزرتها بالهمز لجاز ، وكان من الأزر ، وفى التنزيل فآزره أى : شد أزره، وقواه ، ولكن أراد

. . . .

حسان معنى الوزير ، فإنه سمى وزيراً من الوزر ، وهو الثقل لإنه يحمل عن صاحبه ثقلا ويعينه ، وقيل هو من الوزر ، وهو الملجأ ، لأن الوزير يلجأ إلى رأيه ، وقد ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر : آزرتها مصلحا بغير واو إلا أن وازرتها وزنه : فاعلت ، وآزرت وزنه أفعلت .

وقوله :

وعتبة قد تركنا بالجبوب

الجبوب اسم للأرض ، لانها تجب أى تحفر وتجب من دفن فيها ، أى تقطعه ، وهذا القول أولى ، لأنهم قالوا جبوب مثل : صبور وشكور فى المؤنث ، ولم يقولوا جبوبة ، فيكون من باب حلوبة وركوبة ، ويدخلون فيها الألف واللام تارة ، فيقولون : الجبوب ، كما فى هذا البيت ، وتارة يجعلونه اسماً علماً ، فيقولون: جبوب ، مثل شعوب قال الشاعر :

بنى على قلبي وعيني مكانه ثوى بين أحجار رهين جبوب

ومنه قيل : جبان وجبانة للأرض التى يدفن فيها الموتى ، فهو فعلان من الجب والجبوب ، وهو قول الخليل فى معنى الجبان ، وغيره يجعله فعالا من الجبن .

وقوله :

خاطى الكعوب

أى مكتنز الكعوب قويها ، وقول حسان . الغطارف أراد : الغطاريف كما تقدم فى شعر الجرهمى :

تظل بها أمنا وفيها العصافر

أراد العصافير ، وحذف الياء ضرورة .

معنى قول ابن أبى بكر : فصل : وذكر قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين مالى ياخبيث ، فقال :

لم يبق إلا شكة ويعبوب

الشكة : السلاح ، واليعبوب من الخيل : الشديد الجرى ، ويقال : الطويل ، والأول أصح ، لانه مأخوذ من عباب الماء ، وهو شدة جريه ، ويقال للجدول الكثير الماء : يعبوب ، وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس اسمه : السكب وهو من سكبت الماء ، فهذا يقوى معنى اليعبوب ، وذكر غير ابن إسحاق أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال لابيه بعد ما أسلم : ياأبت لقد أهدفت لى يوم بدر مراراً فصدفت عنك ، فقال لو كنت أهدفت لى أنت ما صدفت عنك .

لغويات وأنساب : فصل : وذكر تنازعهم فى النفل ، وما احتجت به الطائفة الذين كانوا يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، والعريش: كل ما أظلك وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت فهو عرش لك ، لا عريش أيضا ، والعريش فيما ذكر أبو حنيفة أربع نخلات أو خمس فى أصل واحد .

. . . .

وذكر قول أبى أسيد :وجدت يوم بدر سيف بنى عابد الذى يقال له المرزبان . بنو عابد فى بنى مخزوم ، وهم بنو عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وأما بنو عائذ بالياء والذال المعجمة ، فهم بنو عائذ بن عمران بن مخزوم رهط آل المسيب ، والأولون رهط آل بنى السائب .

وأما قوله : فقسمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بواء يقول : على سواء ، فقد رواه أبو عبيد فى الأموال ، فقال فيه : فقسمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن فواق ، وفسره ، فقال : جعل بعضهم فوق بعض ، أى فضل فى القسم من رأى تفضيله ، وفى غريب الحديث قول آخر ، وهو أن معنى عن فواق : السرعة فى القسم كفواق الناقة ، ، ورواية ابن إسحاق أشهر وأثبت عند أهل الحديث .

سبب نزول اول الانفال : وفى الحديث الذى ذكره أبو عبيد أن سعد بن أبى وقاص ، قال : قتلت يوم بدر العاصى بن سعيد بن العاصى ، وأخذت سيفه ، وكان يقال له : ذو الكتيفة . فأتيت به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلت : يارسول الله ، نفلنيه ، فأمرنى أن أجعله فى القبض ، فأخذنى مالا يعلمه إلا الله ، فقلت : قتل أخى عمير وأخذ سلبى فأنزل الله:« يسئلونك عن الأنفال» الآية ، فأعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف ، قال أبو عبيد وأهل السير يقولون : قتل العاصى بن سعيد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

عقبة بن ابى معيط : فصل : وذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل عقبة بن أبى معيط ، قال وكان الذى أسره عبد الله بن سلمة ، وسلمة هذا بكسر اللام ، وهو سلمة بن مالك أحد بنى العجلان، بلوى بالنسب، أنصارى بالحلف ، قتل يوم أحد شهيداً،وأما عقبة بن أبى معيط ، فاسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو ، واسمه ذكوان بن أمية ،يقال : كان أمية ، قد ساعى أمة أو بغت أمة له،فحملت بأبى عمرو فاستلحقه بحكم الجاهلية ، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ لعقبة حين قال: أأقتل من بين قريش صبراً ، فقال عمر :حن قدح ليس منها ، يعرض بنسبه، وذلك أن القداح فى الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلح واليمن فيستعار لذلك ، ويسمى . المنيح ، فإذا حرك فى الربابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح ، فيقال حينئذ : حن قدح ليس منها ، فتمثل عمر بهذا المثل ، يريد أن عقبة ليس من قريش ، وكذلك روى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال حينئذ : إنما أنت يهودى من أهل صفورية ، ، لأن الأمة التى ولدت أباه كانت ليهودى من أهل صفورية ، واسمها : ترنى ، قاله القتبى ، وكذلك قال دغفل بن حنظلة النسابة لمعاوية حين سأله : هل أدركت عبد المطلب ؟ فقال : نعم أدركته شيخا وسيما قسيما جسيما يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم ، قال : فهل رأيت أمية بن عبد شمس ؟ قال : نعم رأيته أخيفش أزيرق دميما ، يقوده عبده ذكوان ، فقال : ويحك ذاك ابنه أبو عمرو ، فقال دغفل : أنتم تقولون ذلك .

نسب بنى أمية : قال المؤلف : وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بنى أمية ، وفى نسب أمية نفسه مقالة أخرى تعم جميع الفصيلة ، وهى ماروى عن سفينة مولى أم سلمة حين قيل له : إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقال : كذبت استاه بنى الزرقاء ، بل هم ملوك، ومن شر الملوك ، فيقال : إن الزرقاء هذه هى أم أمية بن عبد شمس ، واسمها أرنب ، قاله الأصبهانى فى كتاب الأمثال ، قال : وكانت فى الجاهلية من صواحب الرايات .

قال المؤلف رضى الله عنه : وقد عفا الله عن أمر الجاهلية ، ونهى عن الطعن فى الأنساب ، ولو لم يجب الكف عن نسب بنى أمية إلا لموضع عثمان بن عفان رضى الله عنه ، لكان حرى بذلك .

أبو هند الحجام : فصل وذكر أبا هند الحجام ، وأنه لتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر . أبو هند اسمه : عبد الله ، وهو مولى فروة بن عمرو البياضى ، وأما طيبة الحجام فهو مولى بنى حارثة ، واسمه : نافع ، وقيل : دنير وقيل ميسرة ، ولم يشهد بدراً .

أسارى بدر

ذكر فيهم أبا عزيز بن عمير حين مر به ، وهو أسير على أخيه مصعب ، فقال مصعب للذى أسره أشدد يديك به وذكر الحديث .

قال المؤلف رحمه الله : وقد تقدم فى باب الهجرة خبر إسلام مصعب ، وما كانت أمه تصنع به ، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع ، فأما أبو عزيز ، فاسمه زرارة ، وأمه التى أرسلت فى فدائه أم الخناس بنت مالك العامرية ، وهى أم أخيه مصعب ، وأخته هند بنت عمير ، وهند هى أم شيبة بن عثمان صاحب الكعبة ، جد بنى شيبة ، أسلم أبو عزيز ، وروى الحديث ، وأسلم أخوه أبو الروم ، وأبو يزيد ، ولا خفاء بإسلام مصعب أخيه ، وغلط الزبير بن بكار ، فقال : قتل أبو عزيز يوم أحد كافراً ، ولم يصح هذا عند أحد من أهل الأخبار ، وقد روى عنه نبيه بن وهب وغيره ، ولعل المقتول بأحد كافراً أخ لهم غيره .

خبر **أبى رافع** : اسم أبى رافع : أسلم ، وقال ابن معين اسمه إبراهيم ، وقيل اسمه : هرمز ، وكان عبداً قبطياً للعباس ، فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباس وبشر أبو رافع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسلامه فأعتقه ، فكان مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل : كان عبداً لبنى سعيد بن العاصى ، وهم عشرة فأعتقوه إلا خالد بن سعيد ، فإنه وهب حصته فيه للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأول أصح ، توفى فى قول الواقدى قبل مقتل عثمان بيسير .

وذكر أبا لهب وضربه لأبى رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أم الفضل له وضربها لأبى لهب ، وأم الفضل هى لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة ، وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد ، وولدت أم الفضل من العباس سبعة قال الشاعر :

ما ولدت نجيبة من فحل   كسبعة من بطن أم الفضل

وهم عبد الله وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، والفضل ، ومعبد ، وقثم ، ويقال فى السابع : كثير بن العباس ، والأصح فى كثير أن أمه رومية ، ولم تلد أم الفضل من العباس إلا من سمينا وأختا لهم ، وهى أم حبيب ، وقد ذكرها ابن إسحاق فى رواية يونس ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رآها وهى طفلة تدب بين يديه . فقال : إن بلغت هذه وأنا حى تزوجتها ، فقبض عليه السلام قبل أن تبلغ فتزوجها سفيان بن الأسود بن عبد الأسد المخزومى فولدت له رزقا ولبابة .

وذكر ابن إسحاق أن أبا لهب حين ضربته أم الفضل بالعمود على رأسه قام منكسراً ، ولم يلبث إلا يسيراً ،

حتى رماه الله بالعدسة فقتله .

وذكر الطبرى فى كتابه أن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ، ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما رمى بها أبو لهب ، تباعد عنه بنوه ، فبقى ثلاثا لا تقرب جنازته ، ولا يدفن ، فلما خافوا السبة دفعوه بعود فى حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن إسحاق فى رواية يونس لم يحفروا له ، ولكن أسند إلى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط ووورى. وذكر أن عائشة كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها ، وفى صحيح البخارى أن بعض أهله رآه فى المنام فى شر رحيبة ، وهى الحالة ، فقال : مالقيت بعدكم ، يعنى راحة، غير أنى سقيت فى مثل هذه بعتقى ثويبة ، هكذا فى روايه الأصيلى عن أبى زيد ، وفى رواية غيره ، قال : مالقيت بعدكم راحة ، غير أنى سقيت فى مثل هذه ، وأشار إلى النقرة بين السبابة والإبهام ، بعتقى ثويبة ، وفى غير البخارى أن الذى رآه من أهله هو أخوه العباس ، قال : مكثت حولا بعد موت أبى لهب لا أراه فى نوم ، ثم رأيته فى شر حال ، فقال : مالقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عنى كل يوم اثنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وكانت ثويبة قد بشرته بمولده ، فقالت له : أشعرت أن آمنة ولدت غلاما لأخيك عبد الله ؟ فقال لها : اذهبى ، فأنت حرة ، فنفعه ذلك ، وهو فى النار كما نفع أخاه أبا طالب ذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — فهو أهون أهل النار عذابا ،وقد تقدم فى باب أبى طالب أن هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب ، وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف ، أى لايجده فى ميزانه ولا يدخل به جنة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل ثويبة من المدينة ويتحفها، لأنها كانت أرضعته ، وأرضعت عمه حمزة ، ولما افتتح مكة سأل عنها ، وعن ابن لها اسمه : مسروح ، فأخبر أنهما قد ماتا

ضبيرة وابن الدخشم : وذكر المطلب بن وداعة بن ضبيرة ، وقد ذكر الخطابى عن العنبرى أنه يقال فيه : ضبيرة بالضاد المعجمة ، واسم أبى ضبيرة : عوف .

وذكر مالك ، بن الدخشم ويقال فيه : الدخيش ، ويقال فيه : ابن الدخيش ويقال : إنه الذى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الأنصار ، فلم يدر ما ساره به حتى جهر للنبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يستأذنه فى قتله ، وهو فى حديث الموطأ ، والذى ساره هو عتبان بن مالك، وقد برأ النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم من النفاق ، حيث قال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قالوا : بلى ، قال أليس يصلى ؟ قالوا : بلى ، فقال فى حديث الموطأ : أولئك الذين نهانى الله عنهم ، وقال فى حديث مسلم : فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله .

مكرز وشعره : وذكر مكرز ، وقد تقدم فى اسم مكرز أنه يقال بكسر الميم وفتحها ، ولكن لا يروى فى السيرة إلا بالكسر .

وقول مكرز :

فديت بأذواد ثمان سباقى

بكسر الثاء من ثمان ، لأنه جمع ثمين ، مثل سمين وسمان .

أبو العاصى بن الربيع وزينب بنت الرسول : وذكر أبا العاصى بن الربيع بن عبدالعزى ، واسم أبى العاصى: لقيط ، وقيل فيه : هاشم وقيل مهشم ، وقيل هشيم ، وهو الذى يقول فى أهله زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان بالشام حين قالها :

. . . .

ذكرت زينب لما يممت إضما   فقلت : سقياً لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة   وكل بعل سيثني بالذى علما

ولدت له زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامة وعلياً ، مات على وهو صغير ، وتزوج أمامة على بن أبي طالب ، وتزوجها بعده المغيرة بن نوفل ، وهى التى جاء فيها الحديث رواه عمرو بن سليم الزرقى عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ، وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث ، قال عمرو بن سليم : كانت تلك الصلاة صلاة الصبح ، هكذا رواه ابن جريج عن ابن عتاب عن عمرو بن سليم ، ورواه ابن إسحاق فى غير السيرة عن المقبرى عن عمرو بن سليم ، فقال فيه : فى إحدى صلاتى الظهر أو العصر ، وكان الذى أسر أبا العاصى من الأنصار عبد الله بن جبير ، ذكره غير ابن إسحاق ، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبى لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت « تبت يدا أبى لهب » فأما عتيبة فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه ، وهم نيام حوله ، وأما عتبة ومعتب ابنا أبى لهب ، فأسلما ولهما عقب .

وقوله فى خبر هند فلا تضطنى منى . تضطنى ، أى : لا تنقبضى عنى وشاهده :

إذا ذكرت مسعاة والده اضطنى   ولا يضطنى من شتم أهل الفضائل

هكذا وجدته فى حاشية الشيخ ، وقد روى هذا البيت فى الحماسة : يضنى بالضاد المعجمة ، وكأنه يفعل من الضنى وهو الضعف .

فصل : وذكر خروج زينب بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من مكة ، واتباع قريش لها ، قال : وسبق إليها هبار بن الأسود والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس ، هكذا ذكره البزار فيما بلغنى .

وذكر أن زينب حين روعها هبار بن الأسود ألقت ذا بطنها ، وزاد غير ابن إسحاق أنه نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة ، وهى حامل فهلك جنينها ، ولم تزل تهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بعلها أبى العاصى .

وذكر الزبير أن هبار بن الأسود لما أسلم وصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان المسلمون يسبونه بما فعل ، حتى شكا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : سب من سبك يا هبار ، فكف الناس عن سبه بعد . ولدت زينب أمامة وهى التى جاء فيها الحديث رواه عمرو بن السليم بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى عن أبى قتادة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلى وهو حامل امامة بنت زينب الحديث . قال عمرو بن سليم إلى آخر ما تقدم قريبا .

وذكر شعر ابن رواحة ، وقيل بل قالها أبو خيثمة ، وفيها :

على مأقط وبيننا عطر منشم

المأقط : معترك الحرب ، وعطر منشم كناية عن شدة الحرب ، وهو مثل ، وأصله - فيما زعموا - أن منشم كانت

. . . .

امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب ، فيشترى منها للموتى ، حتى تشاءموا بها لذلك ، وقيل : إن قوما تحالفوا على الموت، فغمسوا أيديهم فى طيب منشم المذكورة تأكيداً للحلف ، فضرب طيبها مثلا فى شدة الحرب ، وقيل: منشم امرأة من غدانة ، وهو بطن من تميم ، ثم من بنى يربوع بن حنظلة وأن هذه المرأه هى صاحبة يسار الذى يقال له يسار الكواعب ، وأنه كان عبداً لها ، وأنه راودها عن نفسها ، فقالت له : أمهل حتى أشمك طيب الحرائر ، فلما أمكنها من أنفه أنحت عليه بالموسى حتى أوعبته جدعا ، فقيل فى المثل . لاقى الذى لاقى يسار الكواعب ، فقيل : عطر منشم .

وفى الشعر :

بذى حلق جلد الصلاصل محكم

يعنى : الغل ، والصلاصل جمع : صلصلة ، وهى صلصلة الحديد :

وذكر قول هند بنت عتبة لفل قريش حين رجعوا من بدر :

أفى السلم أعياراً جفاء وغلظة وفى الحرب أشباه النساء العوارك

يقال : عركت المرأة ودرست وطمثت إذا حاضت ، وقد قيل أيضا يقال : ضحكت إذا حاضت ، وتأول عليه قوله تعالى « فضحكت فبشرناها بإسحاق » وقد قيل أيضا : وقال : أكبرت المرأة إذا حاضت ، وحمل بعضهم عليه قوله تعالى : « أكبرنه وقطعن أيديهن » والهاء على هذا القول من أكبرنه عائدة على المصدر ، وهو تأويل ضعيف، ونصب أعياراً على الحال ، والعامل فيه فعل مختزل لأنه أقام الأعيار مقام اسم مشتق ، فكأنه قال : أفى السلم بلداء جفاة مثل الأعيار ، ونصب جفاء وغلظة نصب المصدر الموضوع موضع الحال ، كما تقول : زيد الأسد شدة، أى يماثله مماثلة شديدة ، فالشدة صفة للمماثلة ، كما أن المشافهة صفة للمكالمة، إذا قلت : كلمته مشافهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة ، وتعلق حرف الجر من قولها : أفى السلم ، بما أدته الأعيار من معنى الفعل ، فكأنها قالت : أفى السلم تتبلدون ، وهذا الفعل المختزل الناصب للأعيار لا يجوز إظهاره للسر الذى نبهنا عليه فى قول المبرق :

وعائذاً بك أن يعلوا فيطغونى

انظره فى الهجرة إلى الحبشة .

وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم رد زينب على أبى العاصى على النكاح الأول ، لم يحدث شيئا بعد ست سنين ، ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد ، وهذا الحديث هو الذى عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسناداً عند أهل الحديث ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : « لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن » ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول، أى : على مثل النكاح الأول، فى الصداق والحباء لم يحدث زيادة على ذلك من شرط، ولا غيره .

قتل بلال لأمية بن خلف : وذكر قتل بلال لأمية بن خلف ولم يذكر شعره فى ذلك ، وذكره ابن إسحاق فى غير هذه الرواية وهو :

إسلام عمير بن وهب وتحريض صفوان له على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة : وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير ، قال : فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان : والله إن في العيش بعدهم خير ، قال عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم علة : ابني أسير في أيديهم، قال : فاغتنمها صفوان وقال : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم شأني وشأنك ، قال : أفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشحذ له وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا ، وحزرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، هذا عـــدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله علي ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها ، وقال لرجال ممن كانوا

فلما التقينا لم نكذب بحملة	عليهم بأسياف لنا كالعقائق
ومطرورة حمر الظباة كأنها	إذا رفعت أشطان ذات الأبارق
بني جمح قد حل قعص بشيخكم	على ماء بدر رأس كل منافق
هجمنا عليه الموت واشتجرت به	مصاليت للأنصار غير زواهق
هوى حين لاقانا وفرق جمعه	على وجهه في النار من رأس حالق

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن حماد بن سلمة أن أمية حين أحاطت به الأنصار ، قال : يا أحد رأي ، أما لكم باللبن حاجة ؟ قال : وكان أمية يذكر بفصاحته، ومعنى هذا الكلام : هل رأى أحد مثل هذا، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مقاتل بن سليمان ، قال : قال النضر بن الحارث حين نزلت « قل : إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » ، وكان النضر قد قال : الملائكة بنات الرحمن ،فلما سمع الآية قال ألا تراه قد صدقني ، فقال له أمية بن خلف ـ وكان أفصح منه ـ لا والله ، بل كذبك ، فقال : ما كان للرحمن من ولد، وروى عن ثعلب أنه قال في قول أمية ، يا أحد : يا استفتاح ، ومعناه يا هؤلاء أحد راه .

معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله ياعمر ، ادن ياعمير ، فدنا ثم قال : إنعموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير ، بالسلام : تحية أهل الجنة : فقال : أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال : فما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه ، قال فما بال السيف فى عنقك؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال : اصدقنى ، ما الذى جئت له ؟ قال : ماجئت إلا لذلك ، قال ، بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وقد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، ومايتزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ماأتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ففعلوا .

ثم قال : يارسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لى ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم ؟ قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب ، يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، فقال : أين أى سراق ؟ ومثل عدو الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم » . فذكرا استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقة ابن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا مابينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : « فلما تراءت الفئتان ، ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم « نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لاترون » وصدق عدو الله ، رأى مالم يروا ، وقال : « إنى أخاف الله ، والله شديد العقاب » فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لاينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوردهم ثم أسلمهم .

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم :

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم ... تزجون أنفال الخميس العرمرم

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قومى الذين هم آووا نبيهم ... وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف ... للصالحين مع الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم ... لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلا وسهلا ففى أمن وفى سعة ... نعم النبى ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لايخاف بها ... من كان جارهم داراً هى الدار
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين العلم ماساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إنى لكم جار فأوردهم ... شر الموارد فيه الخزى والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم ... من منجدين ومنهم فرقة غاروا

قال ابن هشام : أنشدنى قوله « لما أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الأنصارى.

المطعمون من قريش

قال ابن إسحاق : وكان المطعمون من قريش، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، يعتقبان ذلك .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ، أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد ، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، يعتقبان ذلك

ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو جهل بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .

ومن بنى جمح : أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

ومن بنى سهم بن عمرو : نبيها ومنبها ابنى الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، يعتقبان ذلك .

ومن بنى عامر بن لؤى ، سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر .

اسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل ، فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وكان يقال له السبل ، وفرس المقداد بن عمرو البهراني ، وكان يقال له : بعزجة ، ويقال : سبحة، وفرس الزبير بن العوام ، وكان يقال له : اليعسوب .

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال تصف احداث بدر

قال ابن إسحاق : فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه « يسئلونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

فكان عبادة بن الصامت — فيما بلغني — إذا سئل عن الأنفال ، قال : فينا معشر أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا، فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بيننا عن بواء - يقول : على السواء - وكان في ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين .

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشاً قد ساروا إليهم ، وإنما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة ، فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » : أي كراهية للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قريش ، حين ذكروا لهم « وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » : أي الغنيمة دون الحرب « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » : أي بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر « إذ تستغيثون ربكم » أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم « فاستجاب لكم » بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم « أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » . « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » : أي أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون « وينزل عليكم من السماء ماء » للمطر الذي أصابهم تلك الليلة ، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء ، وخلى سبيل المسلمين إليه « ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » : أي ليذهب عنكم شك الشيطان ، لتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوهم .

ثم قال تعالى : « إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا » : أي آزروا الذين آمنوا « سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » ، ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير » : أي تحريضاً لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم .

ثم قال تعالى فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحصباء من يده ، حين رماهم : « وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى » أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً » : أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوهم ، وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته

ثم قال : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » : أى لقول أبى جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة . والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

يقول الله جل ثناؤه : « وإن تنتهوا » : أى لقريش «فهو خير لـكم وإن تعودوا نعد» : أى بمثل الوقعة التى أصبنا كم بها يوم بدر . « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين » :أى أن عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تغنى عنكم شيئاً ، وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .

ثم قال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » : أى لاتخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه ، « ولا تـكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » : أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويسرون له المعصية « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » : أى المنافقون الذين نهيتكم أن تـكونوا مثلهم ، بـكم عن الخير ، صم عن الحق ، لا يعقلون : لا يعرفون ماعليهم فى ذلك من النقمة والتباعة « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » ، أى لأنفذ لهم الذى قالوا بألسنتهم ، ولـكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم « لتولوا وهم معرضون » ما وفوا لـكم بشىء مما خرجوا عليه « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » : أى للحرب التى أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لـكم « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ؛ ورزقكم من الطيبات لعلـكم تشـكرون « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » أى لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منـكم ، ثم تخالفوه فى السر إلى غيره ، فان ذلك هلاك لأماناتـكم ، وخيانة لأنفسكم . « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لـكم فرقاناً ، ويكفر عنـكم سيئاتكم ، ويغفر لـكم والله ذو الفضل العظيم » : أى فصلا بين الحق والباطل ، ليظهر الله به حقكم ، ويطفىء به باطل من خالفـكم .

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه « ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » : أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم .

ثم ذكر غرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » أى ما جاء به محمد « فأمطر علينا حجارة من السماء » كما أمطرتها على قوم لوط « أو ائتنا بعذاب أليم » أى بعض ما عذبت به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها .وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعى سوء أعمالهم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ، ثم قال « وما لهم ألا يعذبهم الله » وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون « وهم يصدون عن المسجد الحرام » : أى من آمن بالله وعبده : أى أنت ومن

اتبعك ، « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون » الذين يحرمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك « ولكن أكثرهم لا يعلمون * وما كان صلاتهم عند البيت » التى يزعمون أنه يدفع بها عنهم « إلا مكاء وتصدية » .

قال ابن هشام : المكاء : الصفير، والتصدية : التصفيق . قال عنترة بن عمرو بن شداد العبسى :

ولرب قرن قد تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم

يعنى : صوت خروج الدم من الطعنة ، كأنه الصفير وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطرماح بن حكيم الطائى :

لها كلما ريعت صداة وركدة بمصدان أعلى ابنى شمام البوائن

وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأروية ، يقول: إذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع صدى قرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق . والمصدان : الحرز . وابنا شمام : جبلان .

قال ابن إسحاق : وذلك ما لا يرضى الله عز وجل ولا يحبه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » : أى لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

المدة ما بين نزول سورة المزمل ووقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نزول : « يا أيها المزمل » ، وقول الله تعالى فيها : « وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا * إن لدينا أنكالا وجحيما . وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليما » ، إلا يسير ، حتى أصاب الله قريشاً بالوقعة يوم بدر .

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ، واحدها : نكل . قال رؤبة بن العجاج :

يكفيك نكلى بغى كل نكل

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » يعنى النفر الذين مشوا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أن يقووهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا :

ثم قال : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا » لحربك « فقد مضت سنة الأولين » أى من قتل منهم يوم بدر .

ثم قال تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » : اى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس فيه شريك ، ويخلع ما دونه من الأنداد « فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولوا » عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم « فاعلموا أن الله مولاكم » الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم « نعم المولى ونعم النصير » .

ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحكمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال « واعلموا إنما غنتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول

. . . .

ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » أى يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » من الوادى « وهم بالعدوة القصوى » من الوادى إلى مكة « والركب أسفل منكم » أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد » أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم ، وقلة عددكم ما لقيتموهم « ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا » أى ليقضى ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، ثم قال « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، وإن الله لسميع عليم » أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك

ثم ذكر لطفه به وكيده له ، ثم قال : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور » ، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم ، لعلمه بما فيهم .

قال ابن هشام : تخوف : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها « وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا » . أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه ، من أهل ولايته .

ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يسيروا به فى حربهم ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة » تقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل « فاثبتوا واذكروا الله كثيراً » الذى له بذلتم أنفسكم ، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم « لعلكم تفلحون » وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا » : أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم « وتذهب ريحكم » أى وتذهب حدتكم « واصبروا إن الله مع الصابرين » أى إنى معكم إذا فعلتم ذلك « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس » : أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه ، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدراً فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا فيها القيان ، وتسمع العرب : أى لا يكون أمركم رياء ، ولا سمعة ، ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم ، وموازرة نبيكم لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره .

ثم قال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم »

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر ، وما يلقون عند موتهم ، ووصفهم بصفتهم ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم ، حتى انتهى إلى أن قال « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » أى فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » إلى قوله تعالى : « وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون » : أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا . ثم قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » : أى إن دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه « وتوكل على الله » إن الله كافيك « إنه هو السميع العليم » .

قال ابن هشام : جنحوا للسلم : مالوا إليك للسلم . الجنوح : الميل . قال لبيد بن ربيعة :

. . . .

جنوح الهالكى على يديه   مكبا يجتلى نقب النصال

وهذا البيت فى قصيدة له، والسلم أيضا : الصلح ، وفى كتاب الله عز وجل : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون » ، ويقرأ « إلى السلم » ، وهو ذلك المعنى قال زهير بن أبى سلمى :

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً   بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، أنه كان يقول : « وإن جنحوا للسلم » للإسلام . وفى كتاب الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ويقرأ « فى السلم » ، وهو الإسلام . قال أمية ابن أبى الصلت :

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم   رسل الإله وما كانوا له عضدا

وهذا البيت فى قصيده له . وتقول العرب لدلو تعمل مستطيلة : السلم . قال طرفة بن العبد ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، يصف ناقة له :

لها مرفقان أفتلان كأنما   تمر بسلمى دالج متشدد

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » هو من وراء ذلك « هو الذى أيدك بنصره » بعد الضعف « وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » على الهدى الذى بعثك الله به إليهم « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولـكن الله ألف بينهم » بدينه الذى جمعهم عليه « إنه عزيز حكيم » .

ثم قال تعالى « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ۞ يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون» أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية اشتدعلى المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفـاً ، فخفف الله عنهم ،فنسختها الآية الأخرى ، فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ،وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » . قال : فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .

قال ابن إسحاق : ثم عاتبه الله تعالى فى الأسارى ، وأخذ المغانم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو الله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد أبو جعفر بن على بن الحسين ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لى المغانم ولم تحلل لنبى كان قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتهن نبى قبلى .

قال ابن إسحاق : فقال : « ما كان لنبى »: أى قبلك« أن يكون له أسرى » من عدوه « حتى يثخن فى الأرض »

. . . .

أى يثخن عدوه ، حتى ينفيه من الأرض « تريدون عرض الدنيا » : أى المتاع ; الفداء بأخذ الرجال « والله يريد الآخرة » : أى قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » : أى من الأسارى والمغانم « عذاب عظيم » أى لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النهى ولم يك نهاهم ، لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم رحمة منه ، وعائدة من الرحمن الرحيم . فقال « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن غفور رحيم » . ثم قال « يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم » .

وحض المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » أى يوال المؤمن المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به « تكن فتنة فى الأرض » أى شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم رد المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أى بالميراث « إن الله بكل شىء عليم » .

إسلام عمير بن وهب : فصل : وذكر إسلام عمير بن وهب إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل .

هل تمثل إبليس فى غزوة بدر : وذكر فى آخر الحديث أن عمير بن وهب هو الذى رأى إبليس يوم بدر حين نكص على عقبيه ، وذكر غيره أن الحارث بن هشام تشبث به ، وهو يرى أنه سراقة بن مالك ، فقال : إلى أين سراق أين تفر فلكمه لكمة طرحه على قفاه ، ثم قال إنى أخاف الله رب العالمين ، وإنما كان تمثل فى صورة سراقة المدلجى ، لأنهم خافوا من بنى مدلج أن يعرضوا لهم ، فيشغلوهم من أجل الدماء التى كانت بينهم ، فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقة المدلجى ، وقال إنى جار لكم من الناس ، أى : من بنى مدلج ، ويروى أنهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك ، فقالوا له : يا سراقة أخرمت الصف ، وأوقعت فينا الهزيمة ، فقال : والله ما علمت بشىء من أمركم، حتى كانت هزيمتكم ، وما شهدت ، وما علمت فما صدقوه ، حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه إبليس تمثل لهم .

وقول اللعين : إنى أخاف الله رب العالمين ، لأهل التأويل فيه أقوال أحدها : أنه كذب فى قوله : إنى أخاف الله ، لأن الكافر لا يخاف الله ، الثانى : أنه رأى جنود الله تنزل من السماء ، فخاف أن يكون اليوم الموعود الذى قال الله فيه : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين » وقيل أيضا : إنما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فعلها بحزبه الكافرين ، وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل أن قريشا حين توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون ، وهو ينشد بأنفذ صوت ، ولا يرى شخصه :

أزار الحنيفيون بدراً وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤى، وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنيفيون ؟ فقالوا : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين .

ذكر ما أنزل الله فى بدر

أنزل سورة الأنفال بأسرها، والأنفال هى الغنائم ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : النفل : إحسان وتفضل من المنعم فسميت الغنائم أنفالا ، لأن الله تعالى تفضل بها على هذه الأمة ، ولم يحلها لأحد قبلهم . قال المؤلف : أما قوله : إن الله تفضل بها فصحيح ، فقد قال عليه السلام :ما أحلت الغنائم لأحد سود الرءوس قبلكم ، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأ كلها ، وأما قوله : فسميت الغنائم أنفالا لهذا ، فلا أحسبه صحيحاً ، فقد كانت العرب فى الجاهلية الجهلاء تسميها أنفالا .

وقد أنشد ابن هشام لأوس بن حجر الأسيدى ، وهو جاهلى قديم :

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم تزجون أنفال الخميس العرمرم

فنى هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالا قبل أن يحلها الله لمحمد وأمته ، فأصل اشتقاقها إذاً من النفل ، وهو الزيادة لأنها زيادة فى أموال الغانمين ، وفى بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى : خميساً ، فى الجاهلية ، لأن قوما زعموا أن اسم الخميس من الخمس الذى يؤخذ من المغنم ، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام ، وإنما كان لصاحب الجيش الربع ، وهو المرباع ، وسيأتى القول فى اشتقاقه فيما بعد إن شاء الله . قرأ ابن مسعود وعطاء « يسئلونك الأنفال » وقرأت الجماعة : « يسئلونك عن الأنفال » والمعنى صحيح فى القراءتين ؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هى .

وقول عبادة بن الصامت : نزلت فينا أهل بدر: « يسئلونك عن الأنفال » لأنا تنازعنا فى النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، كذلك جاء فى التفسير لعبد بن حميد ، وغيره أن عبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه ، وأبا اليسر كعب ابن عمرو فى طائفة معه ، وكان أبو اليسر قد قتل قتيلين ، وأسر أسيرين تنازعوا ، فقال الذين حووا المغنم : نحن أحق به ، وقال الذين شغلوا بالقتال ، واتباع القوم نحن أحق به ، فانتزعه الله منهم ورده إلى نبيه — صلى الله عليه وسلم وقد تقدم حديث سعد بن أبى وقاص ، حين جاء بالسيف ،فأمر أن يجعله فى القبض ،فشق ذلك عليه ، وكان السيف للعاصى بن سعيد ، يقال له ذو الكتيفة ، فلما نزلت الآية أعطى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — السيف لسعد ، وقسم الغنيمة عن بواء أى : على سواء ، وقد قدمنا الحديث الذى ذكره أبو عبيد ، وفيه أنه قسمها على فواق ، فأنزل الله بعد : « واعلموا أنما غنمتم من شىء » الآية فنسخت « قل : الأنفال لله والرسول » وهو أصح الأقوال أنها منسوخة . وأما من زعم أن الأنفال ماشذ من العدو إلى المسلمين من دابة ، أو نحوها ، فليست منسوخة عنده ، وكذلك قول مجاهد إن الأنفال ، هو الخمس نفسه ، وإنما تكون منسوخة إذا قلنا إنها جملة الغنائم ، وهو القول الذى تشهد له الآثار ، قال أبو عبيد : والأنفال تنقسم أربعة أقسام نفل لا يخمس ، ونفل من رأس الغنيمة ، ونفل من الخمس ، ونفل السرايا وهو بعد إخراج الخمس ، ونفل من خمس الخمس ، فأما الذى ليس فيه خمس ولا يخرج من رأس الغنيمة ، ولا من الخمس ، فهو سلب القتيل يقتل فى غير معمعة الحرب ، وفى غير الزحف ، فهو ملك للقاتل ، وهذا القول هو قول الأوزاعى ، وأهل الشام ، وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان ، وهو أن السلب من جملة النفل يخمس مع الغنيمة ، وهو قول مالك ، وهو معنى قول ابن عباس الذى فى الموطأ حين سأله رجل عن الأنفال ، فقال : الفرس من النفل ، والدرع من النفل ، وقال فى غير الموطأ فى هذا الحديث :

. . . .

الفرس من النفل ، وفى النفل الخمس أن الوليد بن مسلم روى هذا الحديث ، فقال فى آخره : يريد أن السلب للقاتل ، ففسره على مذهب شيخه ، ومن حجتهم أيضاً أن عمر رضى الله عنه خمس سلب البراء بن مالك حين قتل مرزبان الزأرة فسلبه سواريه ومنطقته ، وما كان عليه ، فبلغ ثمنه ثلاثين ألفاً ، وقال أصحاب القول الأول لاحجة فى حديث عمر ، لأنه إنما خمس المرزبان ، لأنه استكثره ، وقال : قد كان السلب لايخمس ، وإن سلب البراء بلغ ثلاثين ألفاً ، وأنا خامسه ، واحتجوا بحديث سلمة بن الأكوع ، إذ قتل قتيلا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له سلبه أجمع . ومن حجة مالك ، ومن قال بقوله : عموم آية الخمس ، فإنه قال : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه ، وللرسول » وحديث خالد بن الوليد الذى رواه مسلم وأبو داود أن عوف بن مالك قال : قتل رجل من حمير رجلا من العدو فأراد سلبه ، فمنعه ذلك ، وكان واليأعليهم ، فأخبر عوف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لخالد : مامنعك أن تعطيه سلبه ؟ فقال : استكثرته يارسول الله ، قال : ادفعه إليه . فلقى عوف خالداً فجبذ بردائه ، وقال : هل أنجزت لك ماذكرت لك من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستغضب ، فقال : لاتعطه يا خالد ، هل أنتم تاركو إلى أمرائى .

ولو كان السلب حقا له من رأس الغنيمة لما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا هو القسم الواحد من النفل .

والقسم الثانى : هو من رأس الغنيمة قبل تخميسها ، وهو ما يعطى الأدلاء الذين يدلون على عورة العدو ، ويدلون على الطرق ، وما يعطى الدعاة وغيره مما ينتفع أهل الجيش به عامة .

والقسم الثالث : ما تنفله السرايا ، فقد كانت تنفل فى البدأة الربع بعد الخمس ، وفى العودة الثلث مما غنموه ، كذلك جاء فى حديث رواه مكحول عن حبيب بن مسلمة ، وأخذت به طائفة .

والقسم الرابع من النفل : ما ينفله الإمام من الخمس لأهل الغناء والمنفعة ، لأن ما كان للرسول عليه السلام من الغنيمة ، فهو للإمام بعده يصرفه فيما كان النبى عليه السلام يصرفه ، وهو قول مالك وأكثر العلماء ، وقالت طائفة هو مقصور على الأصناف التى ذكرت فى القرآن ، وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد أعطى المقداد حماراً من الخمس أعطاه له بعض الأمراء ، فرده لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين ، وأما أنس ابن مالك ، فإنه فعل خلاف هذا ، أعطاه معاوية ثلاثين رأسا من الغنيمة فأبى أن يقبلها ، إلا أن تكون من الخمس وأصح القولين : أن الإمام له النظر فى ذلك ، فإن رأى صرف الخمس إلى منافع المسلمين ، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجة شديدة إليه صرفه ، وإلا بدأ بهم ، وصرف بقيته فيما يرى ، واختلف فى ذوى القربى من هم ، فقال ابن عباس : كنا نرى أنهم بنو هاشم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا هم قريش كلهم ، كذلك قال فى الكتاب الذى كتبه إلى نجدة الحرورى ، واختلفوا أيضا فى قرابة الإمام بعد النبى صلى الله عليه وسلم : أهم داخلون فى الآية أم لا ؟ والصحيح : دخولهم فى ذوى القربى ، لقوله عليه السلام : إذا أطعم الله نبيا طعمة ، فهى للخليفة بعده ، أو قال : للقائم بعده . ومما اختلفوا فيه من معنى آية الخمس : قسم خمس الخمس ، فقال أبو العالية فى قوله : « فإن لله خمسه » أى : للكعبة ، يخرج لها نصيب من الخمس ، وللرسول نصيب ، وباقى الخمس للأربعة الأصناف . وقالت طائفة : خمس الخمس للرسول ، وباقيه للأربعه الأصناف . وقالت طائفه : الخمس كله للرسول يصرفه فى تلك الأصناف وغيرها ، وإنما قال الله : « وللرسول » تنبيها على شرف المكسب وطيب المغنم ، كذلك قال فى الفىء ، وهو ماأفاء الله على المسلمين من الأرضين التى كانت لأهل الكفر فقال فيه : « فلله وللرسول » الآية ، ولم يقل فى آيات الصدقات مثل ذلك ، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول ، لأن الصدقة أوساخ الناس ، فلا تطيب لمحمد ، ولا لآل محمد ، فقال

. . . .

فيها : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية ، أى : ليست لأحد إلا لهؤلاء ، وهذا كله قول سفيان الثورى وتفسيره ، وسيأتى القول فى غزوة حنين فيما أعطى النبى ـ صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم ، هل كان من رأس الغنيمة أم من الخمس أم من خمس الخمس إن شاء الله .

قتال الملائكة : فصل : وذكر قوله سبحانه « بألف من الملائكة مردفين » وقد قال فى أخرى : « بثلاث آلاف ، من الملائكة منزلين » فقيل فى معناه : إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف فكان الأكثر مدداً للأقل ،وكان الألف مردفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردفين ، وكانوا أيضامردفين بهم بفتح الدال ، والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قال الله لهم : « فثبتوا الذين آمنوا »وكانوا فى صور الرجال ، ويقولون للمؤمنين أثبتوا . فإن عدوكم قليل ، وإن الله معكم ونحو هذا ، وقول الله سبحانه : « واضربوا منهم كل بنان » جاء فى التفسير أنه ماوقعت ضربة يوم بدر إلا فى رأس أو مفصل ، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم، بآثار سود فى الأعناق وفى البنان ؛ كذلك ذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية ، ويقال لمفاصل الأصابع وغيرها بنان واحدتها بنانه ، وهو من أبن بالمكان إذا أقام فيه وثبت ، قاله الزجاج .

وقوله « ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان » ، كان العدو قد أحرزوا الماء دون المؤمنين ، وحفروا القلب لأنفسهم ، وكان المسلمون قد أحدثوا وأجنب بعضهم ، وهم لا يصلون إلى الماء ، فوسوس الشيطان لهم أو لبعضهم ، وقال : تزعمون أنكم على الحق ، وقد سبقكم أعداؤكم إلى الماء ، وأنتم عطاش وتصلون بلا وضوء ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاءوا ، فأرسل الله تعالى السماء فحلت عزاليها فتطهروا ورووا وتلبدت الأرض لأقدامهم وكانت رمالا وسبخات ، فثبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رجز الشيطان ، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماء ، وعاروا القلب التى كانت تلى العدو فعطش الكفار ، وجاء النصر من عند الله ، وقبض النبى صلى الله عليه وسلم ـ قبضة من البطحاء ورماهم بها ، فملأت عيون جميع العسكر ، وذلك قوله سبحانه : « ومارميت إذ رميت ، ولكن الله رمى » أى : عم جميعهم ، ولم يكن فى قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم ، فالله هو الذى رمى سائرهم إذ رميت أنت القليل منهم ، فهذا قول ، وقال أحمد بن يحيى : معناه : وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت الحصباء ، ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة : الرمى أخذ وإرسال وإصابة وتبليغ ، فالذى أثبت الله لنبيه هو الأخذ والإرسال ، والذى نفى عنه هو الإصابة والتبليغ ، وأثبتهما لنفسه .

فلا تولوهم الأدبار : وقوله : « فلا تولوهم الأدبار » . قال الحسن : ليس الفرار من الزحف من الكبائر إلا يوم بدر وفى الملحمة الكبرى التى تأتى آخر الزمان . وقال غيره : هو من الكبائر إذا حضر الإمام ولم يتحيز إلى فئة فأما إذا كان الفرار إلى الإمام ، فهو متحيز إلى فئة ، وقد قال عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبى عبيد ابن مسعود ، وما أوقع الفرس بالمسلمين : هلا تحيز إلى أبو عبيد بن مسعود ، فإنى فئة لكل مسلم ، وروى مثل هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لأصحابه الذين رجعوا من غزوة مؤتة ، ذلك أنهم قالوا : نحن الفرارون يا رسول الله ، فقال : بل أنتم العكارون ، وأنا فئتكم ، وهو حديث مشهور اختصرته ، والقدر الذى يحرم معه الفرار الواحد مع الواحد ، والواحد مع الاثنين ، فإذا كان الواحد للثلاثة ، لم يعب على الفار فراره ، كان متحيزاً إلى فئة أو لم يكن . وذكر أبو الوليد بن رشد فى مقدماته عن بعض الفقهاء ، قال : إذا كان المسلمون اثنا عشر

. . . .

ألفا لم يجز لهم الفرار من ثلاثة أمثالهم ، ولا من أكثر من ذلك ، لقوله عليه السلام : لن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ، وقد كان وقوف الواحد إلى العشرة حتما فى أول الأمر ، ثم خفف الله ذلك ونسخه بقوله : « الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً » ، كذلك روى عن ابن عباس ، وهو قول العلماء ، ولكن لا يتبين فيه النسخ ، لأن قوله « إن يكن منكم عشرون صابرون » إلى آخر الآية خبر ، والخبر لا يدخله النسخ ، وقوله : « الآن خفف الله عنكم » يدل على أن ثم حكما منسوخا ، وهو الثبوت للعشرة ، فإذاً للآية ظهر وبطن ، فظاهرها خبر ، ووعد من الله تعالى أن تغلب العشرة المائة ، وباطنها وجوب الثبوت للمائة ، ويدل على هذا الحكم قوله : « حرض المؤمنين على القتال » فتعلق النسخ بهذا الحكم الباطن ، وبقى الخبر وعداً حقا قد أبصره المؤمنون ـ عيانا فى زمن عمر بن الخطاب ، وفى بقية خلافة أبى بكر فى محاربة الروم وفارس بالعراق وبالشام ، فنى تلك الملاحم هزمت المئون الآلاف من المشركين ، وقد هزم خالد بن الوليد مائة ألف حين إقباله من العراق إلى الشام ولم يبلغ عسكره خمسة آلاف ، بل قد رأيت فى بعض فتوح الشام أنه كان يومئذ فى ألف فارس ، وكان قد أقبل من العراق مدداً المسلمين الذين بالشام ، وكان الروم فى أربعمائة ألف ، فلتى منهم خالد مائة ألف ففض جمعهم وهزمهم ، وقد هزم أهل القادسية جيوش رستم وقتلوه وكان رستم فى أكثر من مائتى ألف ، ولم يكن المسلمون فى عشر ذلك العدد وجاءوا معهم بالفيلة أمثال الحصون عليها الرجال ففرت الفيلة ، وأطاحت ما عليها ، ولم يردها شىء دون البلد الذى خرجت منه وكذلك ما ظهر من فتح الله ونصره على يدى موسى بن نصير بافريقية ، والأندلس ، فقد كان فى ذلك أعجب العجب ، فكان وعد الله مفعولا ونصره للمسلمين ناجزاً ، والحمد لله .

وقال النقاش فى معنى قوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » معناه : إن يصبروا يغلبوا ، وغلبتهم ليس بأن يسلموا كلهم ، ولكن من سلم منهم رأى غلبة أهل دينه ، وظهورهم على الكفر ، ولا يقدح فى وعد الله أن يستشهد جملة من الصابرين ، وإنما هذا كقوله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله » إلى قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا . هذا معنى كلامه ، والذى قدمناه أبين .

الذين فى قلوبهم مرض : وفى هذه السورة قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » نزلت فى قوم من أهل مكة آمنوا ولم يهاجروا ، ثم خرجوا مع المشركين إلى بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين شكوا ، وقالوا غر هؤلاء دينهم ، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة ، وقيس بن الفاكه وجماعة سماهم أبو بكر النقاش ، وهم الذين قتلوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم .

رأى أبى جهل فى النبي صلى الله عليه وسلم ورجوع الأخنس ببنى زهرة : وانخنس يومئذ أبى بن شريق بنحو من ثلثمائة من قريش ، فسمى الأخنس ، وذلك أنه خلا بأبى جهل حين تراءى الجمعان ، فقال : أترى أن محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله ، وقد كنا نسميه الأمين ، لأنه ما كذب قط ، ولكن إذا اجتمعت فى بنى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شىء بقى لنا ، فحينئذ انخنس الأخنس ببنى زهرة وحشد إبليس جميع جنوده ، وجاء بنفسه ونزل جبريل بألف من الملائكة فى صور الرجال ، فكان فى خمسمائة من الملائكة فى الميمنة ، وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة فى الميسرة ، ووراءهم مدد لم يقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران ، وكان إسرافيل وسط الصف لا يقاتل ، كما يقاتل غيره من الملائكة ، وكان الرجل يرى

. . . .

الملك على صورة رجل يعرفه ، وهو يثبته ويقول له : ما هم بشيء ، فكر عليهم ، وهذا فى معنى قوله سبحانه « فثبتوا الذين آمنوا » ذكره ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام ، وفى مثل هذا يقول حسان :

ميكال معك وجبرئيل كلاهما مدد لنصرك من عزيز قادر

ويقال : كان مع المسلمين يومئذ سبعون من الجن ، كانوا قد أسلموا .

وذكر قول الله تعالى : « ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » ولم يذكر الآخرين من هم ، وقيل فى ذلك أقوال قيل : هم المنافقون ، وقيل : هم اليهود وأصح ما فى ذلك أنهم الجن ، لرواية ابن المليكى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى آخرين من دونهم قال هم الجن ثم قال عليه السلام : إن الشيطان لا يخبل أحداً فى دار فيها فرس عتيق ، ذكره الحارث فى مسنده وأنشد :

جنوح الهالكى على يديه مكباً يجتلى نقب النصال

الهالكى : الصيقل . ونقب النصال : جرب الحديد ، وصدؤه ، وهو فى معنى النقب ، واحدتها نقبة .

غنائم بدر : فصل : وذكر فى السورة : « لولا كتاب من الله سبق » يعنى بإحلال الغنائم لمحمد وأمته لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، وقال: لو نزل عذاب مانجا منه إلا عمر ، لأن عمر كان قد أشار عليه بقتل الأسارى والإثخان فى القتل ، وأشار أبو بكر بالإبقاء ، فأخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقول أبى بكر ، ثم نزلت الآية : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً » وروى أبو عبيد من طريق عبد الله بن مسعود قال : لما كان يوم بدر ، وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم الأسارى ، فقال : ماذا ترون ؟ فقال عمر : يارسول الله كذبوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله أنت بواد كثير الحطب . فأضرمه ناراً ، ثم ألقهم فيها ، فقال العباس : قطع الله رحمك ، فقال أبو بكر: يارسول الله عترتك ، وأصلك وقومك تجاوز عنهم ، يستنقذهم الله بك من النار ، ثم دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن قائل يقول القول ماقال عمر ، ومن قائل يقول القول ماقال أبو بكر ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماقولكم فى هذين الرجلين ، إن مثلهما كمثل إخوة لكم ، كانوا قبلكم ، قال نوح : « رب لا تذر على الأرض » ، وقال موسى : « ربنا اطمس على أموالهم » ، وقال عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك » وقال إبراهيم : « فمن تبعنى فإنه منى » . وإن الله يشدد قلوب رجال ، حتى تكون كالحجر ، ويلين قلوب رجال ، حتى تكون ألين من اللبن ، ويروى من اللين ، وإن بكم عيلة فلا يفلت منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله فقلت إلا سهل بن بيضاء وقد كنت سمعته يذكر الإسلام ، قال : فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع على الحجارة فقلت: أقدم القول بين يدى رسول الله ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا سهل بن بيضاء ، ففرحت بذلك ، قال أبو عبيدة : أما أهل المعرفة بالمغازى ، فإنهم يقولون إنما هو سهل بن بيضاء أخو سهيل ، فأما سهيل ، فكان من المهاجرين ، وقد شهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدراً ، ثم إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يفد بعدها بمال ، إنما كان يمن أو يفادى أسيراً بأسير ، كذلك قال أبو عبيد : وذلك والله أعلم لقوله : « تريدون عرض الدنيا » يعنى الفداء بالمال ، وإن كان قد أحل ذلك وطيبه ، ولكن مافعله الرسول بعد ذلك أفضل من المن أو المفاداة بالرجال ، ألا ترى إلى قوله سبحانه « فإما منا بعد وإما فداء » كيف قدم المن على الفداء ، فلذلك اختاره

. . . .

اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه ، وأما مذاهب الفقهاء فى هذا ، فالأوزاعى وسفيان ومالك يكرهون أخذ المال فى الأسير ، لما فى ذلك من تقوية العدو بالرجال ، واختلفوا فى الصغير إذا كان معه أمه ، فأجاز فداءه بالمال أهل العراق ، واختلف فيه عن مالك ، والصحيح منعه ، وكان العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فى الأسرى، ففدى نفسه ، وفدى ابنى أخيه ،فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : لقد تركتنى أتكفف قريشاً فقيراً معدماً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أين الذهب التى تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا ، وقلت لها كيت وكيت ، فقال :من أعلمك بهذا ياابن أخى ؟ فقال : الله، فقال :حديث مااطلع عليه إلا عالم الأسرار أشهد أنك رسول الله ، فحينئذ أسلم العباس ، وكان فى الأسرى من يكتب ، ولم يكن فى الأنصار أحد يحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ، ويخلى سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت فى جماعة من غلمة الأنصار ، وهذه عيون أخبار،وصلتها بما ذكره بن إسحاق فى يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها .

خيل المسلمين ببدر : فصل : وذكر ابن إسحاق الخيل التى كانت للمسلمين يوم بدر ، فذكر بعزجة فرس المقداد ، واليعبوب فرس الزبير ، وفرساً لمرثد الغنوى ، ولم يكن لهم يومئذ خيل إلا هذه ، وفى فرس الزبير اختلاف ، وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم خيل بعد هذا اليوم ، منها : السكب واللزاز والمرتجز واللحيف ، وقد ذكره البخارى من حديث عباس بن سهل عن أبيه ، قال : ويقال فيه : اللخيف بالخاء المعجمة ، وقال القتبى: كان المرتجز فرساً اشتراه عليه السلام من أعرابى ، ثم أنكر الأعرابى أن يكون باعه منه ، فشهد خزيمة بن ثابت على الأعراب بالبيع ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بم تشهد ؟ قال : أشهد بصدقك يارسول الله ، فجعلت شهادته شهادة رجلين ، والحديث مشهور ، غير أن فى مسند الحارث زيادة فيه ، وهى أنه ، عليه السلام ، رد الفرس على الأعرابى ، وقال : لابارك الله لك فيها ، فأصبحت من الغد شائلة برجلها ، أى : قد ماتت . قال الطبرى : ومن خيله الضرس ، وملاوح ، والورد وهو الذى وهبه لعمر ، فحمل عليه عمر رجلا فى سبيل الله ، وحديثه فى الموطأ وكان له عليه السلام من الدروع :ذات الفضول، وأخرى يقال لها فضة ،وراية يقال لها العقاب، وقوسان أحدهما: الصفراء. والأخرى الزوراء وسيفه :ذو الفقار لفقرات كانت فى وسطه ، وكان لنبيه ومنبه ابنى الحجاج سلباه يوم بدر، ويقال: إن أصله كان من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة فصنع منها ذو الفقار ، وصمصامة عمرو بن معدى كرب التى وهبها لخالد بن سعيد ، وكانت مشهورة عند العرب ، وكان له حربة يقال لها : النبعة ، وذكر العقيلى فى كتاب الضعفاء جملة من آلاته عليه السلام فى حديث أسنده ، فمنها الجمع اسم كنانته ، والمدلة اسم لمرآة كان ينظر فيها ، وقضيب يسمى : الممشوق ، وذكر الجلمين ، ونسيت ما قال فى اسمه ، وأما بغلته دلدل وحماره عفير، فقد ذكرناها فى كتاب الأعلام وذكرنا ما كان فى أمر الحمار من الآيات ، وزدناه هنالك فى استقصاء هذا الباب ، ورأينا أن لانخلى هذا الكتاب مما ذكرنا هنالك، أو أكثره وأما دلدل فماتت فى زمن معاوية، وهى التى أهداها إليه المقوقس، وأما اليعفور فطرح نفسه فى بئر يوم مات النبى - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وذكر ابن فورك فى كتاب الفصول أنه كان من مغانم خيبر ، وأنه كلم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يارسول الله أنا زياد بن شهاب ، وقد كان فى آبائى ستون حماراً ركبه نبى ، فاركبنى أنت ، وزاد الجوينى فى كتاب الشامل أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل إليه هذا الحمار ، فيذهب حتى يضرب برأسه الباب ، فيخرج الرجل ، فيعلم أنه قد أرسل إليه ، فيأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان له ترس فيما ذكر الطبرى فيه تمثيل كرأس الكبش وكان يكرهه فيه ، فأصبح ذات يوم قد انمحى ، ولم يبق منه أثر ، وأما رداؤه عليه السلام ، فكان يقال له : الحضرمى ،

من حضر بدرا من المسلمين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ، ثم من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ؛ وحمزة بن عبد المطلب ابن هاشم ، أسد الله وأسد رسوله ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ؛ وزيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس الكلبى ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر ابن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وبرة .

قال ابن إسحاق : وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أنسة : حبشى ، وأبو كبشة : فارسى .

قال ابن إسحاق وأبو مرثد كناز بن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان ابن غنم بن غنى بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان .

قال ابن هشام : كناز بن حصين .

قال ابن إسحاق : وابنه مرثد بن أبى مرثد ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ؛ وعبيدة بن الحارث بن المطلب ؛ وأخواه الطفيل بن الحارث ، والحصين بن الحارث ؛ ومسطح ، واسمه : عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب . اثنا عشر رجلا .

ومن بنى عبد شمس بن مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وسالم ، مولى أبى حذيفة .

قال ابن هشام : واسم أبى حذيفة مهشم .

قال ابن هشام : وسالم ، سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس ، سيبته فانقطع إلى أبى حذيفة فتبناه ، ويقال : كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبى حذيفة بن عتبة ، فأعتقت سالما سائبة ، فقيل : سالم مولى أبى حذيفة .

قال ابن إسحاق : وزعموا ان صبيحا مولى أبى العاص بن أمية بن عبد شمس تجهز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض ، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم ، ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبه كان يشهد العيدين ، كان طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، وكان له جفنة عظيمة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال جرى ذكرها فى حديث خرجه أبو داود ، فهذه جملة تشرئب إلى معرفتها أنفس الطالبين ، وترتاح بالمذاكرة بها قلوب المتأدبين ، وكل ما كان من باب المعرفة بنبينا عليه السلام ، ومتصلا بأخبار سيرته مما يونق الأسماع ، ويهز بأرواح المحبة الطباع ، والحمد لله على ما علم من ذلك .

وشهد بدراً من حلفاء بنى عبد شمس ، ثم من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وعكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير ابن غنم بن دوادن بن أسد ، وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دوادن ابن أسد ، ، وأخوه عقبة بن وهب ، ويزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دوادن ابن أسد ، وأبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس ، أخو عكاشة بن محصن ، وابنه سنان بن أبى سنان ، ومحرز ابن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز ابن عامر بن دودان بن أسد .

ومن حلفاء بنى كبير بن غنم بن دودان بن أسد : ثقف بن عمرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ، ومدلج بن عمرو .

قال ابن هشام مدلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حجر ، آل بنى سليم . وأبو مخشى ، حليف لهم : ستة عشر رجلا .

قال ابن هشام : أبو مخشى طائى ، واسمه : سويد بن مخشى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك ابن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وخباب ، مولى عتبة بن غزوان رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وحاطب بن أبى بلتعة ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بلتعة ، واسم أبى بلتعة ، عمرو ، لخمى ، وسعد مولى حاطب ، كلبى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، وسويبط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصى . رجلان .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وسعد ابن أبى وقاص - وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة . وأخوه عمير بن أبى وقاص .

ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير ابن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن قائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة . قال ابن هشام : ويقال : هزل بن قاس بن ذر - ودهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة ، من القارة .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

قد أنصف القارة من راماها

وكانوا رماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو ابن عامر ، من خزاعة .

قال ابن هشام : وإنما قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عمير .

قال ابن إسحاق : وخباب بن الأرت ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خباب بن الأرت ، من بنى تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ؛ ويقال : خباب من خزاعة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة : أبو بكر الصديق ، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد ابن تيم .

قال ابن هشام : اسم أبى بكر ، عبد الله ، وعتيق : لقب ، لحسن وجهه وعتقه .

قال ابن إسحاق : وبلال، مولى أبى بكر ـ وبلال مولد من مولدى بنى جمح، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف، وهو بلال بن رباح ، لاعقب له ـ وعامر بن فهيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة ، مولد من مولدى الأسد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق : وصهيب بن سنان ، من النمر بن قاسط .

قال ابن هشام : النمر : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفصى ابن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعه بن نزار ، ويقال : صهيب ، مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب ابن سعد ابن تيم ، ويقال : إنه رومى . فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى الروم فاشترى منهم . وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : صهيب سابق الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، كان بالشام، فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له بسهمه ، فقال : وأجرى يارسول الله ؟ قال : وأجرك. خمسة نفر .

قال ابن إسحاق: ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد ، واسم أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر ابن مخزوم .

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شماسا ، لأن شماساً من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا ، فعجب الناس من جماله . فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس : ها أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسمى شماساً ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى وغيره .

قال ابن إسحاق : والأرقم بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم : عبد مناف بن أسد ، وكان أسد يكنى : أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وعمار بن ياسر

قال ابن هشام : عمار بن ياسر ، عنسى ، من مذحج .

قال ابن إسحاق : ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب ابن عمرو حليف لهم من خزاعة ، وهو الذى يدعى : عيهامة ، خمسة نفر .

ومن بنى عدى بن كعب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح

ابن عدى ، وأخوه زيد بن الخطاب ، ومهجع ، مولى عمر بن الخطاب ، من أهل اليمن ، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بدر ، رمى بسهم .

قال ابن هشام : مهجع ، من عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن اذاة بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ، وأخوه عبد الله بن سراقة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخولى بن أبى خولى ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى ، من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل.

قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال: أفصى : ابن دعمى بن جديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، وعاقل بن البكير ، وخالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ، قدم من الشأم بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك : أربعة عشر رجلا .

ومن بنى جمح عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح . خمسة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل ، رجل.

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لؤى : ثم من بنى مالك بن حسل بن عامر : أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدود ابن نصر بن مالك ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل — كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو ، فلما نزل الناس بدراً فر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها معه — وعمير بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو ، وسعد بن خولة ، حليف لهم ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

قال ابن إسحاق: ومن بنى الحارث بن فهر: أبو عبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبه ابن الحارث ، وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبى أهيب بن ضبة بن الحارث، وأخوه صفوان بن وهب، وهما ابنا بيضاء ، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن وهب بن ضبة بن الحارث ، خمسة نفر .

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلا.

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون فى المهاجرين ببدر ، فى بنى عامر بن لؤى : وهب بن سعد بن أبى سرح ، وحاطب بن عمرو ، وفى بنى الحارث بن فهر : عياض بن أبى زهير .

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ، ثم من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وعمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس .

ومن بنى عبيد الله بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عبيد، ومن بنى زعورا بن عبد الأشهل- قال ابن هشام : ويقال : زعورا - سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زعورا ، والحارث بن خزمة بن عدى بن أبى بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بنى عوف بن الخزرج ، ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث ، وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حريس بن عدى .

قال ابن إسحاق : وأبو الهيثم بن التيهان ، وعبيد بن التيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن سهل . خمسه عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبد الله بن سهل : أخو بنى زعورا ، ويقال : من غسان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، ثم من بنى سواد بن كعب ، وكعب : هو ظفر - قال ابن هشام : ظفر : ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد ، وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد ، رجلان .

قال ابن هشام : عبيد بن أوس الذى يقال له : مقرن ، لأنه قرن أربعة أسرى فى يوم بدر . وهو الذى أسر عقيل بن أبى طالب يومئذ .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب : نصر بن الحارث بن عبد ، ومعتب بن عبد .

ومن حلفائهم ، من بلى : عبد الله بن طارق . ثلاثة نفر .

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مسعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثه .

. . . .

ومن حلفائهم ، ثم من بلى : أبو بردة بن نيار ، واسمه : هانىء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان ابن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ثلاثة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قيس ، وقيس أبو الأقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة ـ ومعتب ابن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ، وأبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعه ، وعمرو ابن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعه .

قال ابن هشام : عمير بن معبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث : ابن عمرو ، وعمرو الذى يقال له : بحزج بن حنس بن عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أميه ؛ ورفاعه بن عبد المنذر بن زنبر ، وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أميه : وعويم بن ساعدة ، ورافع بن عنجدة — وعنجدة أمه ، وفيما قال ابن هشام — وعبيد بن أبى عبيد ، وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لبابه بن عبد المنذر ، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما وأمر أبا لبابه على المدينه ، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر ، تسعه نفر .

قال ابن هشام : ردهما من الروحاء .

قال ابن هشام : وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أميه ، واسم أبى لبابة : بشير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : أنيس بن قتادة بن ربيعه بن خالد بن الحارث بن عبيد .

ومن حلفائهم من بلى : معن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدى بن العجلان ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وربعى ابن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان ـ وخرج عاصم بن عدى بن الجد بن العجلان ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك ـ واسم البرك : امرؤ القيس ابن ثعلبة ـ وعاصم بن قيس .

قال ابن هشام : عاصم بن قيس : ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة ، وأبو حنة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبى ضياح ، ويقال : أبو حية . ويقال لامرىء القيس : البرك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عمرو بن ثعلبه .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النعمان بن أمـــية بن امرئ القيس بن ثعلبه وخوات بن جبير بن النعمان ، ضرب له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسهم مع أصحاب بدر ، سبعة نفر .

. . . .

ومن بنى جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش ابن جحجبى بن كلفة .

قال ابن هشام : ويقال : الحريث بن جحجبى .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بنى أنيف : أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بيحان بن عامر بن الحارث ابن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عبد الله بن تيم بن إراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن بلى ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تيم بن إراشة ، وقسميل بن فاران .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم ، ومنذر بن قدامة بن عرفجة ، ومالك بن قدامة بن عرفجة .

قال ابن هشام : عرفجة : ابن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثه بن غنم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عرفجة ، وتميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سعد بن خيثمة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، ومالك بن نميلة ، حليف لهم من مزينة ، والنعمان بن عصر ، حليف لهم من بلى . ثلاثة نفر .

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمة وأجره ، أحد وستون رجلا .

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار، ثم من الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم من بنى امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ، وسعد ابن ربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ، وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو ابن امرىء القيس ، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس ، أربعة نفر .

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بشير بن سعد بن ثعلبة ابن خلاس بن زيد ـ قال ابن هشام : ويقال : جلاس ، وهو عندنا خطأ ـ وأخوه سماك بن سعد ، رجلان .

ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سبيع بن قيس بن عيشة بن أميه بن مالك بن عامر ابن عدى ، وعباد بن قيس بن عيشة أخوه .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن عبسة بن أمية .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عبس ، ثلاثة نفر .

ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث بن قيس ابن مالك بن أحمر ، وهو الذى يقال له : ابن فسحم رجل .

قال ابن هشام : فسحم أمه ، وهى امرأة من القين بن جسر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جشم بن الحارث بن الخزرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التوءمان : خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ، وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة ، زعموا ، وسفيان بن بشر . أربعة نفر . .

قال ابن هشام : سفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية ابن جدارة ، وعبد الله بن عمير من بنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن عمير بن عدى بن أمية بن جدارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المزين بن قيس بن عدى بن جدارة .

قال ابن هشام : زيد بن المرى .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عرفطة بن عدى بن أمية بن جدارة . أربعة نفر .

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو ابن عباد بن الأبجر رجل .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحبلى ـ قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غنم بن عوف . وإنما سمى الحبلى ، لعظم بطنه : عبد الله بن عبد الله بن أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد المشهور بابن سلول ، وإنما سلول امرأة ، وهى أم أبى : وأوس بن خولى بن عبدالله ابن الحارث بن عبيد . رجلان .

ومن بنى جزء بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء ؛ وعقبة بن وهب ابن كلدة ، حليف لهم من بنى عبدالله بن غطفان ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم ابن غنم ، وعامر بن سلمة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سلمة وهو من بلى من قضاعة .

قال ابن إسحاق : وأبو حميضة معبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم .

قال ابن هشام : معبد بن عبادة بن قشعر بن المقدم ، ويقال : عبادة بن قيس بن المقدم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البكير ، حليف لهم : ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العكير ، ويقال : عاصم بن العكير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان . رجل .

ومن بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف ـ قال ابن هشام : هذا غنم بن عوف ، أخو سالم

. . . .

ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وغنم بن سالم ، الذى قبله على ما قال ابن إسحاق - : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه : أوس بن الصامت ، رجلان .

ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، والنعمان الذى يقال له ، قوقل ، رجل

ومن بنى قريوش بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم - قال ابن هشام : ويقال قريوس بن غنم - ثابت بن هزال ابن عمرو بن قريوش ، رجل .

ومن بنى مرضخة بن غنم بن سالم : مالك بن الدخشم بن مرضخة ، رجل .

قال ابن هشام : مالك بن الدخشم : ابن مالك بن الدخشم بن مرضخة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى لوذان بن سالم : ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان ، وأخوه ورقة ابن إياس . وعمرو بن إياس ، حليف لهم من أهل اليمن ، ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو ربيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بلى ، ثم من بنى غصينة - قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عمارة - المجذر بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غصينة بن عمرو بن بتيرة بن مشنو ابن قسر بن تيم بن إراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : قسر بن تيم بن إراشة ، وقسميل بن فاران ، واسم المجذر : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعبادة بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة ، ونحاب بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم بن عمرو ابن عمارة .

قال ابن هشام : ويقال بحاث بن ثعلبة

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم ، وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاية - حليف لهم - من بهراء ، قد شهد بدراً ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عتبة بن بهز ، من بنى سليم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أبو دجانة ، سماك بن خرشة .

قال ابن هشام : أبو دجانة : سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة ، رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خنبش .

قال ابن إسحاق : ومن بنى البدى بن عامر بن عوف بن حارثه بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أسيد مالك بن ربيعه بن البدى ، ومالك بن مسعود وهو إلى البدى ، رجلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البدى ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة : عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبه بن طريف ، رجل .

ومن حلفائهم ، من جهينة : كعب بن حمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : بن جماز ، وهو من غبشان .

قال ابن إسحاق : وضمرة وزياد وبسبس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضمرة وزياد ، ابنا بشر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بلى . خمسة نفر .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، والحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام ، وعمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام ، وتميم مولى خراش ابن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عمرو بن الجموح ابن زيد بن حرام ، وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام ، وحبيب ابن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ، وثعلبة الذى يقال له : الجذع ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام . اثنا عشر رجلا .

قال ابن هشام : كل ما كان هاهنا الجموح ، فهو الجموح بن زيد بن حرام ، إلا ما كان من جد الصمة بن عمرو ، فانه الجموح بن حرام .

قال ابن هشام : عمير بن الحارث : بن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى خنساء بن سنان بن عبيد : بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن مالك بن خنساء والطفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء ، وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء ، وعتبة بن عبد الله بن صخر ابن خنساء ، وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، وخارجة بن حمير ، وعبد الله بن حمير ، حليفان لهم من أشجع ، من بنى دهمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جبار : ابن صخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى خناس بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس ، ومعقل بن المنذر ابن سرح بن خناس ، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة .

قال ابن هشام : ويقال : بلذمة وبلدمة

قال ابن إسحاق : والضحاك بن حارثه بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدى ، وسواد بن زريق بن ثعلبة ابن عبيد بن عدى .

قال ابن هشام : ويقال ، سواد : بن رزن بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة . ويقال : معبد بن قيس : بن صخر بن حرام بن ربيعة ، فيما قال ابن هشام .

. . . .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم . سبعة نفر .

ومن بنى النعمان بن سنان بن عبيد : عبد الله بن عبد مناف بن النعمان ، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان، وخليدة بن قيس بن النعمان ، والنعمان بن سنان ، مولى لهم . أربعة نفر .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد - قال ابن هشام : عمرو ابن سواد ، ليس لسواد ابن يقال له غنم أبو المنذر ، وهو يزيد بن عامر بن حديدة ، وسليم بن عمرو بن حديدة، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعنترة مولى سليم بن عمرو . أربعة نفر .

قال ابن هشام : عنترة : من بنى سليم بن منصور ، ثم من بنى ذكوان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن غنم : عبس بن عامر بن عدى ، وثعلبة ابن غنمة بن عدى ، وأبو اليسر ، وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وسهل بن قيس ابن أبى كعب بن القين بن كعب بن سواد ، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم ، ومعاذ ابن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى بن أدى بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد ابن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد .

قال ابن هشام : وإنما نسب ابن إسحاق معاذ بن جبل فى بنى سواد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

قال ابن إسحاق : والذين كسروا آلهة بنى سلمة : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن أنيس ، وثعلبة بن غنمة ،وهم فى بنى سواد بن غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، ثم من بنى مخلد بن عامر بن زريق - قال ابن هشام . ويقال : عامر : ابن الأزرق : قيس بن محصن بن خالد بن مخلد.
قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حصن .

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد وجبير بن إياس بن خالد بن مخلد ، وأبو عبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد، وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ، ومسعود بن خلدة بن عامر بن مخلد . سبعة نفر .

ومن بنى خالد بن عامر بن زريق : عباد بن قيس بن عامر بن خالد ، رجل .

ومن بنى خلدة بن عامر بن زريق : أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة ، والفاكه بن بشر ابن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بسر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وأخوه : عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، ومسعود ابن سعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر .

ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعة بن رافع بن العجلان وأخوه خلاد بن رافع بن مالك ابن العجلان ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان . ثلاثة نفر .

ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ، وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة .

قال ابن هشام : ويقال . ودفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة ابن عامر بن بياضة .

قال ابن هشام : ويقال : رخيلة .

قال ابن إسحاق : وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة ، وخليفة بن عدى بن عمرو بن مالك ابن عامر بن فهيرة بن بياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عليفة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن المعلى ابن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب رجل .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غنم بن مالك بن النجار ، ثم من بنى ثعلبة بن عبد عوف بن غنم : أبو أيوب خالد بن كليب بن ثعلبة . رجل .

ومن بنى عسيرة بن عبد عوف بن غنم : ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة . رجل .

قال ابن هشام : يقال : عسير ، وعشيرة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عبد عوف بن غنم : عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو ، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو . رجلان .

ومن بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم : حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد ، وسليم بن قيس بن قهد : واسم قهد : خالد بن قيش بن عبيد . رجلان .

قال ابن هشام : حارثة بن النعمان : ابن نفع بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم ـ ويقال عابد فيما قال ابن هشام : سهيل بن رافع بن أبى عمرو ابن عائذ ، وعدى بن الزغباء ، حليف لهم من جهينة . رجلان .

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غنم : مسعود بن أوس بن زيد ، وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد . ثلاثة نفر .

ومن بنى سواد بن مالك بن غنم : عوف ، ومعوذ ، ومعاذ ، بنو الحارث بن رفاعة بن سواد ، وهم بنو عفراء .

قال ابن هشام : عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، ويقال رفاعة : بن الحارث بن سواد .

. . . .

قال ابن إسحاق : والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد ، ويقال : نعيمان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد ، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد ، وعصيمة ، حليف لهم من أشجع ، ووديعة بن عمرو ، حليف لهم من جهينة ، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد . وزعموا أن أبا الحمراء ، مولى الحارث بن عفراء ، قد شهد بدراً ، عشرة نفر .

قال ابن هشام : أبو الحمراء ، مولى الحارث بن رفاعة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن مالك بن النجار ـ وعامر : مبذول ثم من بنى عتيك بن عمرو بن مبذول : ثعلبة ابن عمرو بن محصن بن عمر بن عتيك ، وسهل بن عتيك بن عمر بن النعمان بن عتيك ، والحارث بن الصمة بن عمرو ابن عتيك ، كسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، ثلاثة نفر .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار ـ وهم بنو حديلة ـ ثم من بنى قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : حديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهى أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو معاوية ينتسبون إليها .

قال ابن إسحاق : أبى بن كعب بن قيس ، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس ، رجلان .

ومن بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : وهم بنو مغالة بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ويقال : إنها من بنى زريق ، وهى أم عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو عدى ينسبون إليها :

أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، وأبو شيخ أبى بن ثابت بن المنذر بن حرام ابن عمرو بن زيد مناة بن عدى .

قال ابن هشام : أبو شيخ أبى بن ثابت : أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى . ثلاثة نفر .

ومن بنى عدى بن النجار ، ثم من بنى عدى بن عامر بن غنم بن النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدى ابن مالك بن عدى بن عامر ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وهو أبو حكيم ، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر ، وأبو سليط ، وهو أسيرة بن عمرو ، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر ، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر ، وعامر ابن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر ، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر ، وسواد بن غزية بن أهيب ، حليف لهم من بلى ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سواد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار : أبو زيد ، قيس بن سكن

. . . .

ابن قيس بن زعوراء بن حرام ، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأعور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسليم بن ملحان ، وحرام بن ملحان — واسم ملحان ، مالك بن خالد بن زيد بن حرام . أربعة نفر .

ومن بنى مازن بن النجار ، ثم من بنى عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار : قيس بن أبى صعصعة — واسم صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف ، وعصيمة ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة . ثلاثة نفر .

ومن بنى خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن : أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء ، وسراقة ابن عمرو بن عطية بن خنساء ، رجلان .

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار : قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة ، رجل .

ومن بنى دينار بن النجار ، ثم من بنى مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار : النعمان : بن عبد عمرو بن مسعود ، والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود ، وسليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار ، وهو أخو الضحاك والنعمان ابنى عبد عمرو ، لأمهما ، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة ، وسعد ابن سهيل بن عبد الأشهل ، خمسة نفر .

ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار : كعب بن زيد بن قيس ، وبجير بن أبى بجير ، حليف لهم ، رجلان .

قال ابن هشام : بجير : من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، ثم من بنى جذيمة بن رواحة .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدراً من الخزرج مائة وسبعون رجلا .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج ببدر ، فى بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج : عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان ، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

وفى بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهم فى بنى زريق هلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدراً من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاث مائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ، ومن الأوس واحد وستون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا .

من استشهد من المسلمين يوم بدر

واستشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قريش ، ثم من بنى المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث بن المطلب قتله عتبة بن ربيعة ، قطع رجله ، فمات بالصفراء ، رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب، عمير بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهو أخو سعد بن أبى وقاص، فيما قال ابن هشام، وذو الشمالين بن عبدعمرو بن نضلة، حليفلهم من خزاعة، ثم من بنى غبشان، رجلان.

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: عاقل بن البكير: حليف لهم من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومهجع، مولى عمر بن الخطاب، رجلان.

ومن بنى الحارث بن فهر: صفوان بن بيضاء رجل، ستة نفر.

ومن الأنصار، ثم من بنى عمرو بن عوف: سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر بن زنبر، رجلان.

ومن بنى الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذى يقال له: ابن فسحم، رجل.

ومن بنى سلمة، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة: عمير بن الحمام، رجل.

ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم: رافع بن المعلى، رجل.

ومن بنى النجار: حارثة بن سراقة بن الحارث، رجل.

ومن بنى غنم بن مالك بن النجار: عوف ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد، وهما ابنـا عفراء، رجلان، ثمانية نفر.

من شهد بدراً

قد تقدم التعريف بكثير منهم، ومن غيرهم ممن جرى ذكره فى السيرة والتنبيه إلى ما تتشوف إليه نفس الطالب من هذا الفن وسائرهم قد نسبه ابن إسحاق وابن هشام فى هذا الباب، ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم ابن إسحاق فى هذا الباب منهم: أبو الهيثم بن التيهان تقدم التعريف به فى بيعة العقبة، وأنه من بنى إراش فى قول ابن إسحاق، وقال ابن هشام: إراشة.

وذكر فى بنى الحارث بن فهر عياض بن أبى زهير، هكذا ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر وغيرها من النسخ الصحاح، وهو وهم، والصواب عياض بن زهير، وليس الوهم فيه من ابن إسحاق، لأنه قد ذكره فى المهاجرين إلى الحبشة، فقال فيه ابن زهير على الصواب، وكذلك قال فى ابن أخيه عمرو بن الحارث بن زهير، وغنم بن زهير والد عياض بن غنم صاحب الفتوحات الذى يقول فيه ابن الرقيات:

وعياض وما عياض بن غنم   كان من خير من تحن النساء

والحارث بن زهير والد عمرو بن الحارث بن زهير، وقد ذكر ابن إسحاق عمرو بن الحارث أيضا، فقال فيه: ابن زهير لا ابن أبى زهير والحمد لله.

وذكر ابن إسحاق فى البدريين عاصم بن عدى لم يشهدها، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم رده من الروحاء لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شىء عن أهل مسجد الضرار، وكان قد استخلفه على قباء والعالية، فرده لينظر فى ذلك، وضرب له بسهمه مع أهل بدر، وعاصم هو المذكور فى حديث اللعان الذى يقول له عويمر العجلانى وهو عويمر بن أبيض، ويقال فيه: ابن أشقر: سل لى يا عاصم عن ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفى سنة خمس وأربعين، وهو ابن عشرين ومائة يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله.

. . . .

قصة خوات بن جبير : وذكر ابن إسحاق فيمن رده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر ، وضرب له بسهمه خوات بن جبير ، رده من الصفراء ، وسبب ذلك ـ فيما ذكر ابن عقبة أن حجراً أصابه فى رجله فورمت عليه ، واعتلت ، فرده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك ، وهو صاحب خولة ذات النحيين فى الجاهلية ، وهى امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، ويروى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله عنها وتبسم فقال : يا رسول الله قد رزق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ويرى أنه قال له : ما فعل بعيرك الشارد ؟ فقال : قيده الإسلام يا رسول الله ، وقيل معنى قوله : بعيرك الشارد : أنه مر فى الجاهلية بنسوة أعجبه حسنهن ، فسألهن أن يفتلن له قيداً لبعير له ، زعم أنه شارد ، وجلس إليهن بهذه العلة ، فمر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يتحدث إليهن ، فأعرض عنه وعنهن ، فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد ، وهو يتبسم له ، فقال خوات : قيده الإسلام يا رسول الله ، قال الواقدى : يكنى أبا صالح ، وروى النمرى فى حديث مسند إلى خوات أن عمر بن الخطاب ، كناه أبا عبد الله ، وذلك أنه كان معه فى ركب ، فقال له الركب غننا من شعر ضرار ، فقال عمر : دعوا أبا عبد الله يغنينا بنيات فؤاده قال : فأنشدهم حتى السحر ، فقال عمر ارفع لسانك يا أبا عبد الله فقد أسحرنا .

نسب النعمان بن عصر : وذكر النعمان بن عصر ، ولم ينسبه ، وهو ابن عصر بن الربيع بن الحارث بن أديم البلوى ، وقيل عصر بن عبيد بن وائلة بن حارثة البلوى ، قتل باليمامة .

أسماء وأنساب : وذكر فى نسب زيد بن وديعة جزء بن عدى .

وذكر أبو بحر أنه قيده عن أبى الوليد جزء بسكون الزاى ، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاى .

وذكر رافع بن عنجدة ، وقال : هى أمه ، ولم يذكر أباه ، واسمه : عبد الحارث ، والعنجدة حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب ، وأما عجم الزبيب ، فهو الفرصد قاله أبو حنيفة .

وذكر كعب بن جماز بالجيم والزاى ، كما قال ابن هشام ، لا كما قال ابن إسحاق ، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام ، غير أن الدارقطنى قيد فيه رواية ثالثة : ابن حمان بنون وحاء مكسورة .

وذكر فيهم أبا حميصة ، واسمه : معبد بن عباد : قال أبو عمر : كذا قيده إبراهيم بن سعد بن إسحاق ، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه : أبو خميصة بخاء منقوطة وصاد مهملة

وذكر فى البلويين أبا عقيل ، ولم يسمه وكان اسمه فى الجاهلية عبد العزى ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الأوثان ابن عبد الله بن ثعلبة قتل باليمامة

وأما أبو عقيل صاحب الصاع الذى الذى لمزه المنافقون ، فاسمه حثحات ، وفيه أنزلت : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » وذلك أنه جاء بصاع من تمر فوضعه فى العرقة حين حث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النفقة فى سبيل الله ، فضحك منه المنافقون وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

ووقع فى أنساب البدريين ابن قربوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام : قريوس بالسين المهملة ، كذا قيده أبو الوليد ، وفى أكثر الروايا قربوس بفتح القاف والباء المضمومة بواحدة ، فقربوش : معيول من التقرش ، وهو التكسب ، وبالسين فعيول من القرس ، وهو البرد وقريوش بالشين المنقوطة أصح فيه لأنه من

. . . .

التقرش وهو التكسب ، كما سميت قريش به ، قاله قطرب ، وممن لم يشهد بدراً لعذر ، وهو من النقباء سعد بن عبادة سيد الخزرج لأنه نهشته حية ، فلم يستطع الخروج ، هذا قول القتبي ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابن عقبة ، وقد ذكرته طائفة فيهم : ابن الكلبي وجماعة .

وذكر أبا الضياح واسمه النعمان ، وقيل عمير بن ثابت بن النعمان ، قتل يوم خيبر .

وذكر فى بنى النجار من ينسب إلى جدارة بن الحارث ، وجدارة أخو خدرة رهط أبى سعيد الخدرى ، وغير ابن إسحاق يقول فى جدارة خدارة بالخاء المضمومة ، قاله ابن دريد ، وكذلك قيده النمرى ، فهما خدرة وخدارة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة ، وقاله ابن هشام بالحاء المهملة ، كذلك قال أبو عمر ، وقيده الشيخ أبو بحر عن أبى الوليد فقال ابن هشام .

وذكر رجيلة بن ثعلبة ، وقيد فى رواية موسى بن عقبة رخيلة بالخاء المنقوطة ، كما وقع فى رواية موسى ابن عقبة .

وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت ، واسمه : أبى وهو أخو حسان ، وقيل بل هو ابن أبى بن ثابت وحسان عمه ، ووقع فى نسخة الشيخ أبى بحر غلط أصلحته ، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أبى بن ثابت بن المنذر .

الذين استشهدوا فى بدر : فصل : وذكر فيمن استشهد يوم بدر: عمير بن أبى وقاص ، وذكر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان قد رده فى ذلك اليوم ، لأنه استصغره ، فبكى عمير ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم بكاءه أذن له فى الخروج معه ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة ، قتله العاصى بن سعيد .

وذكر ابن إسحاق حارثة بن سراقة ، فيمن قتل يوم بدر وهو أول قتيل من المسلمين فى ذلك اليوم ، رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته ، فمات ، وجاءت أمه وهى الربيع بنت النضر عمة أنس ، فقالت: يا رسول الله قد علمت موضع حارثة منى فإن يكن فى الجنة أصبر وأحتسب ، وإن يكن غير ذلك ، فسترى ما أصنع ، فقال: أوجنة واحدة هى ؟ إنما هى جنات وإن ابنك منها لفى الفردوس .

وذكر فيهم عمير بن الحمام بن الجموح ، وقد قدمنا ذكره ، وقتله خالد بن الأعلم .

وذكر ذا الشمالين الخزاعى الغبشانى حليف بنى زهرة ، وهو الذى ذكره الزهرى فى حديث التسليم من ركعتين ، قال : فقام ذو الشمالين رجل من بنى زهرة ، فقال : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصدق ذو اليدين ؟ لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ ، إلا ابن شهاب الزهرى ، وهو غلط عند أهل الحديث ، وإنما هو ذو اليدين السلمى ، واسمه : خرباق وذو الشمالين قتل يوم بدر ، وحديث التسليم من ركعتين ، شهده أبو هريرة ، وكان إسلامه بعد بدر بسنتين ، ومات ذو اليدين السلمى فى خلافة معاوية ، وروى عنه حديثه فى التسليم ابنه مطير بن الخرباق ، يرويه عن مطير ابنه شعيث بن مطير .

ولما رأى المبرد حديث الزهرى : فقام ذو الشمالين ، وفى آخره أصدق ذو اليدين ؟ قال: هو ذو الشمالين وذو اليدين : كان يسمى بهما جميعاً ، وجهل ما قاله أهل الحديث والسير فى ذى الشمالين ، ولم يعرف رواية إلا الرواية التى فيها الغلط ، قال ذلك فى آخر كتاب الكامل فى باب الأذواء يوم بدر .

ومن البدريين عليفة بن عدى البياضى أيضاً ، هكذا اسمه عند أهل السير ، وسماه ابن إسحاق فقال خليفة بن

من قتل ببدر من المشركين

وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ، ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : حنظلة بن أبى سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس ، قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ، ويقال اشترك فيه حمزة وعلى وزيد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والحارث بن الحضرمى ، وعامر بن الحضرمى حليفان لهم قتل عامراً : عمار بن ياسر ، وقتل الحارث : النعمان بن عصر ، حليف للأوس ، فيما قال ابن هشام وعمير بن أبى عمير ، وابنه : موليان لهم ، قتل عمير بن أبى عمير : سالم ، مولى أبى حذيفة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله على بن أبى طالب . وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، صبراً .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عبيدة بن الحارث بن المطلب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلى .

قال ابن إسحاق : وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتله على بن أبى طالب ، وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بنى أنمار بن بغيض ، قتله على بن أبى طالب . اثنا عشر رجلا .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل، قتله - فيما يذكرون - خبيب بن إساف ، أخو بنى

عدى بالخاء ، وممن شهد بدراً ، ولم يذكره ابن هشام عن البكائى ، وذكره ابن إسحاق فى رواية إبراهيم عن سعد عنه : عياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وقد ذكره فى البدريين موسى بن عقبة وخليفة بن خياط وجماعة ، وممن ذكر فى البدريين ولم يذكره ابن إسحاق يزيد بن الأخنس السلمى ، وابنه معن بن يزيد وأبوه الأخنس ، ولا يعرف من شهد بدراً ثلاثة أب وابن وجد إلا هؤلاء ، وأكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدراً لكن شهدوا بيعة الرضوان ، ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة بضم الجيم بن زغب من بنى بهثة بن سليم . قال ابن ماكولا : لا يعرف جرة بضم الجيم إلا هذا ، ولا جرة بكسر الجيم إلا السوم بنت عمرو بن جرة من بنى ضمرة أم الشداخ واسمه يعمر بن عوف ، وقد تقدم ذكره فى حديث قصى ولم سمى الشداخ ، وممن ذكره البخارى فى البدريين خديم بن فاتك وأخوه سبرة الأسديان ، وممن ذكره البخارى فى البدريين من بنى سلمة جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حزام ، وقال أبو عمر : لا يصح شهوده بدراً ، وذكر اختلاف الناس فى ذلك ، وفى السنن لأبى داود أن جابراً قال : كنت أميح أصحابى الماء يوم بدر ، أى : كان صغيراً فلم يسهم له ، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تصحيف، وأن الصحيح كنت منيح أصحابى يوم بدر، والمنيح : السهم ، يريد أنهم كانوا يرسلونه فى حوائجهم لصغر سنه ، وممن شهد بدراً وذكره ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام : طليب بن عمير من بنى عبد بن قصى ، وأمه أروى عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

الحارث بن الخزرج ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، قتله على بن أبى طالب ، ويقال : حمزة بن عبد المطلب . رجلان.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد .

قال ابن هشام : قتله ثابت بن الجذع ، أخو بنى حرام ، فيما قال ابن هشام .

ويقال : اشترك فيه حمزة وعلى بن أبى طالب وثابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زمعة ، قتله عمار بن ياسر - فيما قال ابن هشام - وعقيل بن الأسود بن المطلب، قتله حمزة وعلى ، اشتركا فيه - فيما قال ابن هشام - وأبو البخترى ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، قتله المجذر بن ذياد البلوى .

قال ابن هشام : أبو البخترى : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العدوية، عدى خزاعة ، وهو الذى قرن أبا بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله حين أسلما فى حبل ، فكانا يسميان : القرينين لذلك ، وكان من شياطين قريش - قتله على بن أبى طالب . خمسة نفر .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب صبراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأثيل . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث : بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مليص ، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

قال ابن هشام : قتل زيد بن مليص بلال بن رباح ، مولى أبى بكر ، وزيد حليف لبنى عبد الدار ، من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المقداد بن عمرو .

قال ابن إسحاق ومن بنى تيم بن مرة : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق: وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صهيب بن سنان . رجلان.

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو جهل بن هشام - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم - ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فقطع رجله ، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ، ثم تركه وبه رمق ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى - والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم .

قال ابن هشام ثم أحد بنى عمرو بن تيم ، وكان شجاعا ، قتله عمار بن ياسر .

قال ابن إسحاق: وأبو مسافع الأشعرى ، حليف لهم ، قتله أبو دجانة الساعدى - فيما قال ابن هشام - وحرملة ابن عمرو ، حليف لهم .

قال ابن هشام :

قتله خارجة بن زيد بن أبى زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، ويقال : بل على بن أبى طالب - فيما قال ابن هشام - وحرملة ، من الأسد .

قال ابن إسحاق : ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام - وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

قال ابن هشام قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، ويقال : قتله عمار بن ياسر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قتله سعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، فيما قال ابن هشام : والمنذر بن أبى رفاعة بن عابد ، قتله معن بن عدى بن الجد بن العجلان حليف بنى عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام ، وعبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة ابن عابد ، قتله على بن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

قال ابن هشام : السائب بن أبى السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك السائب لا يشارى ولا يمارى ، وكان أسلم فحسن إسلامه - فيما بلغنا - والله أعلم .

وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس : أن السائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين .

قال ابن هشام : وذكر غير ابن إسحاق : أن الذى قتله الزبير بن العوام .

قال ابن إسحاق : والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وحاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن هشام : ويقال : عائذ : بن عمران ابن مخزوم ، ويقال : حاجز بن السائب - والذى قتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان بن مالك القوقلى مبارزة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيء ، قتل عمراً يزيد بن رقيش ، وقتل جابر أبو بردة بن نيار ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلا .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى : منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بنى سلمة ، وابنه العاص بن منبه بن الحجاج ، قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام : ونبيه ابن الحجاج بن عامر ، قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .

. . . .

قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : النعمان بن مالك القوقلى ، ويقال : أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : وعاصم بن عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بنى سلمة ، فيما قال ابن هشام ، خمسة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى : أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رجل من الأنصار من بنى مازن .

قال ابن هشام : ويقال : بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن إساف ، اشتركوا فى قتله .

قال ابن إسحاق : وابنه على بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر ؛ وأوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح ، قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ، ويقال : قتله الحصين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مظعون ، اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : معاوية بن عامر ، حليف لهم من عبد القيس ، قتله على بن أبى طالب . ويقال : قتله عكاشة بن محصن ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن وهب ، حليف لهم من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ، قتل معبداً خالد وإياس ابنا البكير ، ويقال : أبو دجانة ، فيما قال ابن هشام ، رجلان .

قال ابن هشام : فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر : خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، عن أبى عمرو : أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن العباس ، وسعيد بن المسيب . وفى كتاب الله تبارك وتعالى : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » ، يقوله لأصحاب أحد ـ وكان من استشهد منهم سبعين رجلا ـ يقول : قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيراً . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

فأقام بالعطن المعطن منهم   سبعون ، عتبة منهم والأسود

قال ابن هشام : يعنى قتلى بدر . وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها .

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : وهب بن الحارث ، من بنى أنمار بن بغيض ، حليف لهم ، وعامر بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، رجلان .

من بنى أسد بن عبد العزى : عقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن وعمير مولى لهم ، رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : نبيه بن زيد بن مليص ، وعبيد بن سليط ، حليف لهم من قيس ، رجلان .

. . . .

ومن بنى تيم بن مرة : مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الأسارى، فعد فى القتلى ، ويقال : وعمرو بن عبد الله بن جدعان ، رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبى وقاص ، وهشام بن أبى حذيفة ابن المغيرة ، قتله صهيب بن سنان ، وزهير بن أبى رفاعة ، قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة ، والسائب بن أبى رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف ، وعائذ بن السائب بن عويمر ، أسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب ، وعمير حليف لهم من طيء ، وخيار ، حليف لهم من القارة . سبعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو : سبرة بن مالك ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو : الحارث بن منبه بن الحاج ، قتله صهيب بن سنان ، وعامر بن عوف بن ضبيرة ، أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله عبد الله بن سلمة العجلانى ، ويقال : أبو دجانة ، رجلان .

ذكر أسرى قريش يوم بدر : قال ابن إسحاق : وأسر من المشركين من قريش يوم بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب ، ونعمان بن عمرو بن علقمة ابن المطلب ، رجلان .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والحارث بن أبى وجزة بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، ويقال : ابن أبى وحرة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس، ومن حلفائهم أبو ريشة بن أبى عمرو ، وعمرو بن الأزرق ، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، سبعة نفر.

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل ، وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان ابن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو عزيز بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر بن الحارث بن السباق ، رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد ، والحويرث بن عباد بن عثمان ابن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شماس ، حليف لهم ، ثلاثة نفر .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمية بن أبى حذيفة ابن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وصيفى بن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ، وأبو عطاء عبد الله بن أبى السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد

ابن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان ـ فيما يذكرون ـ أول من ولى فاراً منهزماً ، وهو الذى يقول :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدم

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لسنا على الأعقاب » .

وخالد بن الأعلم ، من خزاعة ، ويقال : عقيلى .

قال ابن إسحاق ، ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : أبو وداعة بن ضبيرة بن سعد بن سهم ، كان أول أسير أفتدى من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبى وداعة ، وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم ، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم ، والحجاج بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، أربعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب بن حذافة بن جمح ، والفاكه ، مولى أمية بن خلف ، ادعاه بعد ذلك رباح بن المغترف ، وهو يزعم أنه من بنى شماخ بن محارب بن فهر ـ ويقال : إن الفاكه : ابن جرول بن حذيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب بن فهر ـ ووهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وربيعة ابن دراج بن العنبس بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ أسره مالك بن الدخشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ثلاثة نفر .

ومن بنى الحارث بن فهر : الطفيل بن أبى قنيع ؛ وعتبة بن عمرو بن جحدم ، رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه .

وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

من بنى هاشم بن عبد مناف : عتبة ، حليف لهم من بنى فهر ، رجل .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : عقيل بن عمرو ، حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه ، ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية ، رجلان .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : نبهان ، مولى لهم ، رجل .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ، رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : عقيل ، حليف لهم من اليمن ، رجل .

ومن بنى تيم بن مرة : مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم ، رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : قيس بن السائب ، رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أبى بن خلف ، وأبو رهم بن عبدالله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عنى اسمه ، ومولیان لأمية بن خلف ، أحدهما نسطاس ، وأبو رافع ، غلام أمية بن خلف ، ستة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو : أسلم ، مولى نبيه بن الحجاج ، رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك ، رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر : شافع وشفيع ، حليفان لهم من أرض اليمن . رجلان .

ما قيل من الشعر فى يوم بدر : قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر ، وتراد به القوم بينهم لما كان فيه ، قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ... فخانوا تواص بالعقوق وبالكفر
عيشة راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهوناً للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلى الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغى ثاوياً ... وشيبة فى القتلى تجرجم فى الحفر
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب ... كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله ... فخاس بهم ، إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم - إذ عاين الأمر واضحاً - ... برئت إليكم ما بى اليوم من صبر
فإنى أرى ما لا ترون وإننى ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهم تجرى

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة . فقال :

ألا يا لقومى للصبابة والهجر ... وللحزن منى والحرارة فى الصدر

وللدمع من عينى جوداً كأنه — فريد هوى من سلك ناظمه يجرى
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى — رهين مقام الركية من بدر
فلا تبعدن يا عمرو من ذى قرابة — ومن ذى ندم كان ذا خلق عمر
فإن يك قوم صادفوا منك دولة — فلابد للأيام من دول الدهر
فقد كنت فى صرف الزمان الذى مضى — تريهم هواناً منك ذا سبل وعر
فإلا أمت يا عمرو أتركك ثائراً — ولا أبق بقيا فى إخاء ولا صهر
وأقطع ظهراً من رجال بمعشر — كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهرى
أغرهم ما جمعوا من وشيظة — ونحن الصميم فى القبائل من فهر
فيال لؤى ذببوا عن حريمكم — وآلهة لا تتركوها لذى الفخر
توارثهـا آباؤكم وورثتم — أواسيها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم — فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتم وتوازروا — وكونوا جميعاً فى التأسى وفى الصبر
لعلكم أن تثأروا بأخيكم — ولا شىء إن لم تثأروا بذوى عمرو
بمطردات فى الأكف كأنها — وميض تطير الهام بينة الأثر
كأن مدب الذر فوق متونها — إذا جردت يوماً لأعدائها الخزر

قال ابن هشام: أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحاق، وهما «الفخر» فى آخر البيت، و «فما لحليم» فى أول البيت؛ لأنه نال فيهما من النبى صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وقال على بن أبى طالب فى يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها، وإنما كتبناها لأنه يقال: إن عمرو ابن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى، وذكره فى هذا الشعر:

ألم تر أن الله أبلى رسوله — بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة — فلاقوا هواناً من إسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره — وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل — مبينة آياته لذوى العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا — فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم — فزادهم ذو العرش خبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله — وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها — وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشىء ذى حمية — صريعاً ومن ذى نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم — تجود بإسبال الرشاش وبالوبل

. . . .

نوائح تنعى عتبة الغى وابنه   وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم   مسلبة حرى مبينة الشكل
ثوى منهم فى بئر بدر عصابة   ذوى نجدات فى الحروب وفى المحل
دعا الغى منهم من دعا فأجابه   وللغى أسباب مرمقة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل   عن الشغب والعدوان فى أشغل الشغل

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقال :

عجبت لأقوام تغنى سفيههم   بأمر سفاه ذى اعتراض وذى بطل
تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا   كرام المساعى من غلام ومن كهل
مصاليت بيض من لؤى بن غالب   مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل
أصيبوا كراماً لم يبيعوا عشيرة   بقوم سواهم نازحى الدار والأصل
كما أصبحت غسان فيكم بطانة   لكم بدلا منا فيالك من فعل
عقوقاً وإثما بيناً وقطيعة   يرى جوركم فيها ذوو الرأى والعقل
فإن يك قوم قد مضوا لسبيلهم   وخير المنايا ما يكون من القتل
فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم   لكم كائن خبلا مقيما على خبل
فإنكم لن تبرحوا بعد قتلهم   شتيتاً هواكم غير مجتمعى الشمل
بفقد ابن جدعان الحميد فعاله   وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل
وشيبة فيهم والوليد وفيهم   أمية مأوى المعترين وذو الرجل
أولئك فابك ثم لا تبك غيرهم   نوائح تدعو بالرزية والثكل
وقولوا لأهل المكتين تحاشدوا   وسيروا إلى آطام يثرب ذى النخل
جميعاً وحاموا آل كعب وذببوا   بخالصة الألوان محدثة الصقل
وإلا فبيتوا خائفين وأصبحوا   أذل لوطء الواطئين من النعل
على أنى واللات يا قوم فاعلموا   بكم واثق أن لا تقيموا على تبل
سوى جمعكم للسابغات وللقنا   وللبيض والبيض القواطع والنبل

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر فى يوم بدر :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر   عليهم غداً والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار وإن كان معشر   أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا   فإنا رجال بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم
بنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر
ووسط بنى النجار سوف نكرها   لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم   وليس لهم إلا الأمانى ناصر

وتبكيهم من أهل يثرب نسوة … لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لانزال سيوفنا … بهن دم ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا فى يوم بدر فإنما … بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه … يحامون فى اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم … ويدعى على وسط من أنت ذاكر
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم … وسعد إذا ما كان فى الحرب حاضر
أولئك لا من نتجت فى ديارها … بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤى بن غالب … إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك … غداة الهياج الأطيبون الأكاثر

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، فقال :

عجبت لأمر الله والله قادر … على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً … بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم … من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لانحاول غيرنا … بأجمعها كعب جميعاً وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله … له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بنى النجار تحت لوائه … يمشون فى الماذى والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد … لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لارب غيره … وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها … مقابيس يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا … وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه … وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى … ومامنهم إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها … وكل كفور فى جهنم صائر
تلظى عليهم وهى قد شب حميها … بزبر الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال أقبلوا … فولوا وقالوا : إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به … وليس لأمر حمه الله زاجر

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى قتل بدر :

قال ابن هشام : وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى نوفل ابن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : حليف بنى عبد الدار :

ماذا على بدر وماذا حوله — من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيهاً خلفهم ومنبهاً — وابنى ربيعة خير خصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه — كالبدر جلى ليـــلة الإظلام
والعاصى بن منبه ذا مرة — رمحا تميما غير ذى أوصام
تنمى به أعراقه وجدوده — ومآثر الاخوال والأعمـام
وإذا بكى باك فأعول شجوه — فعلى الرئيس الماجد ابن هشام
حيا الإله أبا الوليد ورهطه — رب الأنام ، وخصهم بسلام

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت — بدم تعل غروبها سجام
ماذا بكيت به الذين تتايعوا — هلا ذكرت مكارم الأقوام
وذكرت منا ماجداً ذا همة — سمح الخلائق صادق الإقدام
أعنى النبى أخا المكارم والندى — وأبر من يولى على الإقسام
فلمثله ولمثل ما يدعو له — كان الممدح ثم غير كهام

وقال حسان بن ثابت الأنصارى أيضاً :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة — تشفى الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطه بماء سحابة — أو عاتق كدم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضد — بلهاء غير وشيكة الاقسام
بنيت على قطن أجم كأنه — فضلا إذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل أن تجىء فراشها — فى جسم خرعبة وحسن قوام
أما النهار فلا أفتر ذكرها — والليل توزعنى بها أحلامى
أقسمت أنساها وأترك ذكرها — حتى تغيب فى الضريح عظامى
يا من لعاذلة تلوم سفاهة — ولقد عصيت على الهوى لوامى
بكرت على بسحرة بعد الكرى — وتقارب من حادث الأيام
زعمت بأن المرء يكرب عمره — عدم لمعتكر من الاصرام
إن كنت كاذبة الذى حدثتنى — فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم — ونجا برأس طمرة ولجام
تذر معناجيج الجياد بقفرة — مر الدموك بمحصد ورجام
ملأت به الفرجين فارمدت به — وثوى أحبته بشر مقام
وبنو أبيه ورهطه فى معرك — نصر الإله به ذوى الإسلام
طحنتهم ، والله ينفذ أمره ، — حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه — جزر السباع ودسنه بحوامى
من بين مأسور يشد وثاقه — صقر إذا لاقى الأسنة حامى

وبجدل لا يستجيب لدعوة حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذا رأى بيض السيوف تسوق كل همام
بيدى أغر إذا انتمى لم يخزه نسب القصار سميدع مقدام
بيض إذا لاقت حديداً صممت كالبرق تحت ظلال كل غمام

فأجابه الحارث بن هشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مهرى بأشقر مزبد
وعرفت أنى إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن إسحاق : قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

لقد علمت قريش يوم بدر غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابنى ربيعة يوم سارا إلينا فى مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت بنو النجار تخطر كالأسود
وولت عند ذاك جموع فهر وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلا وقتلا جهيزاً نافذاً تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعاً ولم يلووا على الحسب التليد

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

يا حار قد عولت غير معول عند الهياج وساعة الأحساب
إذ تمتطى سرح اليدين نجيبة مرطى الجراء طويلة الأقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى قعص الأسنة ضائع الأسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار مخزية وسوء عذاب

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمى :

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم جلد النحيزة ماض غير رعديد

. . . .

أعنى رسول إله الخلق فضله ... على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر زعمتم غير مورود
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد
مستعصمين بحبل غير منجذم ... مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ... حتى الممات ونصر غير محدود
واف وماض شهاب يستضاء به ... بدر أنار على كل الأماجيد

قال ابن هشام : بيته : « مستعصمين بحبل غير منجذم » عن أبي زيد الأنصارى قال ابن إسحاق : وقال حسان ابن ثابت أيضاً :

خابت بنو أسد وآب غزيهم ... يوم القليب بسوءة وفضوح
منهم أبو العاصى تجدل مقعصاً ... عن ظهر صادقة النجاء سبوح
حينا له من مانع بسلاحه ... لما ثوى بمقامه المذبوح
والمرء زمعة قد تركن ونحره ... يدمى بعاند معبط مسفوح
متوسداً حر الجبين معفراً ... قد عر مارن أنفه بقبوح
ونجا ابن قيس فى بقية رهطه ... بشفا الرماق مولياً بجروح

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة ... إبارتنا الكفار فى ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا ... فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو لليدين وللنحر
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده ... وطعمة أيضاً عند ثائرة القتر
فكم قد قتلنا من كريم مرزإ ... له حسب فى قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات ينبنهم ... ويصلون ناراً بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك ... وأشياعهم يوم التقينا على بدر

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو لليدين وللنحر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

نجى حكيما يوم بدر شده ... كنجاء مهر من بنات الأعوج
لما رأى بدراً تسيل جلاهه ... بكتيبة خضراء من بلخزرج
لا ينكلون إذا لقوا أعداءهم ... يمشون عائدة الطريق المنهج
كم فيهم من ماجد ذى منعة ... بطل بمهلكة الجبان المحرج
ومسود يعطى الجزيل بكفه ... حمال أثقال الديات متوج

. . . .

زين الندى معاود يوم الوغى ضرب الكماة بكل أبيض سلجج

قال ابن هشام : قوله سلجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق وقال حسان أيضاً :

فما تخشى بحول الله قوماً وإن كثروا وأجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعاً علينا كفانا حدهم رب رءوف
سمونا يوم بدر بالعوالى سراعاً ما تضعضعنا الحتوف
فلم تر عصبة فى الناس أنكى لمن عادوا إذا لقحت كشوف
ولكنا توكلنا وقلنا مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا ونحن عصابة وهم ألوف

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو بنى جمح ومن أصيب منهم :

جمحت بنو جمح لشقوة جدهم إن الذليل موكل بذليل
قتلت بنو جمح ببدر عنوة وتخاذلوا سعياً بكل سبيل
جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد والله يظهر دين كل رسول
لعن الإله أبا خزيمة وابنه والخالدين ، وصاعد بن عقيل

قال ابن إسحاق : وقال عبيد بن الحارث بن المطلب فى يوم بدر ، وفى قطع رجله حين أصيب ، فى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم ـ قال ابن هشام ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة :

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذا ولى وشيبة بعده وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلم أرجى بها عيشاً من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشاً تعرقت صفوه وعالجته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمنى الرحمن من فضل منه بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروهاً إلى قتالهم غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبغ إذ سألوا النبى سواءنا ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا نقاتل فى الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رجل عبيدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحق منه بما قال حين يقول :

كذبتم وبيت الله يبزى محمد ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب ، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجلة يوم بدر ، قال كعب بن مالك الأنصارى يبكيه:

أيا عين جودى ولا تبخلى ... بدمعك حقاً ولا تنزرى
على سيد هدنا هلكه ... كريم المشاهد والعنصر
جرىء المقدم شاكى السلاح ... كريم النثا طيب المكسر
عبيدة أمسى ولا نرتجيه ... لعرف عرانا ولا منكر
وقد كان يحمى غداة القتا ... ل حامية الجيش بالمبتر

وقال كعب بن مالك أيضاً ، فى يوم بدر :

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها ... وأخبر شىء بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسى عداوة ... معد معاً جهالها وحليمها
لأنا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبى له فى قومه إرث عزة ... وأعراق صدق هذبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا ... أسود لقاء لا يرجى كليمها
ضربناهم حتى هوى فى مكرنا ... لمنخر سوء من لؤى عظيمها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم ... سواء علينا حلفها وصميمها

وقال كعب بن مالك أيضا :

لعمر أبيكما يا بنى لؤى ... على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر ... ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو ... دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر ... من امر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر ... وما رجعوا إليكم بالسواء
فلا تعجل أبا سفيان وارقب ... جياد الخيل تطلع من كداء
بنصر الله روح القدس فيها ... وميكال ، فياطيب الملاء

وقال طالب بن أبى طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكى أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

ألا إن عينى أنفدت دمعها سكبا ... تبكى على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً فى الحروب تخاذلوا ... وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكى للملمات غدوة ... فياليت شعرى هل أرى لهما قربا
هما أخواى لن يعدا لغية ... تعد ولن يستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا ... فدآ لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ود وألفة ... أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس ... وجيش أبى يكسوم إذ ملئوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شىء غيره ... لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا فى قريش عظيمة ... سوى أن حمينا خير من وطىء التربا
أخا ثقة فى النائبات مرزأ ... كريماً نثاه لا بخيلا ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه ... يؤمون بحراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسى حزينة ... تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى ، يرثى أبا جهل :

ألا من لعين باتت الليل لم تنم ... تراقب نجمان فى سواد من الظلم
كأن قذى فيها وليس بها قذى ... سوى عبرة من جائل الدمع تنسجم
فبلغ قريضاً أن خير ندبها ... وأكرم من يمشى بساق على قدم
ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنها ... كريم المساعى غير وغد ولا برم
فآليت لا تنفك عينى بعبرة ... على هالك بعد الرئيس أبى الحكم
على هالك أشجى لؤى بن غالب ... أتته المنايا يوم بدر فلم يرم
ترى كسر الخطى فى نحر مهره ... لدى بائن من لحمه بينها خذم
وما كان ليث ساكن بطن بيشة ... لدى غلل يجرى ببطحاء فى أجم
بأجرأ منه حين تختلف القنا ... وتدعى نزال فى القماقة البهم
فلا تجزعوا آل المغيرة واصبروا ... عليه ومن يجزع عليه فلم يلم
وجدوا فإن الموت مكرمة لكم ... وما بعده فى آخر العيش من ندم
وقد قلت إن الريح طيبة لكم ... وعز المقام غير شك لذى فهم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار .

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام ، يبكى أخاه أبا جهل :

ألا يا لهف نفسى بعد عمرو ... وهل يغنى التلهف من قتيل
يخبرنى المخبر أن عمراً ... أمام القوم فى جفر محيل
فقدما كنت أحسب ذاك حقا ... وأنت لما تقدم غير فيل
وكنت بنعمة ما دمت حيا ... فقد خلفت فى درج المسيل
كأنى حين أمسى لا أراه ... ضعيف العقد ذو هم طويل
على عمرو إذا أمسيت يوماً ... وطرف من تذكره كليل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام ، وقوله « فى جفر » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر بن الأسود بن شعوب الليثى ، وهو شداد بن الأسود :

تحيى بالسلامة أم بكر ... وهل لى بعد قومى من سلام

فماذا بالقليب قليب بدر ... من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام
وكم لك بالطوى طوى بدر ... من الحومات والنعم المسام
وكم لك بالطوى طوى بدر ... من الغايات والدسع العظام
وأصحاب الكريم أبى على ... أخى الكأس الكريمة والندام
وإنك لو رأيت أبا عقيل ... وأصحاب الثنية من نعام
إذن لظللت من وجد عليهم ... كأم السقب جائلة المرام
يخبرنا الرسول لسوف نحيا ... وكيف لقاء أصداء وهام ؟

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى :

يخبرنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام

قال : وكان قد أسلم ثم ارتد .

وقال ابن إسحاق . وقال أمية بن أبى الصلت ، يرثى من أصيب من قريش يوم بدر :

ألا بكيت على الكرا ... م بنى الكرام أولى الممادح
كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك فى الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكينـ ... ـات يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيا ... ت المعولات من النوائح
من يبكهم يبك على ... حزن ويصدق كل مادح
ماذا ببدر فالعقنـ ... ـقل من مرازبة جحاجح
فمدافع البرقين فالحـ ... ـنان من طرف الأواشح
شمط وشبان بهـا ... ليل مغاوير وحاوح
ألا ترون لما أرى ... ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مـ ... ـكة فهى موحشة الأباطح
من كل بطريق لبطـ ... ـريق نقى القون واضح
دعموص أبواب الملو ... ك وجائب للخرق فاتح
من السراطمة الخلا ... جمة الملاوثة المناجح
القائلين الفاعليـ ... ـن الآمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو ... ق الخبز شحماً كالأنافح
نقل الجفان مع الجفا ... ن إلى جفان كالمناضح
ليست بأصفار لمن ... يعفو ولا رح رحارح
للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح
وهب المئين من المئيـ ... ـن إلى المئين من اللواقح

سوق المؤبل للمؤبل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا م مزية وزن الرواجح
كتثاقل الأرطال بالقسطاس فى الأيدى الموائح
خذلتهم فئة وهم يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدمية بالمهندة الصفائح
ولقد عنانى صوتهم من بين مستسق وصائح
لله در بنى ع لى أيم منهم وناكح
إن لم يغيروا غارة شعواء تجحر كل نابح
بالمقربات ، المبعدا ت ، الطامحات مع الطوامح
مرداً على جرد إلى أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنه مشى المصافح للمصافح
بزهاء ألف ثم ألف بين ذى بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته :

ويلاق قرن قرنه مشى المصافح للمصافح

وأنشدنى أيضاً :

وهب المئين من المئين إلى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبل صادرات عن بلادح

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصلت ، يبكى زمعة بن الأسود ، وقتلى بنى أسد :

عين بكى بالمسبلات أبا الحارث لا تذخرى على زمعه
وابكى عقيل بن أسود أسد البأ س ليوم الهياج والدفعة
تلك بنو أسد إخوة الجو زاء لاخانة ولا خدعه
هم الأسرة الوسيطه من كع ب وهم ذروة السنام والقمعه
أنبتوا من معاشر شعر الرأ س وهم ألحقوهم المنعه
أمسى بنو عمهم إذا حضر البأ س أكبادهم عليهم وجعه
وهم المطعمون إذا قحط القط ر وحالت فلا ترى قزعه

قال ابن هشام : هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ، ليست بصحيحة البناء ، لكن أنشدنى أبو محرز خلف الأحمر وغيره روى بعض مالم يرو بعض :

عين بكى بالمسبلات أبا الحا رث لا تذخرى على زمعه
وعقيل بن أسود أسد البأ س ليوم الهياج والدفعه

فعلى مثل هالكهم خوت الجو زاء ، لاخانة ولا خدعه
وهم الأسرة الوسيطة من كعـــب ، وفيهم كذروة القمعة
أنبتوا من معاشر شعر الرأ س ، وهم ألحقوهم المنعه
فبنو عمهم إذا حضر البأ س عليهم أكبادهم وجعه
وهم المطعمون إذ قحط القطـــر وحالت فلا ترى قزعه

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة ، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدى ابن جشم بن معاوية حليف بنى مخزوم قال ابن هشام : وكان مشركا وكان مر بهبيرة بن أبى وهب وهم منهزمون يوم بدر ، وقد أعيى هبيرة ، فقام فألقى عنه درعه وحمله فمضى به ، قال ابن هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر :

ولما أن رأيت القوم خفوا وقد شالت نعامتهم لنفر
وأن تركت سراة القوم صرعى كأن خيارهم أذباح عتر
وكانت جمة وافت حماما ولقينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا كأن زهاءهم غطيان بحر
وقال القائلون : من ابن قيس ؟ فقلت : أبو أسامة ، غير فخر
أنا الجشمى كيما تعرفونى أبين نسبتى نقرا بنقر
فإن تك فى الغلاصم من قريش فإنى من معاوية بن بكر
فأبلغ مالكا لما غشينا وعندك مال ـ إن نبأت ـ خبرى
وأبلغ إن بلغت المرء عنا هبيرة ، وهو ذو علم وقدر
بأنى إذ دعيت إلى أفيد كررت ولم يضق بالكر صدرى
عشية لا يكر على مضاف ولا ذى نعمة منهم وصهر
فدونكم بنى لأى أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو
فلولا مشهدى قامت عليه موقفة القوائم أم أجرى
دفوع للقبور بمنكبيها كأن بوجهها تحميم قدر
فأقسم بالذى قد كان ربى وأنصاب لدى الجمرات مغر
لسوف ترون ماحسبى إذا ما تبدلت الجلود جلود نمر
فما إن خادر من أسد ترج مدل عنبس فى الغيل مجرى
فقد أحمى الأباءة من كلاف فما يدنو له أحد بنقر
بخل تعجز الحلفاء عنه يواثب كل هجهجة وزجر
بأوشك سورة منى إذا ما حبوت له بقرقرة وهدر
ببيض كالأسنة مرهفات كأن ظباتهن جحيم جمر
وأكلف مجنأ من جلد ثور وصفراء البراية ذات أزر
وأبيض كالغدير ثوى عليه عمير بالمداوس نصف شهر

أرفل في حمائله وأمشي | كمشية خادر ليث سبطر
يقول لي الفتى سعد هدياً | فقلت : لعله تقريب غدر
وقلت أبا عدى لا تطرهم | وذلك إن أطعت اليوم أمرى
كدأبهم بفروة إذ أتاهم | فظل يقاد مكتوفاً بضفر

قال ابن هشام : وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر :

نصد عن الطريق وأدركونا | كأن سراعهم تيار بحر

وقوله : مدل عنبس في الغيل مجرى ـ عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة أيضا :

ألا من مبلغ عنى رسولا | مغلغلة يثبتها لطيف
ألم تعلم مردى يوم بدر | وقد برقت بجنبيك الكفوف
وقد تركت سراة القوم صرعى | كأن رءوسهم حدج نقيف
وقد مالت عليك ببطن بدر | خلاف القوم داهية خصيف
فنجاه من الغمرات عزمى | وعون الله والأمر الحصيف
ومنقلبي من الأبواء وحدى | ودونك جمع أعداء وقوف
وأنت لمن أرادك مستكين | بجنب كراش مكلوم نزيف
وكنت إذا دعاني يوم كرب | من الأصحاب داع مستضيف
فأسمعني ولو أحببت نفسى | أخ في مثل ذلك أو حليف
أرد فأكشف الغمى وأرمى | إذا كلح المشافر والأنوف
وقرن قد تركت على يديه | ينوء كأنه غصن قصيف
دلفت له إذا اختلطوا بحرى | مسحسحة لعاندها حفيف
فذلك كان صنعى يوم بدر | وقبل أخو مداراة عزوف
أخوكم في السنين كما علمتم | وحرب لا يزال لها صريف
ومقدام لكم لا يزدهيني | جنان الليل والأنس اللفيف
أخوض الصراة الحماء خوضاً | إذا ما الكلب ألجأه الشفيف

قال ابن هشام : تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بدر إلا في أول بيت منها والثاني ، كراهية الإكثار .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر :

أعيني جوداً بدمع سرب | على خير خندف لم يقلب
تداعى له رهطه غدوة | بنو هاشم وبنو المطلب

. . . .

يذيقونه حــد أسيافهم يعلونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفــير التراب على وجهه عارياً قد سلب
وكان لنا جبلا راسياً جميل المراة كثير العشب
وأما برى فلم أعنــه فأوتى من خير ما يحتسب

وقالت هند أيضاً :

يريب علينا دهرنا فيسوؤنا ويأبى فما نأتى بشيء يغالبه
أبعد قتيل من لؤى بن غالب يراع امرؤ إن مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قد رزئت مرزءاً تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عنى مالكا فإن ألقه يوماً فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب إنه لكل امرىء فى الناس مولى يطالبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

لله عينــا من رأى هلــكا كهلك رجالية
يا رب باك لى غدا فى النائبــات وباكيه
كم غادروا يوم القليــب غداة تلك الواعية
من كل غيث فى السنيــن إذا الكواكب خاوية
قد كنت أحذر ما أرى فاليوم حق حــذاريه
قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغــداة مواميه
يا رب قائلة غداً يا ويح أم معاويه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

يا عين بكى عتبه شيخاً شديد الرقبة
يطعم يوم المسغبه يدفع يوم المغلبة
إنى عليه حربه ملهوفة مستلبه
لنهبطن يثربه بغارة منثعبة
فيها الخيول مقربه كل جواد سلهبه

وقالت صفية بنت مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . تبكى أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش :

يا من لعين قذاها عائر الرمد حد النهار وقرن الشمس لم يقد
أخبرت أن سراة الأكرمين معاً قد أحرزتهم مناياهم إلى أمد
وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم تعطف غداتئذ أم على ولد

قومى صفى ولا تنسى قرابتهم ... وإن بكيت فما تبكين من بعد
كانوا سقوب سماء البيت فانقصفت ... فأصبح السمك منها غير ذى عمد

قال ابن هشام : أنشدنى بيتها : « كانوا سقوب » بعض أهل العلم بالشعر .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت مسافر أيضاً :

ألا يا من لعين للتـ ... ـبكى دمعها فان
كغربى دالج يسقى ... خلال الغيث الدان
وما ليث غريف ذو ... أظافير وأسنان
أبو شبلين وثاب ... شديد البطش غرثان
كحبى إذ تولى و ... وجوه القوم ألوان
وبالكف حسام صا ... رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا ... ء منها مزبد آن

قال ابن هشام : ويروون قولها : « وما ليث غريف » إلى آخرها مفصولا من البيتين الذين قبله .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيد بن الحارث بن المطلب

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوى لأشعث كالجذل
وبكيه للأقوام فى كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفرة ... وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلى
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى ... ومستنبح أضحى لديه على رسل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث ، تبكيه :

يا راكباً إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظللت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر ، قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه .

الفراغ من بدر قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوال .

من قتل من المشركين فى بدر

فصل : وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاص بن سعيد بن العاصى ، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذى أسنده أبو عبيد إلى سعد بن أبى وقاص ، قال : قتلت يوم بدر العاصى بن سعيد وأخذت سيفه ذا الكتيفة ، وذكر الحديث ، قال أبو عبيد : وأهل السير يقولون : قتله على رضى الله عنه . قال المؤلف : وبعض أهل التفسير يقولون : قتله أبو اليسر كعب بن عمرو ، وقال أبو عبدالله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له : والعاصى قتله على بن أبى طالب يوم بدر كافراً حدث إبراهيم بن حمزة عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب ، قال : بينما عمر بن الخطاب جالس فى المسجد إذ مر به سعيد بن العاصى، فسلم عليه ، فقال له عمر : إنى والله يا ابن أخى ما قتلت أباك يوم بدر، ولكنى قتلت خالى العاصى بن هشام ، وما بى أن أكون أعتذر من قتل مشرك ، قال : فقال له : سعيد بن العاصى : لو قتلته كنت على الحق ،وكان على الباطل قال : فعجب عمر من قوله ، ولوى كفيه ، وقال : قريش أفضل الناس إسلاماً ، وأعظم الناس أمانة ، ومن يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه ، وقال : قال عمى مصعب بن عبد الله : زعموا أن عمر قال : رأيته يبحث التراب كأنه ثور ، فصددت عنه ، وحمل له على فقتله .

وذكر فيمن قتل من المشركين : السائب بن أبى السائب ، واسم أبى السائب صيفى بن عابد ، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قتل كافراً قال : وقد أسلم وحسن إسلامه ، وذكر أبو عمر عن ابن الزبير أن السائب قتل كافراً يوم بدر ، قال : وأحسبه اتبع فى ذلك قول ابن إسحاق ، قال : وقد نقض الزبير ذلك فى موضعين من كتابه بعد ذلك ، فقال : حدثنى يحى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان عن جعفر بن عكرمة عن يحى بن كعب عن أبيه كعب مولى سعيد ابن العاصى ، قال : مر معاوية وهو يطوف بالبيت ، ومعه جنده ، فزحموا السائب بن صيفى بن عابد ، فسقط ، فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال : ارفعوا الشيخ ، فلما قام قال : ما هذا يا معاوية ؟ تصرعوننا حول البيت ؟ ! أما والله لقد أردت أن أتزوج أمك ، فقال معاوية : ليتك فعلت ، فجاءت بمثل أبى السائب ، يعنى عبدالله ابن السائب ، وهذا واضح فى إدراكه الإسلام ، وفى طول عمره ، وقال فى موضع آخر : حدثنى أبو ضمرة أنس ابن عياض الليثى ، قال : كان جدى أبو السائب شريك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك كان أبو السائب ، لا يشارى ولا يمارى ، وهذا كله من الزبير مناقضة فيما ذكر أن السائب بن أبى السائب قتل يوم بدر كافراً : وقال ابن هشام : السائب ابن أبى السائب الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نعم الشريك أبو السائب لا يشارى ولا يمارى ، كان قد أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا . قال ابن هشام : وذكر ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن السائب بن أبى السائب بن عابد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن هاجر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين . قال أبو عمر : هذا أولى ما عول عليه فى هذا الباب ، وقد ذكرنا أن الحديث فيمن كان شريك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هؤلاء مضطرب جداً ، منهم من يجعل الشركة : للسائب ، ومنهم من يجعلها لأبى السائب

. . . .

أبيه ، كما ذكرنا عن الزبير ههنا ، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ، ومنهم من يجعلها لعبد بن أبى السائب ، وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن أبى السائب من المؤلفة قلوبهم وممن حسن إسلامه .هذا آخر كلام أبى عمر فى كتاب الاستيعاب حدثنى به أبو بكر بن طاهر الاشبيلى عن أبى على الغسانى عنه ، كذلك اختلفت الرواية فى هذا الكلام : كان خير شريك لا يشارى ولا يمارى ، فمنهم من يجعله من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى السائب ، ومنهم من يجعله من قول أبى السائب فى النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر فيمن شهد بدراً من الأنصار : أوس بن خولى أحد بنى الحبلى ، يقال : كان من الكملة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شجاع بن وهب ، والخولى فى اللغة هو الذى يقوم على الخيل ، ويخدمها وفى الخبر أن جميلا الكلبى ، كان خوليا لمعاوية ، وفى هذا ما يدل على أن الياء فى الخيل أصلها الواو

وذكر ابن هشام فيمن قتل من المشركين ممن لم يذكره ابن إسحاق مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة ابن عبيد الله .

وذكر عمرو بن عبد الله بن جدعان التيمى ، وعبد الله بن جدعان هو الجواد المشهور صاحب الجفنة العظيمة التى كان يأكل منها الراكب على البعير ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستظل بظلها : ووقع فيها إنسان فغرق ومات ، وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حديثه ، والسبب فى غناه بعد أن كان صعلوكا ، وسؤال عائشة عنه النبى صلى الله عليه وسلم : هل ينتفع بجوده أم لا .

وذكر ابن هشام فيهم أيضا حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، واسم أبى حذيفة هذا مهشم ، وهو أخو هشام وهاشم ابنى المغيرة ، وهشام : والد أبى جهل ، وهاشم جد عمر لأمه ، ومهشم هو : أبو حذيفة ، وأما أبو حذيفة ابن عتبة فاسمه قيس ، ولم يقل ذلك ابن إسحاق ولا ابن هشام ، وإنما قالوا فيه مهشم ، وهو عند أهل النسب غلط، إنما مهشم أبو حذيفة بن عتبة .

من أسلم من أسرى المشركين ببدر : لم يسم ابن إسحاق ، ولا ابن هشام من أسلم منهم ، والحاجة ماسة بقارىء السيرة إلى معرفة ذلك ، فأولهم وأفضلهم العباس عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا خفاء بإسلامه وفضله، وقد ذكرنا سبب إسلامه فى فصل قبل هذا الفصل ، وأن أبا اليسر كعب بن عمرو هو الذى أسره ، وكان قصيراً دميما ، وفى مسند البزار أنه قيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ، ولو أخذته بكفك لوسعته كفك ، فقال : ماهو إلا أن لقيته ، فظهر فى عينى كالخندمة ، والخندمة جبل من جبال مكة .

وعقيل بن أبى طالب ممن أسلم وحسن إسلامه ، أسلم عام الحديبية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا يزيد إنى أحبك حبين حبا لقرابتك منى ، وحبا لما أعلم من حب عمى إياك ، سكن عقيل البصرة ، ومات بالشام فى خلافة معاوية . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فى الوضوء بالمد والطهور بالصاع ، وحديثا آخر أيضا : لا تقولوا بالرفاء والبنين ، وقولوا بارك الله لك ، وبارك عليك . وكان أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر أسن من على بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بمثل ذلك .

ومنهم : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، يقال : أسلم عام الخندق ، وهاجر ، وقيل : بل أسلم حين أسر ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : أفد نفسك ، قال : ليس لى مال أفتدى به ، قال : افد نفسك بأرماحك

. . . .

التى بجدة ، قال : والله ما علم أحد أن لى بجدة أرماحا غيرالله ، أشهد أنك رسول الله وهو ممن ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين وأعان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين . مات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما -

ومنهم أبو العاصى بن الربيع صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن إسحاق من حديثه ، وذكرنا الاختلاف فى اسمه قبل هذا

ومنهم أبو عزيز بن عمير العبدرى ، وقد ذكرنا اسمه واسم أمه وإخوته ، فى أول خبر بدر . ومنهم السائب ابن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وهو الذى قال فيه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عمر فى ابنه عبد الله بن السائب ، والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبى حبيش المستحاضة .

ومنهم خالد بن هشام ، ذكره بعضهم فى المؤلفة قلوبهم

ومنهم عبد الله بن السائب ، واسم أبى السائب : صيفى ، وقد تقدم قول عمر فيه ، وفى أبيه ، وعنه أخذ أهل مكة القراءة ، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة .

ومنهم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وبنو عمر بن مخـــزوم ثلاثة : عبد العزى ، وعابد ، ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر ، وبنو مخزوم ثلاثة : عمر والد هؤلاء الثلاثة ، وعمران ، وعامر ، هؤلاء فيهم العدد ، ويذكر فى بنى مخزوم أيضاً عمير وعميرة ولم يعقب عميرة إلا بنتاً اسمها : زينب ، ومن حديث المطلب هذا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس ، وفى إسناده ضعف .

ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وكان أكرم أهل زمانه ، وأسخاهم ، ثم تزهد فى آخر عمره ، ومات بمنبج ، وفيه يقول الراتجى يرثيه :

سالوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفى بذمته قبل السؤال إذا لم يوف بالذمم

وذكر الدارقطنى عن حميد بن معروف قال : حضرت وفاة الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، فأصابته من الموت شدة ، فقال قائل فى البيت : اللهم هون عليه الموت ، فقد كان ، وقد كان ، يثنى عليه فأفاق الحكم ، فقال : من المتكلم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الحكم : يقول ، لك ملك الموت أنا بكل سخى رفيق ، ثم كأنما كانت فتيلة فطفئت ، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر أيضاً ، وحين سجن الحكم فى ولاية وليها ، قال فيه الشاعر :

خليلى إن الجود فى السجن فابكيا على الجود إذ سدت عليه مرافقه

فى أبيات ، فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلاف درهم .

ومنهم : أبو وداعة الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم أسلم هو وابنه المطلب بن أبى وداعة يوم فتح مكة .

. . . .

ومنهم الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، ولم يوافق الواقدى ولا غيره لابن إسحاق على قوله سعيد بن سهم ، وقالوا : إنما هو سعد ، وقد تقدم هذا ، وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع ، وهما فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد ، فكيف يعد فى أسرى المشركين يوم بدر .

ومنهم عبد الله بن أبى بن خلف الجمحى أسلم يوم الفتح ، وقتل يوم الجمل ، ومنهم : وهب بن عمير الجمحى أسلم بعد أن جاء أبو عمير فى فدائه فأسلما جميعاً ، وقد ذكر خبر إسلامه ابن إسحاق قبل هذا .

ومنهم سهيل بن عمرو أسلم ومات بالشام شهيداً ، وهو خطيب قريش ، وأخباره مشهورة فى السيرة وغيرها .

ومنهم : عبد بن زمعة أخو سودة بنت زمعة أسلم ، وهو الذى خاصمه سعد فى ابن وليدة زمعة ، واسم الابن المخاصم فيه : عبد الرحمن ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : هو لك يا عبد بن زمعة .

ومنهم قيس بن السائب المخزومى ، إليه كان ولاء مجاهد بن جبير ، القارى ، ويقال : فيه مجاهد بن جبر ، وهو قول ابن إسحق ، وكان مجاهد يقول فى مولاى قيس بن السائب أنزل الله سبحانه : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فأفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً ، وهو الذى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى الجاهلية شريكى ، فكان خير شريك لا يشارينى ولا يمارينى ، وقيل : إن أباه قال هذه المقالة ، وتقدم الاضطراب فى ذلك والاختلاف ، وقوله : يشارينى من شرى الأمر بينهم إذا تغاضبوا .

ومنهم نسطاس مولى أمية بن خلف ، يقال : إنه بعد أحد ، وكان يحدث عن انهزام المشركين يومئذ ، ودخول المسلمين عليه فى القبة وهروب صفوان بخبر عجيب لم يذكره ابن إسحاق ، فهذه جملة من أسلم من الأسارى الذين أسروا يوم بدر .

من لم يسلم من الأسارى : وذكر فيمن لم يسلم منهم عبد الله بن حميد بن زهير الأسدى ، والمعروف فيه عبيد الله بن حميد ، كذلك ذكره ابن قتيبة ، وأبو عمر ، والكلاباذى أبو نصر ، وهو مولى حاطب بن أبى بلتعة .

وما ذكره ابن إسحاق فى نسب بلى بن فاران بن عمرو ، فإنه عند أكثر أهل النسب فران بغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء ، وهو ابن دريد ، وقال : هو فعلان من الفرار .

وفاة رقية : فصل : وذكر فى السيرة تخلف عثمان على امرأته رقية فضرب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسهمه وأجره ، كان موتها يوم قدم زيد بن حارثة بشيراً بوقعة بدر ، وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية ، وقد روى البخارى فى التاريخ حديث أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهد دفن بنته ، وقعد على قبرها ، ودمعت عيناه ، فقال أيكم لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، فأمره أن ينزل فى قبرها ، ثم أنكر البخارى هذه الرواية ، وخرجه فى كتاب الجامع ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر الحديث ، ولم يسم رقية ولا غيرها . ورواه الطبرى ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبين فى هذا الحديث ، وهو كله حديث واحد ، ومن قال : كانت رقية ، فقد وهم بلا شك ، وقال فى الحديث : أيكم لم يقارف الليلة ، فقال فليح بن سليمان ، وهو راوى الحديث ، يعنى : الذنب هكذا وقع فى الجامعة ، وهو خطأ لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا ، وإنما أراد أيكم لم يقارف أهله ، وكذا رواه غيره بهذا اللفظ ، قال ابن بطال : أراد النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يحرم عثمان النزول فى قبرها ، وقد كان أحق الناس بذلك ، لأنه كان بعلها ، وفقد منهم علقاً لاعوض منه ، لأنه حين قال عليه السلام :

. . . .

أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان ، ولم يقل : أنا ، لأنه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ، ولم يشغله الهم بالمصيبة ، وانقطاع صهره من النبى صلى الله عليه وسلم عن المقارفة ، فحرم بذلك ما كان حقا له ، وكان أولى به من أبى طلحة وغيره ، وهذا بين فى معنى الحديث ، ولعل النبى صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك بالوحى ، فلم يقل له شيئاً ، لأنه فعل فعلا حلالا ، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتى حرم ماحرم من ذلك بتعريض غير تصريح والله أعلم .

أشعار يوم بدر: وقدمنا فى آخر حديث الهجرة :أنا لانعرض لشرح شىء من الشعر الذى هجى به المسلمون، ونال فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركون إلا شعراً أسلم صاحبه ، وتكلمنا هنالك على ماقيل فى تلك الأشعار ، وذكرنا قول من طعن على ابن إسحاق بسببها هنالك و بينا الحق والحمد لله .

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه :

وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم

أفادهم : أهلكهم ، يقال : فادالرجل وفاظ ، وفطس ، وفاز ، وفوز إذا هلك ، ولا يقال : فاض بالضاض، ولا يقال : فاظت نفسه إلا فى لغة بنى ضبة بن أد .

وقوله : تواص هو تفاعل من الوصية ، وهو الفاعل بأفادهم .

وفيه يجرجم فى الجفر . الجفر كل بئر لم تطو ، ومثلها : الجفرة ، ويجرجم : يجعل بعضه على بعض .

وقال فى الشعر الذى يعزى إلى على :

بأيديهم بيض خفاف عصوا بها

يقال عصيت بالسيف وعصوت بالعصا ، فإذا أخبرت عن جماعة قلت عصوا بضم الصاد ، كما يقال عموا ، ومن العصا تقول : عصوا ، كما تقول غزوا .

وقوله : مسلبة ، أى قد لبست السلاب ، وهى خرقة سوداء تلبسها الثكلى . قال لبيد :

وإنى ملاعب الرماح ومدرة الكتيبة الرداح
يضربن حر أوجه صحاح فى السلب السود وفى الأمساح

فالسلب : جمع سلاب .

وفى شعر حسان :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة

يجوز أن يكون أراد بالمنام النوم ، وموضع النوم ، ووقت النوم ، لأن مفعلا يصلح فى هذا كله فى ذوات الواو ، وقد تسمى العين أيضاً مناماً ، لأنها موضع النوم ، وعليه تؤول قوله تعالى « إذ يريكهم الله فى منامك قليلا» أى فى عينك ، ويقويه قوله سبحانه : « ويقللكم فى أعينهم » .

ولا فرق عند النحويين بين مفعل فى هذا الباب وفعل ، نحو مضرب وضرب ومنام ونوم ، وكذلك هما فى

. . . .

التعدية سواء ، نحو ضرب زيد عمراً ومضرب زيد عمراً ، وأما فى حكم البلاغة والعلم بجوهر الكلام ، فلا سواء ، فإن المصدر إذا حددته قلت ضربة ونومة ، ولا يقال : مضربة ولا منامة ، فهذا فرق ، وفرق آخر تقول: ما أنت إلا نوم وإلا سير إذا قصدت التوكيد ، ولا يجوز: ما أنت إلا منام وإلا مسير ، ومن جهة النظر أن الميم لم تزد إلا لمعنى زائد كزوائد الأربع فى المضارع ، وعلى ما قالوه ، تكون زائدة لغير معنى .

فإن قلت : فما ذاك المعنى الذى تعطيه الميم ؟

قلنا : الحدث يتضمن زمانا ومكانا وحالا ، فالمذهب عبارة عن الزمان الذى فيه الذهاب ، وعن المكان أيضاً، فهو يعطى معنى الحدث وشيئاً زائداً عليه ، وكذلك إذا أردت الحدث مقروناً بالحالة والهيئة التى يقع عليها ، قال الله سبحانه : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار » فأحال على التفكر فى هذه الحالة المستمرة على البشر ، ثم قال فى آية أخرى « لا تأخذه سنة ولا نوم » ولم يقل منام لخلو هذا الموطن من تلك الحالة ، وتعريه من ذلك المعنى الزائد فى الآية الأخرى ، ومن لم يعرف جوهر الكلام لم يعرف إعجاز القرآن

وفى هذا الشعر :

بنيت على قطن أجم كأنه

قطنها : ثبجها ووسطها . وأجم أى : لا عظام فيه

وقوله : كأنه فضلا على الحال ، أى : كأن قطنها إذا كانت فضلا ، فهو حال من الهاء فى : كأنه ، وإن كان الفضل من صفة المرأة لا من صفة القطن ، ولكن لما كان القطن بعضها صار كأنه حال منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى قعدت لاستحالة أن يعمل ما بعد إذا فيما قبلها ، والفضل من النساء والرجال : المتوشح فى ثوب واحد، والمداك صلاءة الطيب[الحجر الذى يسحق غلية] ، وهو مفعل من دكت أدوك ، إذا دققت ، ومنه الدوكة والدوكة .

وقوله : مر الدموك يقال : دمكه دمكاً ، إذا طحنه طحناً سريعاً ، وبكرة دموك ، أى : سريعة المر ، وكذلك أيضاً : رحى دموك ، والمحصد الحبل المحكم الفتل ، والرجام : واحد الرجامين ، وهما الخشبتان اللتان تلق عليهما البكرة ، والرجام أيضاً : جمع رجمة ، وهى حجارة مجتمعة ، جمع رجم وهو القبر ، ومنه قول أبى الطيب :

تمتع من رقاد أو سهاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وارقدت : أسرعت ، ومصدره : ارقداد ، وكذلك ارمدت ، وافعل فى غير الألوان والخلق عزيز ، وأما انقض فليس منه فى شىء ، لأنك تقول فى معناه تقضض البناء ، فالقاف : فاء الفعل ، وكذلك تقضى البازى، لأنه منه ، وغلط الفسوى فى الإيضاح ، فجعل يريد أن ينقض من باب احمر ، وإنما هو من باب انقد وانجر والنون زائدة ، ووزنه : انفعل ، وكذلك غلط القالى فى النوادر فقال فى قوله : وجريها انثرار أنه افعلال من النثر ، كما قال الفسوى فى الانقضاض ، وإنما هو انفعال من عين ثرة أى كثيرة الماء .

ودسنه بحوام يعنى : الحوافر ، وما حول الحوافر ، يقال الحامية ، وجمعه حوام

وقول الحارث بن هشام :

حتى علوا مهرى بأشقر مزبد

يعنى : الدم ، ومزبد ، قد علاه الزبد .

وقوله : والأحبه فيهم : يعنى من قتل أو أسر : من رهطه وإخوته .

وقول حسان : بكتيبة خضراء من بلخزرج :

العرب تجعل الأسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر كما قال :

قد اعسف النازح المجهول معسفه ... فى ظل أخضر يدعو هامة البوم

وتسمى الأخضر أسود . إذ اشتدت خضرته ، وفى التنزيل : « مدهامتان » ، قال أهل التأويل : سوداوان من شدة الخضرة .

وقوله : بكل أبيض سلجج ، هو السيف الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة ، ومنه المثل : الأخذ سلجان والقضاء ليان ، أى الأخذ سهل يسوغ فى الحلق بلا عسر ، كما قالوا : الأخذ سريط والقضاء ضريط فسريط من سرطت الشىء إذا بلعته سهلا ، فسلجج من هذا ، إلا أنهم ضاعفوا الجيم ، كما ضاعفوا الدال من مهدد ، ولم يدغموا إلا أنهم ألحقوه بجعفر .

وقوله : بلخزرج ، أراد : بنى الخزرج ، فحذف النون لأنها من مخرج اللام ، وهم يحذفون اللام فى مثل : علماء وظلت ، كراهية اجتماع اللامين ، وكذلك أحست كراهية التضعيف ، وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ تربت يمينك وألت ، أرادت : ألت ، أى طعنت من قولهم : ماله أل وغل ، ويروى : ألت فتكون التاء علما للتأنيث ، أى ألت يدك ، وعندنا فيه رواية ثالثة فى كتاب مسلم ، وهى تربت يداك وألت بكسر التاء وتشديد اللام وهى على لغة من يقول فى رددت ردت فيدغم مع ضمير الفاعل ، وهى لغة حكاها سيبويه . وذكر شعر كعب وفيه :

لعمر أبيكما يا بنى لؤى ... على زهو لديكم وانتخاء

الانتخاء : افتعال من النخوة ، ويقال نخى الرجل وانتخى . ومن الزهو : زهى وازدهى ، ولا يكون الأمر من مثل هذا إلا باللام ، لأن الفعل فيه لغير المخاطب ، وإذا أمر من ليس بمخاطب ، فإنما يؤمر باللام كقولك : لتزه يا فلان ولتعن بحاجتى ، وكان القياس أيضا أن لا يقال من هذا الفعل : ما أفعله ، ولا هو أفعل من كذا ، كما لا يقال فى المركوب : ما أركبه ، ولا فى المضروب ، ما أضربه ، ولكنه قد جاء فى مثل هذه الأفعال : ما أزهاه ، وما أعناه بحاجتى ، وقالوا : هو أشغل من ذات النحيين ، وهو أزهى من غراب ، والفعل فى هذا كله زهى وشغل فهو مشغول ومزهو . وقيل فى المجنون ما أجنه حكاه أبو عمر الجرمى . وقال سيبويه : واعلم أن العرب تقدم فى كلامها ما هم به أهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ، ويعنيانهم ، فقال أهم وأعنى ، وهو من همهم وعناهم ، فهم به معنيون مثل مضروبون ، فجاز فى هذه الأفعال ما ترى ، وسبب جوازه . أن المفعول فيها فاعل فى المعنى ، فالمزهو مستكبر وكذا المنخو والمشغول مشتغل وفاعل لشغله ، والمعنى بالأمر كذلك ، والمجنون كالأحمق ، فيقال : ما أجنه ، كما يقال : ما أحمقه ، وليس كذلك مضروب ، ومركوب ولا مشتوم ، ولا ممدوح ، فلا يقال فى شىء منه : ما أفعله ، ولا هو أفعل من غيره .

فإن قلت . فكان ينبغى على هذا القياس أيضا أن يؤمر فيه بغير اللام كما يؤمر الفاعل إذن ، وقد قلتم : إنه فاعل

في المعنى فالجواب : أن الأمر إنما هو بلفظ المستقبل ، وهو تضرب وتخرج ، فإذا أمرت حذفت حرف المضارعة ، وبقيت حروف الفعل على بنيتها ، وليس كذلك زهيت فأنت تزهى ، ولا شغلت فأنت تشغل ، لأنك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بنية ليست للغائب ، ولا للمخاطب ، لأن بنية الأمر للمخاطب أفعل ، وبنيته للغائب ، فليفعل ، والبنية التى قدرناها لا تصلح لواحد منهما ، لأنك كنت تقول أزهى من زهيت ، وكنت تقول من شغلت أشغل ، فتخرج من باب شغلت فأنت مشغول إلى باب شغلت غيرك ، فأنت شاغل ، فلم يستقم فيه الأمر إلا باللام .

وقوله : وميكال فياطيب الملاء أراد الملأ ، وليس من باب مد المقصور ، إذ لا يجوز فى عصى عصاء ، ولا فى رحى : رحاء فى الشعر ، ولا فى الكلام ، وإن كانوا قد أشبعوا الحركات فى الضرورة ، فقالوا فى الكلكل الكلكال ، وفى الصيارف : الصياريف ، ولكن مد المقصور أبعد من هذا ، لأن زيادة الألف تغير واحد ، ومد المقصور تغييران ، زيادة ألف وهمز ما ليس بمهموز غير أنه قد جاء فى شعر طرفة :

وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل

لكنه حسنه قليلا فى بيت طرفة فى أنه لم يرد الطوى الذى هو مصدر، طوى يطوى : إذا جاع ، وخوى بطنه وإنما أراد : رقة الخصر ، وذلك جمال فى المرأة ، وكمال فى الخلقة ، فجاء باللفظ على وزن جمال وكمال ، وظهر فى لفظه ما كان فى نفسه ، والعرب تنحو بالكلمة إلى وزن ما هو فى معناها ، وقد مضى منه كثير وسيرد عليه ما هو أكثر .

وأما الملأ والخطأ والرشأ والفرأ وما كان من هذا الباب ، فإن همزته تقلب ألفا فى الوقف بإجماع نعم ، وفى الوصل فى بعض اللغات ، فيكون الألف عوضا عن الهمزة ، وقد يجمعون بين العوض والمعوض منه ، كما قالوا هراق الماء ، وإنما كانت الهاء بدلا من الهمزة ، فجمعوا بينهما ، وقالوا فى النسب إلى فم فموى ، وقالوا فى النسب إلى اليمن يمنى ، ثم قالوا : يمان ، فعوضوا الألف من إحدى الياءين ، ثم قالوا يمانى بالتشديد فجمعوا بين العوض والمعوض منه ، فياطيب الملاء من هذا الباب ، وكذلك قولهم الخطاء فى الخطأ . قال الشاعر :

فكلهم مستقبح لصواب من يخالفه مستحسن لخطائه

وقد قال ورقة : إلا ما غفرت خطائيا فإن قيل : فقد أنشد أبو على فى مد المقصور :

يا لك من تمر ومن شيشاء ينشب فى المسعل واللهاء

أراد: جمع لهاة . قلنا : يحتمل أن يكون كلاماً مولداً ، وإن كان عربياً ، فلعل الرواية فيه : اللهاء بكسر اللام ، فيكون من باب أكمة وإكام ، وقد ذكرها أبو عبيد فى الغريب المصنف بالكسر والفتح .

وذكر شعر أبى أسامة بن زهير الجشمى وفيه : وقد زالت نعامتهم لنفر .

العرب تضرب زوال النعامة مثلا للفرار ، وتقول : شالت نعامة القوم إذا فروا وهلكوا . قال الشاعر :

يا ليت ما أمنا شالت نعامتها إما إلى جنة إما إلى نار

وقال أمية:

اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم

والنعامة فى اللغة : باطن القدم ، ومن مات فقد شالت رجله ، أى : ارتفعت ، وظهرت نعامته ، والنعامة

. . . .

أيضاً الظلمة ، وابن النعامة عرق فى باطن القدم ، فيجوز أن يكون قوله زالت نعامتهم ، كما يقال : زال سواده ، وضحا ظله إذا مات ، وجائز أن يكون ضرب النعامة مثلا ، وهو الظاهر فى بيت أبى أسامة ، لأنه قال : زالت نعامتهم لنفر ، والعرب تقول أشرد من نعامة ، وأنفر من نعامة قال الشاعر :

هم تركوك أسلح من حبارى رأت صقراً وأشرد من نعام

وقال آخر : وكنت نعاماً عند ذاك منفراً

فإذا قلت : زالت نعامته ، فمعناه : نفرت نفسه التى هى كالنعامة فى شرودها وقوله :

وأن تركت سراة القوم صرعى

سراة كل شىء : ما علا منه ، وسراة الفرس : ظهره لأنه أعلاه . قال الشاعر يصف حماراً :

بسراته ندب لها وكلوم

وقولهم : سراة القوم ، كما تقول : كاهل القوم ، وذروة القوم ، قال معاوية : إن مضر كاهل العرب ، وتميم كاهل مضر ، وبنو سعد كاهل تميم . وقال بعض خطباء بنى تميم : لنا العز الأقعس ، والعدد الهيضل ، ونحن فى الجاهلية القدام ، ونحن الذروة والسنام ؛ وهذا معنى صحيح بين ، فليس لأحد أن يقول فى الذروة ، ولا فى السنام ، ولا فى الكاهل إنه جمع أى من أبنية الجمع ، ولا اسم للجمع ، فكذلك ينبغى أن لا يقال فى سراة القوم ، إنه جمع سرى ، لا على القياس ، ولا على غير القياس ، كما لا يقال ذلك فى كاهل القوم ، وسنام القوم ، والعجب كيف خفى هذا على النحويين ، حتى قلد الخالف منهم السالف ، فقال : سراة جمع سرى ، ويا سبحان الله ! كيف يكون جمعاً له ، وهم يقولون فى جمع سراة سروات ، مثل قطاة وقطوات ، يقال : هؤلاء من سروات الناس ، كما تقول : من رءوس الناس ، قال قيس بن الخطيم :

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

ولو كان السراة جمعا ما جمع لأنه على وزن فعلة ، ومثل هذا البناء فى الجموع لا يجمع ، وإنما سرى فعيل من السرو ، وهو الشرف ، فإن جمع على لفظه ، قيل سرى وأسرياء ، مثل غنى وأغنياء ، ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا يدفع القياس فيه ، وقد حكاه سيبويه .

وقوله : أذباح عتر : جمع ذبح ، وعتر بكسر العين : الصنم الذى كان يعتره فى الجاهلية ، أى : تذبح له العتائر ، جمع : عتيرة ، وهى الرجبية ، وقد ذكرنا فى نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول من سن العتيرة ، وأنه بور ابن صحورا ، وأن أباه سن رجبا للعرب ، فكان يقال له : سعد رجب ، ولو قال : أذباح عتر بفتح العين لجاز لأنه مصدر .

وقوله : وكانت جمة . الجمة : السواد ، والجمة : الفرقة ، فإن كان أراد بالجمة سواد القوم وكثرتهم ، فله وجه ، وإن كان أراد الفرقة منهم ، فهو أوجه ، وقد ذكره صاحب العين .

وقوله : غيطان بحر : فيضانه .

وقوله : أبين نسبتى نقراً بنقر . النقر : الطعن فى النسب وغيره ، يقول : إن طعنتم فى نسبى ، وعبتموه ببنت الحق ونقرت فى أنسابكم ، أى عبتها ؛ وجازيت على النقر بالنقر ، وقالت جارية من العرب : مروا بى على بنى

. . . .

نظرى يعنى الفتيان الذين ينظرون إلى ولا تمروا بى على بنات نقرى ، يعنى النساء اللواتى ينقرن أى : يعبن .

وقوله : دعيت إلى أفيد ، تصغير وفد ، وهم المتقدمون من كل شىء من ناس أو خيل أو إبل ، وهو اسم للجمع مثل : ركب ، ولذلك جاز تصغيره ، وقيل : أفيد : اسم موضع .

وقوله : على مضاف . المضاف : الخائف المضطر .

وقوله : فدونكم بنى لأى أخاكم

هذا شاهد لما ذكرناه فى نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واشتقاق تلك الاسماء ، وقلنا فى لؤى: إنه تصغير لأى ، واخترنا هذا القول على قول ابن الأنبارى وقطرب ، وحكينا قوله ، وشاهده ، وإنما أراد ههنا ببنى لأى بنى لؤى ، فجاء به مكبراً على ما قلناه .

وقوله : موقفة القوائم أم أجر

يعنى الضبع ، وموقفة من الوقف ، وهو الخلخال ، لأن فى قوائمها سواداً . قال الشاعر :

وخائف لحم شاكا براشته ... كأنه قاطم وقفين من عاج

وأم أجر : جمع جر ، وكما تقول : دلو وأدل ، وهذا كقول الهذلى :

وغودر ثاويا وتأوبته ... موقفة أميم لها فليل

والفليل : عرفها ، وكقول الآخر :

يا لهف من عرفاء ذات فليلة ... جاءت إلى على ثلاث تخمع
وتظل تنشطنى وتلحم أجرياً ... وسط العرين ، وليس حى يدفع
لو كان سيفى باليمين دافعتها ... عنى ولم أوكل وجنبى الأضبع

فوصفها أنها تخمع ، كما قال ابن المهلب : الضبعة العرجاء ، ولحن فى قوله : الضبعة . وقال آخر :

فلو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضباع بأكناف الشريف عرائسا

وذلك أن الضبع يقلب القتيل على قفاه فيما ذكر ، وتستعمل كمرته ، لأنها أشبق البهائم ، ولذلك يقال لها حين تصطاد : أبشرى أم عامر بجراد عضال وكمر رجال ، يخدعونها بذلك ، وهى تكنى أم عامر ، وأم عمرو ، وأم الهنبر ، وأم خنور وأم خنور [بتشديد الميم وسكونها] معا وتسمى : حضاجر وجعار وقثام وجيأل وعيشوم ، وقثام أيضا اسم للغنيمة الكثيرة يقال أصاب القوم قثاما ، قاله الزبير ، وحيثل وعيشوم ، وأما الذكر منها فعيلا وعثيان وذيخ .

وقوله فى وصف الأسد فى الغيل : مجر ، أى : ذو أجراء ، والأباءة : الأجمة التى هو فيها ، وكذلك الغيل والخدر والعرين والعريسة .

وقوله أحمى الأباءة ، أى : حماها ، وأحمى لغة فى حمى لكنها ضعيفة ، ولعله أراد : أحمى الأباءة ، أى جعلها كالنار الحامية ، يقال : أحميت الحديدة فى النار ؛ يعنى : إن أباءته قد حميت به فلا تقرب .

وقوله : من كلاف ، لعله أراد من شدة كلف بما يحميه ، فجاء به على وزن : فعال ، لأن الكلف إذا اشتد : كالهيام والعطاش ، وفى معنى الشعار ، ولعل كلافا اسم موضع ، وقال أبو حنيفة : الكلاف : اسم شجر والله أعلم .

. . . .

وقوله بخل ، هو الطريق فى الرمل . والهجهجة من قولك : هجهجت بالذئب إذ زجرته . قال الشاعر :

لم ينجه منها صياح الهجيج

وقوله : بقرقرة وهدر . القرقرة صوت شديد منقطع ، وجاء فى صفة عامر الحداء أنه كان قراقرى الصوت ، فلما كبر وضعف صوته ، قال :

أصبح صوت عامر صئياً   أبكم لا يكلم المطيـــا

وهو عامر بن ربيعة الحداء التغلبى ، وإليه ينسب بنو الحداء ، وذكر أهل اللغة أن الكشيش أول رغاء الجمل، ثم الكتيت : ثم الهدر ، ثم القرقرة ، ثم الزغد ، ويقال زغد يزغد ثم القلاخ إذا جعل كأنه يتقلع .

وقوله : وأكنف بجناء ، يعنى : الترس ، وهو من أجنأت الشيء إذا جنيته فهو مجنأ ، ويعنى بصفراء البراية : القوس ، وبرايتها : ما برى منها ، وجعلها صفراء لجدتها وقوتها . وقوله : وأبيض كالغدير : أراد السيف ، وعمير اسم صانع والمداوس : جمع مدوس ، وهى الآلة التى يدوس بها الحداد ، والصيقل ما يصنعه ، ووصفه ، ووصفه إياها بالمغر ، المغر : جمع أمغر ، وهو الأحمر ، والخادر : الداخل فى الخدر ومسبطر : غير منقبض .

وقوله : يقول لى الفتى سعد هديا . الهدى : ما يهدى إلى البيت ، والهدى أيضاً العروس تهدى إلى زوجها ، ونصب هديا هنا على إضمار فعل ، كأنه أراد اهد هديا .

وقوله فى الشعر الفاوى : كأن رءوسهم حدج نقيف . الحدج : جمع حدجة ، وهى الحنظلة ، والنقيف : المنقوف ، كما قال امرؤ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا   لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وهو المستخرج حب الحنظل .

وقولة داهية خصيف ، أى : متراكة من خصفت النعل أو من خصفت الليف ، إذا نسجته ، وقد يقال كتيبـة خصيف ، أى : منتسجة ، بعضها ، ببعض ، متكاثفة ، وفى كتاب سيبويه : كتيبة خصيف أى : سوداء .

وقوله : ومنقلبى من الأبواء ، هـو : الموضع الذى فيه قبر آمنة أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسمى الأبواء ، لأن السيول تتبوأه ، وفى الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زار قبر أمه بالأبواء فى ألف مقنع فبكى وأبكى ، ووجدت على البيت المتقدم الذى فيه . حدج نقيف فى حاشية الشيخ ، قال أبو حنيفة الحنظل : من الأعلاث وهو ينبت شرياً ، كما ينبت شرى القثاء ، والشرى : شجره ، ثم يخرج فيه زهر ، ثم يخرج فى الزهر جراء مثل جراء البطيخ ، فإذا ضخم وسمن حبه سموه الحدج واحدته حدجة ، فإذا وقعت فيه الصفرة سموه : الخطبان ، وزاد أبو حنيفة أن الحنظلة إذا اسودت بعد الخضرة ، فهى قهقرة ، وذكر فى القثاء الحدج والجراء كما ذكر فى الحنظل، وكذلك الشرية اسم لشجرتهما ، وفى القثاء قبل أن يكون بطيخاً القح، وقبل القح يكون خضفاً، وأصغر من ذلك القشعر والشعرور والضغبوس ونقيف معناه : مكسور ، لأنه يقال نقفت رأسه عن دماغه ، أى كسرته .

وقوله : أخوض الصرة الحماء . الصرة : الجماعة ، والصرة : الصياح ، والصرة : شدة البرد ، وإياها عنى ، لأنه ذكر الشفيف فى آخر البيت ، وهو برد وريح ، ويقال له : الشفان أيضاً ، أنشد ابن الأنبارى :

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سليم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ، أو ابن أم مكتوم .

قل للشمال التى هبت مزعزعة تذرى مع الليل شفاناً بصراد

اقرى السلام على نجد وساكنه وحاضر باللوى إن كان أو باد

سلام مغترب فقدار ب منزله إن أنجد الناس لم يهمم بإنجاد

وفى شعر هند : جميل المراة ، أرادت : مرآة العين ، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن ، فذهبت الهمزة ، وإنما تذهب الهمزة إذا نقلت حركتها ، لأنها تبقى فى تقدير ألف ساكنة ، والساكن الذى قبلها باق على حكم السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضة ، فكأنه قد اجتمع ساكنان ، فحذفت الألف لذلك ، هذا معنى كلام ابن جنى .

وقول هند : فأما برى فلم أعنه ، فهو تصغير البراء اسم رجل ، وقولها :

قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغداة مواميه

قوله : موامية ، أى : ذليلة ، وهو مؤامية بهمزة ، ولكنها سهلت ، فصارت واواً ، وهى من لفظ الأمة ، تقول : تأميت أمة : أى اتخذتها ، ويجوز أن يكون مقلوباً من المواءمة ، وهى الموافقة ، فيكون الأصل موائمة ، ثم قلب فصار موامية على وزن مفاعلة ، تريد أنها قد ذلت ، فلا تأبى ، بل توافق العدو على كره ، ومنه اشتقاق التوأم لأن وزنه فوعل مثل التولج والتاء فيهما جميعاً بدل من : واو ، قاله صاحب العين .

وقولها ملهوفة مستلبة . الأجود فى مستلبة أن يكون بكسر اللام من السلاب وهى الخرقة السوداء التى تخمر بها الثكلى ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس حين مات عنها جعفر : تسلبى ثلاثاً ، ثم اصنعى ماشئت ، وهو حديث منسوخ بالإحداد ، ويتأول ، ذكره الطبرى .

وذكر ابن هشام شعر قتيلة بنت الحارث ترثى أخاها النضر بن الحارث ، والصحيح أنها بنت النضر لا أخته كذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل ، وقتيلة هذه كانت تحت الحارث بن أبى أمية الأصغر ، فهى جدة الثريا بنت عبد الله بن الحارث التى يقول فيها عمر بن أبى ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

ورهط الثريا هذه يقال لهم : العبلات ، لأن أمهم عبلة بنت عبيد بن جاذب .

فى شعر قتيلة :

أمحمد ها أنت ضنئ نجيبة

قال قاسم : أرادت يا محمداه على الندبة . قال : والضنئ الولد ، والضنئ الأصل ، يقال ضنأت المرأة واضنأت ضنأت تضنو وإذا ولدت .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ، يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

غزوة السويق

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال : ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ،فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فل قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مئتى راكب من قريش ، ليبر يمينه ، فسلك النجدية ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بنى النضير تحت الليل ، فأتى حيى بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها ، يقال لها : العريض . فحرقوا فى أصوار من نخل بها ، ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما ، فقتلوهما ،ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخفون منها للنجاء ، فقال المسلمون : حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال :نعم .

قال ابن هشام : وإنما سميت غزوة السويق ، فيما حدثنى أبو عبيدة : أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير ، فسميت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه ، لما صنع به سلام بن مشكم :

وإنى تخيرت المدينة واحداً ... لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقانى فروانى كميتاً مدامة ... على عجل منى سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لأفرحه : أبشر بعز ومغنم
تأمل فإن القوم سر وإنهم ... صريح لؤى لا شماطيط جرهم
وما كان إلا بعض ليلة راكب ... أتى ساعياً من غير خلة معدوم

غزوة ذى أمر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهى غزوه ذى أمر واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلا منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بحران، معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أمر بنى قينقاع

قال : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع ، وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل. تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ،قالوا: يا محمد ، إنك ترى أنا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا » : أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش « فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن أبى عون ، قال : كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديا ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبى بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن فى موالى ، وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسن فى موالى ، قال : فأعرض عنه ، فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلنى ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ، ثم قال : ويحك ! أرسلنى ، قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربع مائة حاسر

. . . .

وثلاث مائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبى بن سلول ، وقام دونهم . قال : ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بنى عوف ، لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفى عبد الله بن أبى نزلت هذه القصة من المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين ۝ فترى الذين فى قلوبهم مرض ، أى لعبد الله بن أبى وقوله : إنى أخشى الدوائر « يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ۝ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » . وذكر لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم : « من يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عير قريش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على القردة ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أن قريشاً خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهى عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بكر بن وائل ، يقال له : فرات ابن حيان يدلهم فى ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فرات بن حيان ، من بنى عجل ، حليف لبنى سهم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسان بن ثابت بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأخذهم تلك الطريق :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك

. . . .

قال ابن هشام: وهذه الأبيات لحسان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسنذكرها ونيقضتها إن شاء الله فى موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتـــل من قتل من المشركين، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة الظفرى، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبى أمامة بن سهل، كل قد حدثنى بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلا من طيء، ثم أحد بنى نبهان، وكانت أمه من بنى النضير، حين بلغه الخبر: أحق هذء؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان - يعنى زيداً وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على عبد المطلب بن أبى وداعة بن ضبيرة السهمى، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينشد الأشعار، ويبكى أصحاب القليب من قريش، الذين أصيبوا ببدر، فقال:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لاتبعدوا إن الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ... ذى بهجة يأوى إليه الضيع
طلق اليدين إذا الكوكب أخلفت ... حمال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم ... إن ابن الأشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا ... ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
صار الذى أثر الحديث بطعنه ... أو عاش أعمى مرعشاً لايسمع
نبئت أن بنى المغيرة كلهم ... خشعو القتل أبى الحكيم وجدعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبه ... مانال مثل المهلكين وتبع
نبئت أن الحارث بن هشامهم ... فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما ... يحمى على الحسب الكريم الأروع

قال ابن هشام: قوله «تبع»، «وأسر بسخطهم». عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى، فقال:

أبكى لكعب ثم عل بعبرة ... منه وعاش مجدعاً لايسمع
ولقد رأيت ببطن بدر منهم ... قتلى تسح لها العيون وتدمع
فابكى فقد أبكيت عبداً راضعاً ... شبه الكليب إلى الكليبة يتبع

ولقد شفى الرحمن منا سيداً وأهان قوماً قاتلوه وصرعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه شغف يظل لخوفه يتصدع

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله «أبكى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت امرأة من المسلمين من بنى مريد، بطن من بلى كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد، يقال لهم: الجعادرة، تجيب كعباً ـ قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر نقيضتها لكعب بن الأشرف:

تحنن هذه العبد كل تحنن يبكى على قتلى وليس بناصب
بكت عين من يبكى لبدر وأهله وعلت بمثليها لؤى بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدمائهم يرى مابهم من كان بين الأخاشب
فيعلم حقاً عن يقين ويبصروا مجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال:

ألا فازجروا منكم سفيهاً لتسلموا عن القول يأنى منه غير مقارب
أتشتمنى أن كنت أبكى بعبرة لقوم أتانى ودهم غير كاذب
فإنى لباك ما بقيت وذاكر مآثر قوم مجدهم بالجباجب
لعمرى لقد كانت مريد بمعزل عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب
فحق مريد أن تجد أنوفهم بشتمهم حيى لؤى بن غالب
وهبت نصيبى من مريد لجعدر وفاء وبيت الله بين الأخاشب

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة من لى بابن الأشرف؟ فقال له محمد بن مسلمة، أخو بنى عبد الأشهل: انا لك به يارسول الله، أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك. فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لايأكل ولا يشرب إلا مايعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه، فقال له: لم تركت الطعام والشراب؟ فقال يا رسول الله، قلت لك قولا لاأدرى هل أفين لك به أم لا؟ فقال: إنمـا عليك الجهد؛ فقال: يا رسول الله، إنه لابد لنا من أن نقول، قال: قولوا مابدا لكم، فأنتم فى حل من ذلك. فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلام بن وقش، وهو أبو نائلة، أحد بنى عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش، أحد بنى عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ، أحد بنى عبد الأشهل، وأبو عبس بن جبر، أحد بنى حارثة، ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سلكان بن سلامة أبا نائلة، فجاءه، فتحدث معه ساعة، وتناشدوا شعراً، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: ويحك يابن الأشرف! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك، فاكتم عنى، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا به العرب، ورمتنا عن قوس واحد، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا، فقال كعب: أنا ابن الأشراف، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول، فقال له سلكان: إنى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك،

وتحس فى ذلك ، فقال : أترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحاباً لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحلقة مافيه وفاء ، وأراد سلكان أن لاينكر السلاح إذا جاءوا بها ، قال : إن فى الحلقة وفاء ، قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنونى نساءكم قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ، قال : أترهنونى أبناءكم ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لاينزلون فى هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائماً لما أيقظنى ، فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر ، قال يقول لها كعب : لويدعى الفتى لطعنة لأجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز ، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا فى سيفى ، حين رأيت أسيافنا لاتغنى شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار ، قال : فوضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، فجرح فى رأسه أو فى رجله، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا فى حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً ... فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ، سأذكرها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق .

لله در عصابة لاقيتهم يا بن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأسد فى عرين مغرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سلام بن أبى الحقيق فى موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذفف » عن غير ابن إسحاق .

غزوة قرقرة الكدر

القرقرة : أرض ملساء ، والكدر : طير فى ألوانها كدر ، ، عرف بها ذلك الموضع ، وقد كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يذكر مسيره مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الغزوة ، فقال لعمران بن سوادة حين قال له : إن رعيتك تشكو منك عنف السياق ، وقهر الرعية فدقر على الدرة ، وجعل يمسح سيورها ، ثم قال: قد كنت زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قرقرة الكدر ، فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأروى ، وأكثر الزجر ، وأقل الضرب ، وأرد العنود ، وأزجر العروض ، وأضم اللفوت ، وأشهر العصا ، وأضرب باليد ، ولولا ذلك لأغدرت أى : لضيعت فتركت ، يذكر حسن سياسته ، فيما ولى من ذلك . والعنود : الخارج عن الطريق ، والعروض المستصعب من الناس والدواب .

وذكر أن أبا سفيان كان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً . فى هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بقى فيهم الحج والنكاح ، ولذلك سموها جنابة ، وقالوا : رجل جنب وقوم جنب ، لمجانبتهم فى تلك الحال البيت الحرام ، ومواضع قرباتهم ، ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن أعنى قوله « وإن كنتم جنباً فاطهروا » فكان الحدث الأكبر معروفاً بهذا الاسم ، فلم يحتاجوا إلى تفسيره ، وأما الحدث الأصغر ، وهو الموجب للوضوء ، فلم يكن معروفاً قبل الإسلام ، فلذلك لم يقل فيه : وإن كنتم محدثين ، فتوضئوا كما قال : « وإن كنتم جنباً فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » فبين الوضوء وأعضاءه وكيفيته : والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجىء من الغائط ، وملامسة النساء ، ولم يحتج فى أمر الجنابة إلى بيان أكثر من وجوب الطهارة ، منها : الصلاة .

وقوله : أصوار نخل ، هى : جمع صور . والصور : نخل مجتمعة .

سلام بن مشكم : وذكر سلام بن مشكم ، ويقال فيه سلام ، ويقال : إنه ولد شعثاء التى يقول فيها حسان :

لشعثاء التى قد تيمته فليس لعقله منها شفاء

وقول أبى سفيان : شماطيط جرهم . الشماطيط : الخيل المتفرقة ، ويقال للأخلاط من الناس أيضاً شماطيط ، وأصله من الشميط ، وهو اختلاط الظلام بالوضوء ، ومنه الشمط فى الرأس .

وقوله : ولم أكن لأفرحه ، والمفرح : الذى قد أثقله الدين ، وقد تقدم شرحه .

وذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع

. . . .

الآخر . وجمادى الأولى . الفرع بضمتين ، يقال : هى أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة ، وهى من ناحية المدينة ، وفيها عينان يقال لهما الربض والنجف يسقيان عشرين ألف نخلة كانت لحمزة بن عبدالله بن الزبير . وتفسير الربض : منابت الأراك فى الرمل . والفرع بفتحتين موضع بين الكوفة والبصرة . قال سويد بن أبى كاهل :

حل أهلى حيث لا أطلبها جانب الحضر وحلت بالفرع

ثم رجع إلى المدينة . وقول ابن إسحاق : أقام شهر ربيع وجمادى لأن الربيع مشترك بين اسم الشهر ، وزمن الربيع ، فكان فى لفظ الشهر بيان لما أراد ، وجمادى اسم علم ليس فيه اشتراك ، وقد قدمنا قول سيبويه ، ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر يعنى هذه الأسماء كلها ، وكذلك أسماء الأيام ، لا تقول : سرت الخميس ولا مشيت الأربعاء إلا والعمل فيه كله حتى تقول يوم الأربعاء ، أو يوم كذا ، وفى الشهور شهر كذا ، فحينئذ يكون ظرفا لا يدل على وقوع العمل فيه كله .

خبر بنى قينقاع

وقد تقدم منه طرف قبل غزوة بدر .

وفيه أن عبد الله بن أبى قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أحسن فى موالى وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ غضب حتى رأوا لوجهه ظلالا ، هكذا فى نسخة الشيخ مصححا عليه ، وفى غيرها ظللا جمع ظلة ، وقد تجمع فعلة على فعال نحو برمة وبرام وجفرة وجفار فمعنى الروايتين إذن واحد ، والظلة ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء ، وكان وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشرقا بساما ، فإذا غضب تلون ألوانا فكانت تلك الألوان حائلة دون الإشراق والطلاقة والضياء المنتشر عند تبسمه ، وقد روى أنه كان يسطع على الجدار نور من ثغره إذا تبسم ، أو قال: تكلم ، ينظر فى الشمائل للترمذى .

وذكر فيه الآية التى نزلت فيهم : « قد كان لكم آية فى فئتين » الفئة على وزن فعة من فأوت رأسه بالعصا إذا شققته ، أو من الفأو ، وهى جبال مجتمعة ، وبينهما فسحة من الأرض ، فحقيقة الفئة الفرقة التى كانت مجتمعة مع الأخرى ، فافترقت .

سرية زيد

ذكر فيها فرات بن حيان العجلى منسوب إلى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، واللجيم : تصغير لجم وهى دويبة تطير بها العرب ، وأنشدوا :

لها ذنب مثل ذيل العروس إلى سبة مثل جحر اللجم

وكان عين قريش ودليل أبى سفيان ، أسلم فرات وحسن إسلامه ، وقال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن منكم رجالا نكلهم إلى إسلامهم ، منهم فرات ، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بن أثال فى شأن مسيلمة ، وردته ، ومر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مع أبى هريرة ، والرجال بن عنفوة ، فقال : ضرس أحدكم فى النار مثل أحد ، فما زال فرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغتهما ردة الرجال ، وإيمانه بمسيلمة ، فخرا ساجدين ، واسم الرجال : نهار بن عنفوة ، والعنفوة ضرب من النبت ، يقال له الصليان .

وفيها يقول حسان :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

الفلجات : جمع فلج ، وهى العين الجارية ، يقال : ماء فلج ، وعين فلج ، وذكره أبو حنيفة : فلحات بالحاء المهملة ، وقال : الفلحة المزرعة .

لغويات : وقوله : جلاد كأفواه المخاض الأوارك .

أى : التى أكلت الأراك ، فدميت أفواهها ، والمخاض واحدتها خلفة من غير لفظها ، وهى الحامل ، وقد قيل فى الواحد ماخض ، ومنه قول الطائى :

وأخرتها عن وقتها وهى ماخض

وعندى أن المخاض فى الحقيقة ليس بجمع ، إنما هو مصدر ، ولذلك وصف به الجميع ، وفى التنزيل : « فأجاءها المخاض » ، وقولهم . ناقة ماخض ، كقولهم : حامل ، أى : ذات مخاض ، وذات حمل ، وقد يقول الرجل لنسائه أنتن الطلاق ، فليس الطلاق بجمع ، وإنما معناه : ذوات طلاق ، وكذلك معنى المخاض ، أى ذوات مخاض ، غير أنه قيل للواحدة : ماخض ، ولم يقل : ناقة مخاض ، أى : ذات مخاض ، كما يقال : امراة زور وصوم ، لأن المصدر إذا وصف به فإنما يراد به الكثير ولا تكثير فى حمل الواحدة ، ألا ترى أنك تقول هى أصوم الناس، وما وأصومها ، ولا يقال إذا حبلت : ما أحبلها ، لأنه شىء واحد ، كما لا يقال فى الموت : ما أموتها ، فلما عدم قصد التكثير والمبالغة لم توصف به ، كما لا توصف بالسير إذا قلت : ما هى إلا سير، فإذا كانت إبلا كثيرة حصل معنى الكثرة ، فوصفت بالمخاض ، وهو المصدر لذلك ، فإن قلت : فقد يقول الرجل : أنت الطلاق ، وأنت الفراق قلنا : فيه معنى التكثير والمبالغة ، ولذلك جاز لأنه شىء يتمادى ويدوم ، لاسيما إن أراد بالطلاق الطلاق كله لا واحدة ، وليس كذلك المخاض والحمل ، فإن مدته معلومة ومقداره مؤقت .

وقوله : بأيدى الملائك ، هو جمع ملك على غير لفظه ، ولو جمعوه على لفظه لقالوا : أملاك ، ولكن الميم من ملك زائدة فيما زعموا ، وأصله مألك من الألوك ، وهى الرسالة ، قال لبيد :

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل

وقال الطائى :

من مبلغ الفتيان عنى مألكا أنى متى يتثلموا أتهدم

والطائى وإن كان متولداً ، فإنما يحتج به لتلقى أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يلحن ، إذا كان الأصل فيه مألكا فإنما قلبوه إرادة إلغاء الهمزة ، إذا سهلوا ولو سهلوا مألكا ، والهمزة مقدمة لم تسقط ، وإنما تسقط إذا سكن قبلها ، فقالوا ملك ، فإذا جمعوا عادت الهمزة ، ولم تعد إلى موضعها لئلا ترجع كجمع مألكة . وهى الرسالة ولو قيل : إن لفظ ملك مأخوذ من الملكوت ، فلذلك لم يهمز ، لأن أكثر الملائكة ليسوا برسل ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا مؤلك ، كما تقول : مرسل ، ولضمت الميم فى الواحد ، وتكون الهمزة على هذا زائده فى الجميع كما زادوها فى شمأل وهى من شملت الريح ، لكان هذا وجهاً حسناً ، وسر زيادة الهمزة فى شمأل ، وهى من شملت الريح ، فأطلعت الهمزة رأسها لذلك، إذ قد اجتمع فيها أنها من عن شمال البيت، وأنها شامية ، وكذلك

. . . .

الملائكة هم من ملكوت الله ، وفيهم رسل ، والواحد منهم من ملكوت الله فقط ، لأنه لا يتبعض كما تتبعض الجملة منهم فأما قول الشاعر :

فلست لإنسى ولكن لمألك　　تنزل من جو السماء يصوب

فهمز مألكا ، وهو واحد ، والبيت مجهول قائله ، وقد نسبه ابن سيدة إلى علقمة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع هذا فقد وصف مألكا بالرسالة لقوله : تنزل من جو السماء يصوب ، فحسن الهمز لتضمنه معنى الألوك ، كما حسن فى جملة الملائكة ، إذ للجملة بعض هم إرسال ، والكل من ملكوت الله سبحانه ، وليس فى الواحد إلا معنى الملكوتية فقط حتى يتخصص بالرسالة ، كما فى هذا البيت المذكور ، فيتضمن حينئذ المعنيين ، فتطلع الهمزة فى اللفظ ، لما فى ضمنه معنى الألوك ، وهى الرسالة .

مقتل كعب بن الأشرف

ذكر فيه أنه شبب بنساء المسلمين ، وآذاهم ، وكان قد شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال :

أراحل أنت لم ترحل لمنقبته　　وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فى أبيات رواها يونس عن ابن إسحاق .

وذكر فيه قوله عليه السلام : من لكعب ، فقد آذى الله ورسوله . فيه من الفقه : وجوب قتل من سب النبى - صلى الله عليه وسلم - وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا ، ووقع فى كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة ، فقيل : إنه أول رأس حمل فى الإسلام ، وقيل : بل رأس أبى عزة الجمحى الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، فقتله واحتمل رأسه فى رمح إلى المدينة فيما ذكر ، وأما أول مسلم حمل رأسه فى الإسلام ، فعمرو بن الحمق ، وله صحبة .

وفيه من قول حسان فى كعب : بكى كعب ثم على بعبرة فيه دخول زحاف على زحاف ، وذلك أن أول الجزء سبب ثقيل وسبب خفيف فإذا دخل فيه الزحاف الذى يسمى الإضمار صارا سببين خفيفين ، فيعود متفاعلن إلى وزن مستفعلن ، ومستفعلن يدخله الخبن والطى ، وهو حذف الرابع منه ، فشبه حسان متفاعلان فى الكامل بمستفعلن لما صار إلى وزنه ، فحذف الحرف الساكن وهو الرابع من متفاعلان إلى وزن مفتعلن ، وهو غريب فى الزحاف فإنه زحاف آخر ، ولولا الزحاف الذى هو الإضمار ، ما جاز البتة حذف الرابع من متفاعلان .

وذكر فى الذين قتلوا كعباً أبا عبس بن جبر ، واسمه : عبد الرحمن ، وذكر سلكان بن سلامة ، واسمه : سعد .

وذكر فى شعر حسان الفاوى ، وفيه ، ببيض ذفف . الذفف : جمع ذفيف وهو الخفيف السريع ، وهو جمع على غير قياس ، وإنما فعل جمع فاعل ولكن الزفيف من السيوف فى معنى القاطع والصارم .

وفيه : فى عرين مغرف . العرين : أجمة الأسد ، وهو الغريف أيضاً ، والغريف أيضاً الكثير ، فيحتمل إنه أراد بمغرف مكثراً من الأسد ، ويحتمل أنه أراد توكيد معنى الغريف ، كما يقال : خبيث مخبث .

أمر محيصة وحويصة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة ابن مسعود ـ قال ابن هشام : ويقال : محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ـ على ابن سنينة ـ قال ابن هشام : ويقال سبينة ـ رجل من تجار يهود ، كان يلابسهم ويبايعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، كان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ، ويقول : أى عدو الله ، أقتلته ، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة ، قال : آولله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها ! قال : والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب . فأسلم حويصة .

وذكر قول امرأة كعب : والله إنى لأعرف فى صوته الشر ، وفى كتاب البخارى : إنى لأسمع صوتاً يقطر منه الدم .

وفيه : ما رأيت عطراً كاليوم ، معناه : عند سيبويه : ما رأيت كعطر أراه اليوم عطراً : كذلك قال العرب: لم أر كاليوم رجلا ، أى : كرجل أراه اليوم رجلا ، فحذف مادخلت عليه الكاف ، وحذف الفعل ، وهو أرى، وفاعله ومفعوله ، وهذا حذف كثير لاسيما ، وقد يقال : ما رأيت كاليوم ، ولا تذكر بعده شيئاً إذا تعجبت ، فدل على أنهم لم يحذفوا هذا الحذف الكثير ، ولكنهم أوقعوا التعجب على اليوم ، لأن الأيام تأتى بالأعاجيب ، والعرب تذمها وتمدحها فى نظمها ونثرها ، ويعلم المخاطب أن اليوم لم يذم لنفسه ولا يعجب منه لنفسه ، فيلتمس منك البيان والتفسير لما تعجبت منه ، فتأتى بالتمييز لتبين . فعطراً منصوب على التمييز ، والدليل على ذلك أنه يحسن خفضه بمن ، لأنه متعجب منه ، فتقول : لم أر كاليوم من رجل .

ووقع فى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بعد قوله : فمشوا ساعة ، قال فجعل كعب ينشد :

رب خال لى لو أبصرته	سبط المشية أباء أنف
لين الجانب فى أقربه	وعلى الأعداء كالسم الذعف
وكرام لم يشنهم حسب	أهل عز وحفاظ وشرف
يبذلون المال فيما نابهم	لحقوق تعتريهم وعرف
وليوث حين يشتد الوغى	غير أنكاس ولا ميل كشف
فهم أهل سماح وقرى	وحفاظ لم يمانوا بصلف
سكنوا من يثرب كل ربى	وسهول حيث حلوا فى أنف
وهم أهل مشاريب بها	وحصون ونخيل وغرف
ولها بئر رواء جمة	من يردها بإناء يغترف
ونخيل فى تلاع جمة	تخرج التمر كأمثال الأكف
وصرير من محال خلته	آخر الليل مهاريج ندف
تدلج الجون على أكتافها	بدلاء ذات أركان صدف
كل حاجاتى قد قضيتها	غير حاجاتى فى بطن الجرف

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها محيصة .

فقال محيصة فى ذلك :

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب

حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما أصوبه فليس بكاذب

وما سرنى أنى قتلتك طائعاً ... وأن لنا مابين بصرى ومأرب

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم نحواً من أربع مائة رجل من اليهود ، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ، ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلا ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من بنى قريظة وقال : ليضرب فلان وليذفف فلان ، فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا ، وكان عظيما فى بنى قريظة ، فدفعه إلى محيصة بن مسعود ، وإلى أبى بردة بن نيار - وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جذعا من المعز فى الأضحى - وقال ليضربه محيصة وليذفف عليه أبو بردة ، فضربه محيصة ضربة لم تقطع ، وذفف أبو بردة فأجهز عليه . فقال حويصة : وكان كافراً ، لأخيه محيصة : أقتلت كعب ابن يهوذا ؟ قال : نعم ، فقال حويصة : أما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله ، إنك للئيم يامحيصة ، فقال له محيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجباً . فذكروا أنه جعل يتيقظ من الليل : فيعجب من قول أخيه محيصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لدين . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيصة فى ذلك أبياتاً قد كتبناها .

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قدومه من بحران ، جمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان ، وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قاله منهم :

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، فى رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وأخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم ، كما ذكر لى بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

اجتماع قريش للحرب : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان فى الأسارى فقال: إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه ، قال فأعنا بنفسك ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة ويقول :

إيهاً بنى عبد مناة الرزام   أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدونى نصركم بعد العام   لا تسلمونى لا يحل إسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بنى مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعو إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا مال ، مال الحسب المقدم   أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم   الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشى ، يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطىء بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ، فأنت عتيق .

فخرجت قريش بحدها وجدها وحديدها وأحابيشها ، ومن تابعها من بنى كنانة ، وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن ، التماس الحفيظة ، وألا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان ابن أمية .

قال ابن هشام : ويقال : رقية .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهى أم بنى طلحة : مسافع والجلاس وكلاب ، قتلوا يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها ، قالت : ويها أبا دسمة أشف واستشف ، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى ، مقابل المدينة .

رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاورته القوم : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون

قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة ، فأولتها : المدينة .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقراً لى تذبح ، قال : فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى ، فهو رجل من أهل بيتى يقتل .

قال ابن إسحاق : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأى عبد الله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه فى ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أبى بن سلول ، يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا: يا رسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه.

قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس

انخذال المنافقين : قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخزل عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلمة ، يقول يا قوم ، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ، قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه

قال ابن هشام : وذكر زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهرى : أن الأنصار يوم أحد، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

تفاؤل الرسول : قال زياد : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة ، فذب فرس بذنبه ، فأصاب كلاب سيف فاستله .

قال ابن هشام : ويقال : كلاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف : شم سيفك ، فإنى أرى السيوف ستسل اليوم .

. . . .

ما كان من مربع المنافق حين سلك المسلمون حائطه : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب : أى من قرب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى ، وكان رجلا منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام يحثى فى وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى ، وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر ، وقد بدر إليه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل ، قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجه .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال ، وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة ، من قناة للمسلمين : فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أترعى زروع بنى قيلة ولما تضارب ! وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبع مائة رجل ، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، وإن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخى بنى عبد الدار .

الرسول يجيز من هم فى الخامسة عشرة : قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة ابن جندب الفزارى ، ورافع بن خديج ، أخا بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعاً رام ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً ، قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وزيد بن ثابت ، أحد بنى مالك بن النجار ، والبراء بن عازب ، أحد بنى حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بنى مالك بن النجار ، وأسيد بن ظهير ، أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل .

أبو دجانة وشجاعته : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين .

قال ابن إسحاق : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

. . . .

أبو عامر الفاسق : قال ابن إسحاق ، وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلا ، وكان يعد قريشاً أن لو قدلقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية : الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق - فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

أبو سفيان وهند يحرضان قريشاً : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأديار
ضرباً بكل بتار

وتقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أمت أمت ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام : حدثني غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقدقمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ، فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

قال ابن هشام : ويروى في الكبول .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك

أبا دجانة ، فاتقاه بدرقته ، فعضت بسيفه . وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجانة سماك بن خرشة : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وقاتل حمزة بن عبدالمطلب حتى قتل أرطاة بن عبدبن شرحبيل بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشانى ، وكان يكنى بأبى نيار ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور ـ وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى .

قال ابن هشام : شريق بن الأخنس بن شريق . وكانت ختانة بمكة ـ فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشى ، غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه مايليق به شيئاً : مثل الجمل الأورق إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور فضربه ضربة ، فكأن ما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجة غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر ابن عمرو بن أمية الضمرى قال : خرجت أنا وعبيدالله بن عدى بن الخيار ، أخو بنى نوفل بن عبد مناف ، فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، فأدربنا مع الناس ، فلما قفلنا مررنا بحمص ـ وكان وحشى ، مولى جبير بن مطعم ، قد سكنها ، وأقام بها ـ فلما قدمناها ، قال لى عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدارجلا عربياً ، وتجدا عنده بعض ماتريدان ، وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض مايكون به ، فانصرفا عنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، فإذا شيخ كبير مثل البغاث .

قال ابن هشام : البغاث ضرب من الطير يميل إلى السواد .

فإذا هو صاح لابأس به . قال : فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى ، فقال : ابن لعدى بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى ، فإنى ناولتكها وهى على بعيرها ، فأخذتك بعرضيك . فلمعت لى قدماك حين رفعتك إليها . فوالله ماهو إلا أن وقفت على فعرفتهما . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى ساحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحـــد ، قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا ، مايقوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيأ له ، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه

سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلى يابن مقطعة البظور . قال : فضربه ضربة كأن ماأخطأ رأسه . قال : وهززت حربتى ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت فى ثنته ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوى ، فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق. فلما قدمت مكة أعتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت على المذاهب ، فقلت : ألحق بالشأم ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همى ، إذا قال لى رجل : ويحك إنه والله مايقتل أحداً من الناس دخل فى دينه ، وتشهد شهادته

فلما قال لى ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق ؛ فلما رآنى قال : أوحشى؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة، قال : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثى قال : ويحك ! غيب عنى وجهك ، فلا أرينك . قال : فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبضه الله ـ صلى الله عليه وسلم .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأله رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله ، فإن كنت قتلته ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشيا لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة .

استشهاد مصعب : قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً . فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبى طالب ، وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قدم الراية . فتقدم على ، فقال . أنا أبو الفصم ، ويقال : أبو القصم ، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سعد بن أبى طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك ياأبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم : فبرز بين الصفين ، فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعورته ، فعطفتنى عنه الرحم ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين ، فنادى أنا قاصم من يبارز برازاً ، ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا محمد ، زعمتم أن قتلاكم في الجنة ، وأن قتلانا في النار . كذبتم واللات ! لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلى بعضكم ، فخرج إليه على بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين . فضربه على فقتله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص

خبر عاصم بن ثابت : وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سهماً . فيأتي أمه سلافة . فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح : فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً . ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فقتله حمزة بن عبد المطلب .

حنظلة غسيل الملائكة : والتقى حنظلة بن عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود ، وهو ابن شعوب ، قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعنى حنظلة لتغسله الملائكة : فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه . فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة .

قال ابن هشام : ويقال : الهائعة . وجاء في الحديث : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة طار إليها » قال الطرماح بن حكيم الطائي ، والطرماح : الطويل من الرجال :

أنا ابن حماة المجد من آل مالك إذا جعلت خور الرجال تهيع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

شعر الأسود وأبي سفيان في قتل حنظلة : قال ابن إسحاق : وقال شداد بن الأسود في قتله حنظلة :

لأحمين صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولو شئت نجتني كميت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب
وما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعي يالغالب وأدفعهم عني بركن صليب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل ولا تسأمي من عبرة ونحيب
أباك وإخواناً له قد تتابعوا وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذي قد كان في النفس أنني قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنني لم أشف نفسي منهم لكانت شجاً في القلب ذات ندوب
فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم بهم خدب من معطب وكئيب
أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء ولا في خطة بضريب

حسان والحارث يردان على أبى سفيان : فأجاب حسان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ... ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم ... نجيباً وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه ... وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصى عليا فراعه ... بضربة عضب بله بخضيب

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه ، فقال :

ولولا دفاعى يابن حرب ومشهدى ... لألفيت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت ... ضباع عليه أو ضراء كليب

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان :

جزيتهم يوماً ببدر كمثله ... على سابح ذى ميعة وشبيب
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحاً ... عليك ولم تحفل مصاب حبيب
وإنك لو عاينت ما كان منهم ... لأبت بقلب ما بقيت نخيب

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظن أنه عرض به فى قوله :

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر .

الزبير يذكر سبب الهزيمة : قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير أنه قال : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ : أزب العقبة ، يعنى الشيطان .

حسان يذكر شجاعة صؤاب : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش ، فلاثوا به . وكان اللواء مع صؤاب ، غلام لبنى أبى طلحة ، حبشى وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعزرت ـ يقول : أعذرت ـ فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين رد إلى صؤاب
جعلتم فخركم فيه بعبد ... وألأم من يطا عفر التراب

ظننتم ، والسفيه له ظنون   وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلادنا يوم التقينا   بمكة بيعكم حمر العياب
أقر العين أن عصبت يداه   وما إن تعصبان على خضاب

قال ابن هشام : آخرها بيت يروى لأبي خراش الهذلى ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أقر العين أن عصبت يداها   وما إن تعصبان على خضاب

فى أبيات له . يعنى امرأته ، فى غير حديث أحد . وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلى .

شعر حسان فى شجاعة عمرة الحارثية : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى شـــأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها   جداية شرك معلمات الحواجب
أقمنا لهم طعناً مبيراً منكلا   وحزناهم بالضرب من كل جانب
فلولا لواء الحارثية أصبحوا   يباعون فى الأسواق بيع الجلائب

قال ابن هشام : وهذه الأبيات له .

ما أصاب الرسول يوم أحد : قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدث بالحجارة التى وقع لشقه ، فأصيبت رباعيته ، وشج فى وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد . وشج فى وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عز وجل فى ذلك : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

قال ابن هشام : وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى : أن عتبة ابن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته ، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ، فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومص مالك بن سنان ، أبو أبى سعيد الخدرى ، الدم : عن وجه رسول الله صل الله عليه وسلم ، ، ثم ازدرده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مس دمى دمه لم تصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله .

وذكر ، يعنى عبد العزيز الدراوردى ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن

أبى بكر الصديق : أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبى وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعالهم ... وضرهم الرحمن رب المشارق
فأخزاك ربى ياعتيب بن مالك ... ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمداً ... فأدميت فاه ، قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى ... تصير إليه عند إحدى البوائق

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقزع فيهما .

من شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غشيه القوم : من رجل يشرى لنا نفسه ؟ كما حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السكن فى نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة ابن يزيد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا ثم رجلا ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين ، فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منى ، فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد .

فذكر سعيد ابن أبى زيد الأنصارى : أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخبرينى خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو وأصحابه ، والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى . قالت : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه الله ! لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل فى ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول : ارم ، فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل . فيقول : ارم به .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ،

عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحـــة بن عبيد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : مايجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى لله عليه وسلم ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعد ؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قتل ، وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حميد الطويل ،عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها فى رجله فعرج .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتى : يامعشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ،معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

قتل محيصه اليهودى

محيصة بن مسعود كان أصغر من أخيه حويصة ، لكن سبقه إلى الإسلام ، كما ذكر بن إسحاق ، وشهد أحداً والخندق ، وأرساه النبى صلى الله عليه وسلم إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام ، وهو الذى استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى أجرة الحجام ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : بعد ما ألح عليه فى المسألة : اعلفه ناضحك واجعله فى كرشك ، وذلك أن أبا طيبة الحجام كان عبداً له ، وقد تقدم اسم أبى طيبة .

وقوله : مابين بصرى ومأرب . بصرى بالشام ، ومأرب باليمن ، حيث كان السد ، ومأرب : اسم قصر كان لسبأ ، وقال المسعودى: مأرب اسم كل ملك ولى أمر سبأ ، كخاقان فى الترك ، وكسرى فى الفرس وقيصر فى الروم، والنجاشى فى الحبشة .

وحويصة : تصغير حوصة من حصت الثوب إذا خطته .

وفى حديثهما ذكر سنينة المقتول ، كأنه تصغير سن وقال ابن هشام فى اسمه : سبينة بالباء كأنه مصغر تصغير الترخيم من سبنية ، قال صاحب العين : السبنية ضرب من النبات ، وأما شنينة بالشين المنقوطة . فوالد صقلاب ابن شنينة قرأ على نافع بن أبى نعيم ، وقال : قال لى نافع : ياصقلاب بين النون عند الحاء والخاء والعين والغين والهاء والألف .

غزوة أحد

وأحد الجبل المعروف بالمدينة ، سمى بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هنالك ، وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ـ هذا جبل يحبنا ونحبه ، وللعلماء فى معنى هذا الحديث أقوال . قيل أراد أهله ، وهم

الأنصار ، وقيل أراد أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المحب ، وقيل : بل حبه حقيقة ، وضع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها : « وإن منها لما يهبط من خشية الله » وفى الآثار المسندة أن أحداً يوم القيامة عند باب الجنة ، وذكره ابن سلام فى تفسيره ، وفى المسند من طريق أبى عبس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أحد يحبنا ونحبه ، وهو على باب الجنة ، قال : وعير يبغضنا ونبغضه ، وهو على باب من أبواب النار ، ويقويه قوله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ، مع قوله : يحبنا ونحبه ، فتناسبت هذه الآثار ، وشد بعضها بعضاً .

موافقة اسم جبل أحد للتوحيد : وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية ، وقد سمى الله هذا الجبل بهذا الاسم ، تقدمة لما أراده سبحانه من مشاكلة اسمه ومعناه ، إذ أهله وهم الأنصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد ، عنده استقر حياً وميتاً ، وكان من عادته عليه السلام أن يستعمل الوتر ويحبه فى شأنه كله استشعاراً للأحدية ، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضه عليه السلام ومقاصده فى الأسماء ، فقد بدل كثيراً من الأسماء استقباحاً لها من أسماء البقاع وأسماء الناس ، وذلك لا يحصى كثرة ، فاسم هذا الجبل من أوفق الأسماء له ، ومع أنه مشتق من الأحدية ، فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد ، وعلوه ، فتعلق الحب من النبى صلى الله عليه وسلم به اسماً ومسمى ، فخص من بين الجبال بأن يكون معه فى الجنة ، إذا بست الجبال بساً ، فكانت هباء منبثا وفى أحد قبر هارون أخى موسى عليهما السلام ، وفيه قبض ، وثم واراه موسى عليه السلام ، وكانا قد مرا بأحد حاجين ، أو معتمرين ، روى هذا المعنى فى حديث أسنده الزبير عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كتاب فضائل المدينة .

وذكر ابن إسحاق مسير قريش بالظعن التماس الحفيظة ، والحفيظة . الغضب للحرم . ويقال أحفظ الرجل إذا أغضب .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل : وذكر رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بقراً تنحر حوله ، وثلمة فى سيفه وفى غير السيرة قال رأيت بقراً تنحر والله خير ، فأولت الخير ما جاء الله به من الخير يوم بدر ، وقد كانت بدر قبل أحد ، ولكن نفع الله بذلك الخير الذى كان فى يوم بدر ، وكان فيه تأسية وتعزية لهم ، فلذلك تضمنته الرؤيا بقول الله تعالى « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » وفى البخارى : ما جاء الله به من الخير بعد بدر . وفى مسلم : وإذا الخير ما جاء الله به بعد وثواب الصدق الذى أتانا الله به يوم بدر ، وهذه أقل الروايات إشكالا .

قال المؤلف أبو القاسم السهيلى : أما البقر فعبارة عن رجال مسلحين يتناطحون وقد رأت عائشة ـ رضى الله عنها ـ مثل هذا ، فكان تأويله قتل من قتل معها يوم الجمل .

وقوله : والله خير ، أى : رأيت بقراً تنحر ، ورأيت هذا الكلام ، لأن الرائى قد يمثل له كلام فى خلده ، فيراه بوهمه ، كما يرى صورة الأشياء ، ومن خبر أحوال الرؤيا عرف هذا من نفسه ، ومن غيره ، لكن الصور المرئية فى النوم تكون فى الغالب أمثالا مضروبة ، وقد تكون على ظاهرها ، وأما الكلام الذى يسمعه بسمع

. . . .

الوهم ممثلا فى الخلد ، فلا يكون إلا على ظاهره ، مثل أن يسمع : أنت سالم أو الله خير لك ، أو ما أشبه هذا من الـكلام ، فليس له معنى سوى ظاهره .

وذكر أن فرساً ذبب بذيله ، فأصاب كلاب سيف فاستله . قال ابن هشام : كلاب السيف هى الحديدة العقفاء ، وهى التى تلى الغمد ، وفى كتاب العين : الـكلب مسمار فى قائم السيف .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ، ولا يعتاف ، يفتأل : يفتعل من العيافة . وظاهر كلامه أن العيافة فى المكروه خاصة ، والفأل فى المحبوب ، وقد يكون فى المكروه ، والطيرة تكون فى المحبوب والمكروه ، وفى الحديث أنه نهى عن الطيرة ، وقال : خيرها الفأل ، فدل على أنها تكون على وجوه والفأل خيرها . ولفظها يعطى أنها تكون فى الخير والشر ، لأنها من الطير ، تقول العرب : جرى له الطائر بخير ، وجرى له بشر ، وفى التنزيل : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » .

وقوله فى هذا الحديث : فإنى أرى السيوف ستسل اليوم ، يقوى ما قدمناه من التوسم والزجر المصيب ، وأنه غير مكروه لكنه غير مقطوع به إلا أن يكون من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا فيه قولا مقنعاً فى حديث زمزم ونقرة الغراب الأعصم ، ولله فى كل شىء حكمة ، وإعمال الفكر فى الوقوف على حكمة الله عبادة .

الصبية الذين منعوا من الخروج يوم أحد : وذكر المستصغرين يوم أحد الذين أرادوا الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد أصغرهم ، منهم البراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن ثابت إلى آخرهم ، ولم يذكر فيهم عرابة بن أوس بن قيظى ، وقد ذكرته طائفة فيهم ، وممن ذكره فيهم القتبى فى كتاب المعارف ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

ولعرابة أخ اسمه : كباثة ، له صحبة ومن المستصغرين يوم أحد سعد بن حبتة ، عرف بأمه ، وهى حبتة بنت مالك أنصارية ، وهو سعد بن بجير من بجيلة ، رده النبى - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد لصغر سنه ، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالا شديداً ، فدعاه ومسح على رأسه ، ودعا له بالبركة فى ولده ونسله ، فكان عماً لأربعين ، وخالا لأربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يوسف القاضى يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد ابن حبتة

شعر هند بنت عتبة : وذكر قول هند بنت عتبة :

ويهاً بنى عبد الدار

ويهاً كلمة معناها الإغراء .

قال الراجز :

وهو إذا قيل له ويهاً فل   فإنه مواشك مستعجل

. . . .

وأما واهاً ، فإن معناها التعجب ، وإيهاً معناها : الأمر بالكف .

وقولها : إن تقبلوا نعانق ، فيقال ، إنها تمثلت بهذا الرجز ، وإنه لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية ، قالته في حرب الفرس لإياد ، فعلى هذا يكون إنشاده : بنات طارق ، بالنصب على الاختصاص ، كما قال :

نحن بني ضبة أصحاب الجمل

وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع ، لأنه خبر مبتدأ أي : نحن شريفات رفيعات كالنجوم ، وهذا التأويل عندي بعيد ، لأن طارقاً وصف للنجم لطروقه ، فلو أرادته لقالت : بنات الطارق إلا أني وجدت للزبير ابن أبي بكر أنه قال في كتاب أنساب قريش له أول هذا الرجز الذي قالته هند يوم أحد :

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق ... مشي القطا النواتق

إلى آخر الرجز . قال : وحدثني يحي بن عبد الملك الهديرى ، قال : جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد : نحن بنات طارق ، فقالوا : ما طارق ؟ فقلت : النجم ، فالتفت الضحاك ، فقال : أبا زكريا ، وكيف بذلك ؟ فقلت : قال الله تبارك وتعالى : « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » : فإنها قالت : نحن بنات النجم ، فقال : أحسنت .

أبو دجانة : وذكر أبا دجانة ، ولبسه المشهرة ، وأبو دجانة الساعدي ممن دافع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وحنا عليه يوم أحد وترس عليه بنفسه ، حتى كثرت النبل في ظهره ، واستشهد يوم اليمامة ، بعد أن شارك في قتل مسيلمة ، اشترك في قتـله هو ووحشي وعبد الله بن زيد ، وسنذكر ما قاله سيف بن عمر في قاتل مسيلمة في آخر الباب إن شاء الله .

وذكر قول أبي دجانة :

إني امرؤ عاهدني خليلي

يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك كان أبو هريرة يقول حدثني خليلي ، وأنكره عليه بعض الصحابة ، وقال له : متى كان خليلك ، وإنما أنكر عليه المنكر هذا لقوله عليه السلام : « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام » . وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي حدثني خليلي ، لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقولها لأحد من أصحابه ، ولا خص بها أحداً دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ، وما كان في قلوبهم من المحبة له يقتضي هذا ، وأكثر منه ، ما لم يكن الغلو والقول المكروه ، فقد قال عليه السلام : لا تطروني ، كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد الله ورسوله . وقال لرجل قال له : أنت سيدنا وأطولنا طولا ، وأنت الجفنة الغراء ، فقال : « قولوا بقولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » أي : قولوا بقول أهل دينكم وأهل ملتكم ، كذا فسره الخطابي ، ومعناه عندي : قولوا بقولكم ، لا بقول الشيطان . لأنه قد جعلهم جرياً له ، أي : وكيلا ورسولا ،

. . . .

وإذا كانوا جرياله، وقالوا :ما يرضيه من الغلو فى المنطق، فقد قالوا بقوله ويستجرينكم من قولهم جريت جرياً، أى : وكلت وكيلا ، وقال له رجل آخر : أنت أشرفنا حسباً وأكرمنا أما وأباً . فقال : كم دون لسانك من طبق؟ فقال : أربعة أطباق ، فقال : أما كان فيها ما يزع عنى غرب لسانك . رواه ابن وهب فى جامعه.

وقول أبى دجانة :

ألا أقوم الدهر فى الـكيول

قال أبو عبيد : الـكيول آخر الصفوف ، قال : ولم يسمع إلا فى هـــذا الحديث ، وقال الهروى مثل ما قال أبو عبيد ، وزاد فى الشرح ، وقال سمى بكيول الزند ، وهى سواد ودخان يخرج منه آخراً ، بعد القدح إذا لم يور ناراً ، وذلك شىء لاغناء فيه ، يقال منه كال الزند يكول ، فالـكيول فيعول من هذا ، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ، ولا يزكيها ، هذا معنى كلامه لا لفظه . وقال أبو حنيفة نحواً من هذا إلا أنه قال : كال الزند بكيل بالياء لا غير .

وقوله : رأيت رجلا يحمش الناس حمشاً شديداً ، يروى بالشين وبالسين ، فالمعنى بالسين غير معجمة فى هذا المـكان الشدة ، كأنه قال : يشدهم ويشجعهم ، لأنه يقال : رجل أحمس ، أى : شجاع شديد ، والمعنى فيه بالشين معجمة الإيقاد والإغضاب ، لأنه يقال أحمشت للنار أوقدتها وحمشت الرجل ، وأحمشته : أغضبته ، فيكون أفعلت من ذلك للإيقاد والإغضاب ، وفعلت للإغضاب .

حديث وحشى : قال فيه : فإذا شيخ كبير ، كالبغاث ، قال أبو عبيد : البغاث الطير الذى لا يصـــاد به مثل الرخم ، والحداء ، واحدتها بغاثة ، ويقال : بغاثى وجمعه بغاث وبغثان ، وقال ابن إسحاق فى رواية يونس عند ذكر البغاث ، البغاث هو ذكر الرخم إذا هرم اسود .

وقال وحشى لعبيد الله : ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية ، ولم يذكر اسمها ، وأم عبيد بن عدى هى أم قتال بنت أبى العيص بن أمية ذكرها البخارى فى هذا الخبر ، ولم يقل السعدية فهى إذن قرشية أموية لا سعدية إلا أن يريد بها مرضعته إن كانت سعدية ، وأما عبيد الله بن عدى ، فولد فى حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، وله دار بالمدينة عنـد دار على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يروى عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وغيره ، وله حديث فى الموطأ فى كتاب الصلاة .

وقوله : بذى طوى : موضع بمكة ، وقد قدمنا الفرق بينه وبين ذى طواء بالهمز والمد ، وبين طوى بالضم والقصر فأغنى عن إعادتها هنا .

وقول وحشى : يهذ الناس بسيفه ، ما يليق شيئاً ، مثل الجمل الأورق ، يريد - والله أعلم - ورقة الغبار ، وأنه قد نافع به إذا الأورق من الابل ليس بأقواها ، ولـكنه أطيبها لحما فيما ذكروا .

وقوله : يهذ الناس ، هو بالذال المنقوطة ، ذكره صاحب الدلائل، وفسره من الهذ وهى السرعة وأما الهذم بالميم ، فسرعة القطع ، يقال : سيف مهذم ، والهيذام : الـكثير الأكل ، وهو الشجاع أيضا ، وفى الحديث أكثروا: من ذكر هاذم اللذات ، يروى بالذال المنقوطة أى قاطعها ، ومما ذكر غير ابن إسحاق فى خبر وحشى ، قال : فخرجت حين قال لى سيدى ما قال ، فنظرت فإذا رجل عبعب عليه درع قضاء وإذا هو على ، فقلت له : ليس هذا من شأنى ، وإذا رجل حلابس ، أيهم غشمشم يهذ الناس، كأنه جمل أورق ، فـكمنت له إلى صخرة كأنها فسطاط،

. . . .

وقلت : هذا الذى أريد ، وهززت حربة لى عراصة ، فرميته بها ، فأصبت ثنته ، وذكر باقى الحديث . العبعب : الشاب، والدرع القضاء : المحكمة النسج، والأيهم : الذى لا يرده شىء . وفى الحديث: أعوذ بالله من شر الأيهمين، يعنى السيل والحريق ، والعراصة : التى تضطرب من اللين .

وقوله فى قتل مسيلمة : سبقنى إليه رجل من الأنصار ، وسيأتى ذكر مسيلمة ونسبه ، وطرف من حديثه فى آخر الكتاب . وأما الرجل الذى من الأنصار الذى ذكره وحشى ، ولم يسمه ابن إسحاق ، فذكر محمد بن عمر الواقدى ـ رحمه الله :فى كتاب الردة، أن الرجل الذى شارك وحشيا ، فى قتل مسيلمة هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى من الأنصار ، وذكر سيف بن عمر فى كتاب الفتوح أنه عدى بن سهل ، وأنشد له :

ألم تر أنى ووحشيهم قتلت مسيلمة المفتتن
ويسألنى الناس عن قتله فقلت : ضربت ، وهذا طعن

فى أبيات له ، وقد ذكرنا قبيل هذا الحديث : أن أبا دجانة أيضا شارك فى قتل مسيلمة ، وذكره أبو عمر النمرى ، والله أعلم أى هؤلاء الثلاثة أراد وحشى . وفى رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة فى إسلام وحشى ، قال : لما قدم المدينة ، قال الناس : يا رسول الله هذا وحشى ، فقال : دعوه فلإسلام رجل واحد أحب إلى من قتل ألف رجل كافر .

وذكر قول أبى سعد بن أبى طليحة : أنا قاصم من يبارزنى ، فبرز إليه على ، فقال أبو القصم بالقاف ، قاله ابن هشام ،وهو أصح ، وإنما قال على ـ عليه السلام أنا أبو القصم ، لقول أبى سعد أنا قاصم من يبارزنى ، فالقصم: جمع قصمة ، وهى العضلة المهلكة ، ويجوز أن يكون جمع القصمى ، أى : الداهية التى تقصم . والدواهى القصم على وزن الكبر ، وهذا المعنى أصح ؛ لأنه لا يعرف قصمة ، ولكنه لما قال أبو سعد أنا قاصم ، قال على : أنا أقصم منك ، بل أنا أبو القصم ، أى أبو المعضلات القصم والدواهى العظم ، والقصم كسر ببينونة ، والفصم : كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه ، وفى التنزيل : « وكم قصمنا من قريه » ، وفيه « لا انفصام لها » وقول ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص ، كذلك رواه الكشى فى تفسيره عن سعد ، قال لما كف عنه على طعنته فى حنجرته ، فدلع لسانه إلى ، كما يصنع الكلب ثم مات .

وذكر ابن إسحاق أيضا هذا فى غير رواية ابن هشام ، وقول على إنه اتقانى بعورته ، فأذكرنى الرحم ، فعطفتنى عليه الرحم ، وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بشر بن أرطاة ، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه . ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاصى ، مع على ـ رضى الله عنه ـ يوم صفين، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، رواه ابن الكلبى وغيره :

أفى كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه على سنانه ويضحك منه فى الخلاء معاويه

مقتل حنظلة غسيل الملائكة : فصل : وذكر مقتل حنظلة بن أبى عامر الغسيل ، واسم أبى عامر : عمرو ، وقيل عبد عمرو بن صيفى ، وذكر شداد بن الأسود بن شعوب حين قتله ، بعد ما كان علا حنظلة أبا سفيان ليقتله، وذكر الحميدى فى التفسير مكان شداد جعونة بن شعوب الليثى ، وهو مولى نافع بن أبى نعيم القارى،

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم ـ إن صاحبكم لتغسله الملائكة يعني : حنظلة ، وفي غير السيرة ، قال :

. . . . :

رأيت الملائكة تغسله فى صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض، قال ابن إسحاق ، فسئلت صاحبته ،فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة . صاحبته يعنى امرأته ، وهى جميلة بنت أبى بن سلول أخت عبد الله بن أبى، وكان ابتنى بها تلك الليلة ، فكانت عروساً عنده ، فرأت فى النوم تلك الليلة كأن باباً فى السماء فتح له فدخله ، ثم أغلق دونه ، فعلمت أنه ميت من غده ، فدعت رجالا من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع ، ذكره الواقدى فيما ذكر لى ، وذكر غيره أنه التمس فى القتلى ، فوجدوه يقطر رأسه ماء ، وليس بقربه ماء تصديقاً لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا الخبر متعلق لمن قال من الفقهاء إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً ، ومن الفقهاء من يقول لا يغسل كسائر الشهداء ، لأن التكليف ساقط عنه بالموت .

شعر أبى سفيان : وقول أبى سفيان :

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم　　　لدن غــدوة حتى دنت لغروب

يروى بخفض غدوة ،ونصبها ، فمن خفضه فإعرابه بين ، لأن لدن بمنزلة : عند ، لا يكون ما بعده إلا مخفوضاً ، وأما نصبه فغريب ، وشىء خصت العرب به غدوة ، ولا يقاس عليها ، وكثيراً ما يذكرها سيبويه ، ويمنع من القياس عليها ، وذلك أن لدن يقال فيها : لدن ولد ، فلما كانت تارة تنون ، ولا تنون أخرى ، شبهوها إذا نونت باسم الفاعل فنصبوا غدوة بعدها ، تشبيهاً بالمفعول ، ولولا أن غدوة تنون إذا نكرت ، وتنون ضرورة إذا كانت معرفة ما عرف نصبها لأنها اسم غير منصرف للعلمية والتأنيث ، فخفضها ونصبها سواء ، فإذا نونت للضرورة ، كما فى بيت أبى سفيان أو أردت غدوة من الغدوات تبين حينئذ أنهم قصدوا النصب والتشبيه بالمفعول ، ووجه آخر من البيان ، وهو أنهم قد رفعوها ، فقالوا : لدن غدوة غير مصروفة ، كما يرفع الاسم بعد اسم الفاعل إذا كان فاعلا وينصب إذا كان مفعولا إذا نون اسم الفاعل ، كذلك غدوة بعد لدن . لا يكون هذا فيها إلا إذا نونت لدن ، فإن قلت : لدغدوة ، لم يكن إلا الخفض إن نونتها ،وإن تركت صرفها للتعريف ، فالفتحة علامة خفضها . ولا تكون غدوة علماً إلا إذا أردتها ليوم بعينه، وبكرة مثلها فى العلمية ، وليست مثلها مع لدن وضحوة وعشية مصروفتان، وإن أردتهما ليوم بعينه . وقد فرغنا من كشف أسرار هذا الباب فى « نتائج الفكر » وأوضحنا هنالك بدائع وعجائب لم يبينها أحد إلا أنها منتزعة من فحوى كلام سيبويه ، ومن قواعده التى أصل ، والحمد لله .

وقول أبى سفيان فى هـذا الشعر : بهم خدب . الخـدب الهوج : وفى الجمهرة طعنة خدباء إذا هجمت على الجوف ، وهذا هو الذى أراد أبو سفيان بالخدب .

وأما قول حسان :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها　　　جداية شرك معلمات الحواجب

شرك : جمع شراك .

والجداية : جداية السرج ، على أن المعروف جدية السرج، لا جدايته فى أقرب من هذا المعنى أن يريد الجداية من الوحش ، وبالشرك الأشراك التى تنصب لها ، ولذلك قال داميات الحواجب . وهذا أصح فى معناه ، فقد ذكر أبو عبيد أن الجداية يقال للواحد والجميع والذكر والأنثى من أولاد الظباء ، ويبعد أن تكون الجداية جمع جدية ، وهى جدية السرج والرحل ، وإن كان قد يقال فى الجمع فعال وفعالة نحو جمال وجمالة ، ولكنه ها هنا بعيد من طريق المعنى والله اعلم .

ويروى شرك بكسر الشين ، وأقرب ما يقال فى معنى هذا البيت : أنه أراد الجداية من الوحش ؛ وهى أولاد الظباء ونحوها ، وقد ذكر أبو عبيد أنه يقال جداية للواحد والجمع والذكر والأنثى ، فيكون الشرك على هذا فى معنى الأشراك التى يصاد بها، وقد قيل: إن شركا اسم موضع، والله أعلم، وعضل قبيلة من خزيمة غادرة ، وسيأتى ذكر غدر عضل والقارة . وقوله : معلات الحواجب ، يعنى بالدماء ، ويجوز أن يريد سوادها ما بين أعينها ، كما أنشد سيبويه :

وكأنه لهق السراة كأنه ما حاجبيه معين بسواد

الصارخ بمقتل الرسول عليه السلام : فصل وذكر الصارخ يوم أحد بقتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقول ابن هشام: الصارخ إزب العقبة : هكذا قيد فى هذا الموضع بكسر الهمزة وسكون الزاى ، وذكرنا فى بيعة العقبة ما قاله ابن ماكولا فى أم كرز بنت الأزب بن عمرو بن بكيل ، وأنه قال : لا يعرف الأزب فى العرب إلا هذا ، وأزب العقبة ، وذكرنا حديث ابن الزبير الذى ذكره القتبى إذ رأى رجلا طوله شبران على برذعة رحله، فنفضها منه ، ثم عاد إليه ، فقال : ما أنت ؟ قال : أنا أزب ، قال وما أزب قال : رجل من الجن وذكر باقى الحديث ، ففى هذا الحديث ما يدل على أنه أزب مع قول يعقوب فى الألفاظ : الإزب : الرجل القصير ، والله أعلم هل الإزب : والأزب شيطان واحد أو اثنان ، ويقال : الموضع الذى صرخ منه الشيطان جبل عينين ، ولذلك قيل لعثمان رضى الله عنه: أفررت يوم عينين، وعينان أيضاً : بلد عند الحيرة ، وبه عرف خليد عينين الشاعر.

من رموا النبى عليه السلام : فصل: وذكر ابن قمئة ، واسمه عبد الله ـ وهو الذى قتل مصعب بن عمير ، وجرح وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعتبة بن أبى وقاص أخو سعد ، هو الذى كسر رباعيته ـ عليه السلام ـ ثم لم يولد من نسله ولد ، فبلغ الحلم إلا وهو أبخر أو أهتم يعرف ذلك فى عقبه .

ومن رماه يومئذ عبد الله بن شهاب جد شيخ مالك محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب ، وقد قيل لابن شهاب أكان جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدراً ؟ قال : نعم ، ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكفار ، وعبد الله هذا هو عبد الله الأصغر ، وأما عبد الله بن شهاب ، وهو عبد الله الأكبر ، فهو من مهاجرة الحبشة ، توفى بمكة قبل الهجرة، وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجر إلى أرض الحبشة ، فقيل: الأكبر، وقيل الأصغر ، وكان أحدهما جد الزهرى لأبيه ، والآخر لأمه ، وقد أسلم الذى شهد أحداً مع الكفار ، وجرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالله ينفعه بإسلامه .

أسماء أجزاء الليل : وذكر مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى من بنى خدرة ، وهو الحارث بن الخزرج ، والخدرة فى اللغة : نحو من خمس الليل، وبعده اليعفور، وهو خمس آخر من الليل ، وبعده الجهمة والسدفة ، والذى قبل الخدرة يقال له الهزيع ، كل هذا من كتاب كراع

من مص دم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذكر أن مالك بن سنان مص دم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وازدرده ، وقد فعل مثل ذلك ابن الزبير ، وهو غلام حزور حين أعطاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دم محاجمه ليدفنه فشربه . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ـ كما قال لمالك حين ازدرد دم جرحه : من مس دمه دمى ، لم تصبه النار . لكنه قال لابن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك ، ذكره الدارقطنى فى السنن ، وفى هذا من الفقه أن دم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخالف دم غيره فى التحريم وكذلك بوله قد

مقتل أمية بن خلف : فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول : أى محمد ، لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ؟ فلما دنا ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة يقول بعض القوم ، فيما ذكر لى فلما أخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة . تطايرنا عنه ، تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ـ قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ ـ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً .

قال ابن هشام : تدأدأ ، يقول : تقلب عن فرسه ، فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أبى بن خلف ، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة ، أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لقد ورث الضلاله عن أبيه — أبى يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظم — وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم — أمية إذ يغوث : يا عقيل
وتب ابنا ربيعة إذ أطاعا — أبا جهل ، لأمهما الهبول
وأفلت حارث لما شغلنا — بأسر القوم ، أسرته فليل

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته :

وقال حسان بن ثابت أيضاً فى ذلك :

ألا من مبلغ عنى أبياً — لقد ألقيت فى سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد — وتقسم أن قدرت مع النذور

شربته أم أيمن حين وجدته فى إناء من عيدان تحت سريره ، فلم ينكر ذلك عليها ، وذلك والله أعلم للمعنى الذى بيناه فى حديث نزول الملكين عليه حين غسلا جوفه بالثلج فى طست الذهب ، فصار بذلك من المتطهرين ، وبينا أيضاً هنالك أنه من المتطهرين كأمته المتطهره من الأحداث ، والحمد لله . إلا أن أبا عمر النمرى ذكر فى الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه : سالم حجم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ازدرد دمه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما علمت أن الدم كله حرام ؟! غير أنه حديث لا يعرف له إسناد والله أعلم وحديث ابن الزبير الذى تقدم ذكره روى الزبير بن أبى بكر ما يشده ويتمم معناه . قال فى حديث أسنده : لما ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو هو ، فلما سمعت بذلك أسماء أمه ، أمسكت عن إرضاعه ، فقال لها ـ عليه السلام : أرضعيه ، ولو بماء عينيك ، كبش بين ذئاب ، وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت ، أو ليقتلن دونه .

تمنيك الأمانى من بعيد ... وقول الكفر يرجع فى غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ ... كريم البيت ليس بذى فجور
له فضل على الأحياء طرآ ... إذا نابت ملمات الأمور

انتهاء الرسول إلى الشعب : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب ، حتى ملأ درقته ماء من المهراس ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجده له ريحاً ، فعافه، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من رمى وجه نبيه .

ابن أبى وقاص يحرص على قتل عتبة : قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان ما علمت لسيىء الخلق مبغضاً فى قومه ، ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله .

عمر يصعد إلى قريش الجبل : قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل

قال ابن هشام : كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

معاونة طلحة للرسول : قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشعب .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً

مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب : قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنقى ، دون الأعوص

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : لا أبالك ، ما تنتظر ؟ فو الله لا بقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار ، إنما نحن هامة اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله

يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا فى الناس ، ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى . فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا . قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ،فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذاك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأتى به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا بن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا فى الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ؟ بجنة من حرمل ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقاً : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال، كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو ، يقال له قزمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر ، قال: بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته ، فقتل به نفسه .

قتل مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق ، وكان أحد بنى ثعلبة بن الفطيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم .

فأخذ سيفه وعدته ، وقال: إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتل معه حتى قتل : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - مخيريق خير يهود .

الحارث بن سويد : قال ابن إسحاق . وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقا ، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس ، عدا على المجذر بن ذياد البلوى ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، فقتلهما: ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ،ففاته ،فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى ، عن ابن عباس : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم، وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يهدى القوم الظالمين » إلى آخر القصة

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم : أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن زياد ، ولم يقتل قيس ابن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد ، وإنما قتل المجذر لأن المجذر بن زياد كان قتل أباه سويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة، وعليه ثوبان مضرجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فضرب عنقه، ويقال: بعض الأنصار.

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة ، فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث .

أمر أصيرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان ، مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة قال : كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول ، أصيرم ، بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : فقلت لمحمود ابن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بدا له فى الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل فى عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال : فبينا رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هـذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أم رغبة فى الإسلام ، ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفى : فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

عمرو بن الجموح : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة: عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد .

هند وتمثيلها بحمزة : قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثنى صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر ... ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى ... شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى ... حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ، فقالت :

خزيت فى بدر وبعـد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... ملهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى ... حمزة ليثى وعلى صقرى
إذا رام شيب وأبوك غدرى ... فخضبا منه ضواحى النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شفيت من حمزة نفسى بأحد — حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ماكنت أجد — من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب برد — تقدم إقداماً عليكم كالأسد

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كيسان أنه حدث : أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يابن الفريعة - قال ابن هشام : الفريعة بنت خالد بن خنيس ، ويقال : خنيس : ابن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ماتقول هند ، وأريت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ماصنعت بحمزة؟ قال له حسان : والله إنى لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارع - يعنى أطمة - فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهى بسلاح العرب، وكأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى ، لكن أسمعنى بعض قولها أكفكوها ، قال : فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت ، فقال حسان بن ثابت :

أشرت لكاع وكان عادتها — لؤماً إذا أشرت مع الكفر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتاً أيضاً له على الدال . وأبياتاً أخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقد كان الحليس بن زبان، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مر بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عقق ، فقال الحليس : يابنى كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترون لحماً ؟ فقال : ويحك ! اكتمها عنى ، فإنها كانت زلة .

أبو سفيان يشمت بالمسلمين : ثم إن أبا سفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ، أعل هبل ، أى : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم ياعمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء ، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار . فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلم إلى ياعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ائته فانظر ماشأنه ، فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر ، لقول ابن قمئة لهم : إنى قد قتلت محمداً .

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبد الله .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثل ، والله مارضيت ، وما سخطت ، وما نهيت ، وما أمرت .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم . هو بيننا وبينكم موعد .

على يخرج فى آثار قريش : ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : اخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل، وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ،

ثم لا نناجزهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة.

سعد بن الربيع : وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني، أخو بني النجار: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات، قال: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره.

قال ابن هشام: وحدثني أبو بكر الزبيري: أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال هذه بنت رجل خير مني، سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدراً، واستشهد يوم أحد.

الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلة : قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه.

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً! ماوقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا! ثم قال: جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب.

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول أصحابه: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله، ولاتحزن عليهم، ولاتك في ضيق مما يمكرون»، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، قال: ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مقسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجي ببردة ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتي بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة.

قال ابن إسحاق : وقد أقبلت فيما بلغنى ، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها ، لاترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خل سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

دفن الشهداء : قال : فزعم لى آل عبد الله بن جحش ـ وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حمزة خاله ، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة ، إلا أنه لم يبقر عن كبده ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ولم أسمع ذلك إلى عن أهله .

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صرعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير العذرى ، حليف بنى زهرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه مامن جريح يجرح فى الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك ، وانظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر ـ وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد .

قال : وحدثنى عمى موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : مامن جريح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد .

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمنة بنت جحش ، كما ذكر لى ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة ابن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج المرأة منها لبمكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لابواكى له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة ، مروهن فلينصرفن .

المرأة الدينارية : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

لقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعلة الجرمي :

ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

غسل السيوف : قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وناولها علي بن أبي طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة .

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعلي بن أبي طالب : لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

غزوة حمراء الاسد

قال : فلما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو . فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد الله ابن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه . وإنما خرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

قال ابن إسحاق . فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبد الأشهل . كان شهد أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، معبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صفقتهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكرن على بقيتهم ، فلنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ، قال : ويحك ! ما تقول : قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم : قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، قال : والله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تهد من الأصوات راحلتى	إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة	عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت : ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تغطمطت البطحاء بالخيل
إنى نذير لأهل البسل ضاحية	لكل ذى إربة منهم ومعقول

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب

برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ؛ فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة، ليستأصل بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حربوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو بحمراء الأسد ، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : والذى نفسى بيده ، لقد سومت لهم حجارة ، لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة ابن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره ببدر ؛ ثم من عليه ، فقال : يا رسول الله ، أقلنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير. فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعثهما النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه.

شأن عبد الله بن أبى بعد غزوة أحد : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبى بن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر ، شرفاً له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ؛ فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره . فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال مالك ؟ ويلك ! قال : قمت أشدد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى ، لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره ، قال ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى .

تمحيص المؤمنين يوم أحد : قال ابن إسحاق : كان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر فى قلبه . ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

. . . .

قتل الرسول لأبى بن خلف

فصل : وذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى ، وفيه : تطاير نا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير . الشعراء : ذباب صغير له لدغ ، تقول العرب فى أمثالها : قيل للذئب : ما تقول فى غنيمة تحرسها جويرية ؟ قال : شحيمة فى حلقى ، قيل : فما تقول فى غنيمة يحرسها غلام ؟ قال : شعراء فى إبطى أخشى خطواته الخطوات : سهام من قضبان لينة يتعلم بها الغلمان الرمى وهى الجماح أيضاً قال الشاعر :

أصابت حبة القلب بسهم غير جماح

من كتاب أبى حنيفة ، ورواه القتبى : تطاير الشعر ، وقال : هى جمع شعراء ، وهى ذباب أصغر من القمع ، ولى الحديث من غير رواية ابن إسحاق فزجله بالحربة ، أى رماه بها .

عين قتادة : وذكر قتادة بن النعمان بن زيد ، وهو أخو أبى سعيد الخدرى لأمه ، وهو الرجل الذى سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ : قل هو الله أحد ، يرددها ، فقال وجبت ، وحديثه فى الموطأ ، وذكر أن عينه أصيبت يوم أحد ، روى عن جابر بن عبد الله ، قال: أصيبت عين رجل منا يوم أحد ، وهو قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته ، فأتينا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقـــال : إن لى امرأة أحبها ، وأخشى إن رأتنى أن تقذرنى ، فأخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، وردها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسبه جمالا ، فكانت أحسن عينيه ، وأحدهما نظراً ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى ، وقد وفد على عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ رجل من ذريته ، فسأله عمر من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ماخد

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر ، وأحسن جائزته ، وقد روى أن عينيه جميعاً سقطتا ، فردهما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه محمد بن أبى عثمان عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يوم أحد ، فسقطتا على وجنتى ، فأتيت بهما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأعادهما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانهما ، وبصق فيهما ، فعادتا تبرقان ، قال الدارقطنى : هذا الحديث غريب عن مالك ، تفرد به عمار بن نصر ، وهو ثقة ورواه الدارقطنى عن إبراهيم الحربى عن عمار بن نصر .

أنساب ولغة : فصل : وذكر ثابت بن وقش ، والوقش : الحركة ، وحسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان ، وسمى حسيل بن جابر اليمانى ، لأنه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة بن عبس ، وكان جروة قد بعد عن أهله فى اليمن زمناً طويلا ، ثم رجع إليهم فسموه اليمانى ، وحذيفة بن اليمان يكنى أبا عبد الله حليف بنى عبد الأشهل أمه الرباب بنت كعب . قال ابن إسحاق : فاختلفت عليه : يعنى اليمانى أسياف المسلمين . وفى تفسير ابن عباس : أن الذى قتله منهم خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود ، وجد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه ، ذكره عبد بن حميد فى التفسير ، وعتبة هو أول من سمى المصحف مصحفاً ، فيما روى ابن وهب فى الجامع .

. . . .

وقول ثابت بن وقش وحسيل : إنما نحن هامة اليوم أو غد ، يريد : الموت ، وكان من مذهب العرب فى الميت أن روحه تصير هامة ، ولذلك قال الآخر :

وكيف حياة أصداء وهام

وقوله : لم يبق من عمرنا إلا ظمء حمار . إنما قال ذلك ، لأن الحمار أقصر الدواب ظمئاً ، والإبل أطولها أظماء .

وذكر قزمان ، وهو اسم مأخوذ من القزم ، وهو رذال المال ، ويقال : القزمان الردىء من كل شىء .

وذكر الأصيرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، ويقال فيه وقش بتحريك القاف .

وقول حاطب المنافق : الجنة من حرمل ، يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل أى : ليس له جنة إلا ذاك .

فصل : وذكر خبر عمرو بن الجموح حين أراد بنوه أن يمنعوه من الخروج إلى آخر القصة ، وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال : اللهم لا تردنى ، فاستشهد ، فجعله بنوه على بعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه .

فصل : وقول هند بنت أثاثة :

مل هاشميين الطوال الزهر

بحذف النون من حرف من لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز ذلك إلا فى من وحدها لكثرة استعمالها ، كما خصت نونها بالفتح إذا التقت مع لام التعريف ، ولا يجوز ذلك فى نون ساكنة غيرها ، كرهوا توالى الكسرتين مع توالى الاستعمال ، فإن التقت مع ساكن غير لام التعريف نحو من ابنك ، ومن اسمك ، كسرت على الأصل ، والقياس المستتب . قال سيبويه : وقد فتحها قوم فصحاء يعنى مع غير لام التعريف .

وقول حسان فى هند : أشرت لكاع ، جعله اسماً لها فى غير النداء ، وذلك جائز ، وإن كان فى النداء أكثر ، نحو يا غدار ويا فساق ، وكذلك لكع ، قد استعمل فى غير النداء ، نحو قوله عليه السلام : أين لكع يعنى : الحسن أو الحسين ممازحاً لهما . فإن قيل : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فكيف يقول : أين لكع وقد سماه سيداً فى حديث آخر ؟ فالجواب : أنه أراد التشبيه باللكع الذى هو الفلو أو المهر لأنه طفل كما أن الفلو والمهر كذلك ، وإذا قصد بالكلام قصد التشبيه ، لم يكن كذباً ، ونحو قوله عليه السلام : لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس فى الدنيا لكع بن لكع ، واللكع فى اللغة : وسخ الغرلة ، وهو أيضاً الفلو الصغير ، فمن أجل هذا جاز أن يستعمل فى غير النداء ، لأنه على هذا الوجه غير معدول كما عدل خبث عن خبيث ، وفسق عن فاسق ، وقال ابن الأنبارى فى الزاهر : اشتقاقه من الملاكع ، وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرحم ودمها ، وأنشد :

رمت الفلاة بمعجل متسربل غرس السلى وملاكع الأمشاج

قال : ويقال فى الواحد يالكع ، وفى الاثنين ياذوى لكيعة ولكاعة ، ولا تصرف لكيعة ، ولكن تصرف لكاعة لأنه مصدر وفى الجميع - ياذوى لكيعة ولكاعة وفى المؤنث على هذا القياس .

قال المؤلف : ولا يقال يالكعان ، ولا فسقان ، لسر شرحناه فى غير هذا الكتاب . وتلخيص معناه : أن العرب قصدت بهذا النبأ فى النداء قصد العلم ، لأن الاسم العلم أزم للمسمى من الوصف المشتق من الفعل نحو فاسق وغادر ، كما قالوا عمر ، وعدلوا عن عامر الذى هو وصف فى الأصل تحقيقاً منهم للعلمية ، ثم إن الاسم العلم لا يثنى ولا يجمع وهو علم ، فإذا ثنى زال عنه تعريف العلمية ، فمن أجل ذلك لم يثنوا يا فسق ويا غدر ، لأن فى ذلك نقضاً لما قصدوه من تنزيله منزلة الاسم العلم ، أى : إنه مستحق لأن يسمى بهذا الاسم ، فهذا أبلغ من أن يقولوا : يافاسق ، فيجيئوا بالاسم ، الذى يجرى مجرى الفعل والفعل غير لازم ، والعلم أزم منه ، والتثنية والجمع تبطل العلمية كما ذكرنا فافهمه ، ووقع فى الموطأ من رواية يحى فى حديث عبد الله بن عمر أنه قال لمولاة له : اقعدى لكع ، وقد عيبت هذه الرواية على يحى ، لأن المرأة إنما يقال لها : لكاع ، وقد وجدت الحديث كما رواه يحى فى كتاب الدارقطنى ، ووجهه فى العربية أنه منقول غير معدول لجاز أن يقال للأمة يالكع كما يقال لها إذا سبت : يا زيل ويا وسخ إذ اللكع ضرب من الوسخ ، كما قدمناه وهو فى كتاب العين .

الرسول يسأل عن الربيع : فصل : وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديث . الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدى ، وذكر أنه نادى فى القتلى : يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، حتى قال يا سعد إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلنى أنظر ما صنعت ، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف ، وذكر الحديث ، وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر فى كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبدالرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى هو أبى بن كعب .

حميد الطويل : وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم - فى النهى عن المثلة ، وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن تيرى يكنى أبا حميدة مولى طلحة الطلحات ، وهو حديث صحيح فى النهى عن المثلة . فإن قيل : فقد مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وتركهم بالحرة .

قلنا : فى ذلك جوابان : أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدى الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم ، روى ذلك فى حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المثلة . فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا عطشاً ، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة ، روى فى حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقى وأهله تلك الليلة بلا لبن ، قال : اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك . وقع هذا فى شرح ابن بطال ، وقد خرجه النسوى .

حول الصلاة على الشهداء : وروى ابن إسحاق عمن لا يتهم عن مقسم عن ابن عباس ان النبى - صلى الله عليه وسلم - صلى على حمزة ، وعلى شهداء يوم أحد ، ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعى لوجهين : أحدهما ضعف إسناد هـذا الحديث ، فإن ابن إسحاق قال : حدثنى من لا أتهم ، يعنى : الحسن بن عمارة - فيما ذكروا - ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يرونه شيئاً ، وإن كان الذى قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه ،

. . . .

والوجه الثانى : أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولايروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى مدة الخليفتين إلاأن يكون الشهيد مرتثا من المعركة ، وأما ترك غسله ، فقدأجمعوا عليه ، وإن اختلفوا فى الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين ،والمعنى فى ذلك - والله أعلم - تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه : « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً » الآية مع أن فى ترك غسله معنى آخر ، وهو أن دمه أثر عبادة ، وهو يجىء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً وريحه ريح المسك ، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء ، وهو قول الزهرى ، قال الزهرى : وبلغنى أنه يوزن ، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشى للصائم لئلا يذهب خلوف فمه ، وهو أثر عبادة ، وجاء فيه ما جاء فى دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك ، ويروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم باللفظين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهية للسواك بالعشى للصائم عن على وأبى هريرة ، ذكر ذلك الدارقطنى .

عبد الله بن جحش : وذكر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة ، وأنه مثل به كما مثل بحمزة ، وعبد الله هذا يعرف بالمجدع فى الله ، لأنه جدع أنفه وأذناه يومئذ ، وكان سعد بن أبى وقاص يحدث أنه لقيه يوم أحد أول النهار ، فخلا به ، وقال له عبد الله : ياسعد هلم فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه،وليؤمن الآخر، قال سعد : فدعوت الله أن ألقى فارساً شديداً بأسه شديداً حرده من المشركين ، فأقتله ، وآخذ سلبه ، فقال عبدالله آمين ثم استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال اللهم لقنى اليوم فارساً شديداً بأسه شديداً حرده ، يقتلنى ويجدع أنفى وأذنى ، فإذا لقيتك غداً تقول لى : ياعبدى : فيم جدع أنفك وأذناك ، فأقول : فيك يارب ، وفى رسولك ، فتقول لى : صدقت ، قل ياسعد : آمين قال فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلا مجدوع الأنف والأذنين ، وأن أذنيه وأنفه معلقان بخيط ولقيت أنا فلاناً من المشركين ، فقتلته ، وأخذت سلبه ، وذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرجوناً ، فعاد فى يده سيفاً ، فقاتل به ، فكان يسمى ذلك السيف العرجون ، ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغاء التركى بمائتى دينار ، ، وهذا نحو من حديث عكاشة الذى تقدم إلا أن سيف عكاشة ، كان يسمى العون،وكانت قصة عكاشة يوم بدر ، وكان الذى قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الأخنس بن شريق وكان عبد الله حين قتل ابن بضع وأربعين سنة ، فيما ذكروا ودفن مع حمزة فى قبر واحد .

عمر وأبو سفيان : فصل : ومما وقع فى هذه الغزوة من الكلم الذى يسأل عنه قول أبى سفيان حين قال : اعل هبل ، أى زد علوا ، ثم قال : أنعمت ، فعال ، قالوا : معناه الأزلام ، وكان استقسم بها حين خرج إلى أحد فخرج الذى يحب وقوله : فعال : أمر أى عال عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : اعل عنى ، وعال عنى بمعنى : أى ارتفع عنى ، ودعنى . ويروى أن الزبير قال لأبى سفيان يوم الفتح : أين قولك : أنعمت ، فعال ؟ فقال : قد صنع الله خيراً ، وذهب أمر الجاهلية .

وقول عمر لاسواء ، أى لانحن سواء ولايجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لازيد قائم ، ولا عمرو خارج ، ولكنه جاز فى هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفى الفعل ، أى لا يستوى ، كما جاز لا نولك ، أى : لاينبغى لك ، وقد بينا هذا فى أول الكتاب حيث تكلمنا على قوله :

فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

أول وقف فى الاسلام : ومما يليق ذكره بهذه الغزاة حديث مخيريق ، وهو أحد بنى النضير ، وقوله : إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، فأصيب يوم أحد ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين انصرف ماله أوقافاً ، وهو أول حبس حبس فى الإسلام ، روى ذلك عن محمد بن كعب القرظى ، وقال الزهرى : كانت سبع حوائط ، وأسماؤها : الأعراف ، والاعواف والصافية والدلال وبرقة ، وحسنى ومشربة أم إبراهيم ، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم ، لأنها كانت تسكنها ، وقد ذكر ابن إسحاق حديث مخيريق،وهذا الذى ذكرناه تكملة له ، وزيادة فائدة فيه .

وذكر : لا سيف إلا ذو الفقار ، بفتح الفاء جمع فقارة ، وإن قيل ذو الفقار بالكسر ، فهو جمع فقرة ، وقد تقدم شرحه . ووقع فى غير هذه الرواية أن ريحاً هبت يوم أحد ، فسمعوا قائلا يقول :

لا سيف إلا ذو الفقار   ولافتى إلا على

فى أبيات ذكرها،وذكر ابن إسحاق أيضاً من غير رواية البكائى قول على لفاطمة حين غسلت سيفه من الدم.

أفاطم هاتى السيف غير ذميم   فلست برعديد ولا بلئيم

غزوة حمراء الاسد

قصيدة معبد الخزاعى : ذكر شعر معبد الخزاعى وفيه :

إذا تغطمطت البطحاء بالخيل

لفظ مستعار من الغطمة ، وهو صوت غليان القدر .

قوله بالخيل جعل الردف حرف لين ، والأبيات كلها مردفة الروى بحرف مد ولين ، وهذا هو السناد الذى بيناه أول الكتاب عند قول ابن إسحاق فسوند بين القبائل ، ونظيره قول عمرو بن كلثوم .

ألا هبى بصحنك فاصبحينا

ثم قال :   تصفقها الرياح إذا جرينا

وتسمية هذا سناد عربية لاصناعية ، قال عدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينها   حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف فى كعوب قناته   كيما يقيم ثقافه منآدها

وقوله : لاتنابلة . التنابلة : القصار ، وأحدهم : تنبال ، تفعال من النبل ، وهى صغار الحصى .

أبو عزة الجمحى : وذكر أبا عزة ، وكان الذى أسره عمير بن عبد الله ، كذا ذكر بعضهم ، وأحسبه عبد الله بن عمير أحد بنى خدارة ، أو عبد الله بن عمير الخطمى ومن خبر أبى عزة ما ذكر الزبير عن ابن جعدبة والضحاك بن عثمان . والجعدبة فى اللغة واحدة الجعادب ، وهى النفاخات التى تكون فى الماء . قالا : برص أبو عزة الجمحى ، فكانت قريش لا تؤاكله ولاتجالسه فقال الموت خير من هذا ، فأخذ حديدة ،ودخل بعض شعاب

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ،فيها صفةما كان فى يومهم ذلك ، ومعاتبة من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم » .

قال ابن هشام : تبوىء المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكميت بن زيد :

ليتنى كنت قبله قد تبوأت مضجعا

وهذا البيت فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ،عليم بما تخفون

« إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » : أن تتخاذلا ، والطائفتان :بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ،وبنو حارثة ابن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : « والله وليهما » :أى المدافع عنهما ماهمتا به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك فى دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان ما نحب أنا لم نهم بما هممنا به ، لتولى الله إيانا فى ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » : أى من كان به ضعف من المؤمنين

مكة فطعن بها فى معده ، والمعد موضع عقب الراكب من الدابة ، وقال ابن جعدبة : فارت الحديدة وقال الضحاك : بين الجلد والصفاق فسال منه أصفر فبرىء ، فقال :

اللهم رب وائل ونهد والتهمات والجبال الجرد

ورب من يرعى بأرض نجد أصبحت عبداً لك وابن عبد

أبرأتنى من وضح بجلد من بعد ماطعنت فى معدى

رسالة أبى سفيان : وذكر إرسال أبى سفيان مع الركب بالوعيد ، وكان الموصل مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، كذلك جاء فى التفسير .

قول عبد الله بن أبى : وذكر قول عبد الله بن أبى حين أخرج من المسجد : لكأنما قلت بجراً . البجر : الأمر العظيم والبجارى : الدواهى ، وفى وصية أبى بكر : ياهادى الطريق جرت ، إنما هو الفجر أو البجر قال الخطابى معناه الداهية .

وذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية قول النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلى أحد :ياليتنى غودرت مع أصحاب نحص الجبل . نحص الجبل أسفله ، قاله صاحب العين .

فليتوكل على ، وليستعن بى ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدفع عنه ، وأقويه على نيته . « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » : أى فاتقونى ، فإنه شكر نعمتى . « ولقد نصركم الله ببدر » وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ٭ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » : أى إن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن هشام : مسومين : معلمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض ؛ فأما ابن إسحاق فقال: كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عز وجل : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » : أى علامتهم . و « حجارة من سجيل منضود٭ مسومة » يقول: معلمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال: عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب ، قال رؤبة بن العجاج :

فالآن تبلى بى الجياد السهم ولا تجارينى إذا ما سوموا
وشخصت أبصارهم وأجذموا

وهذه الأبيات فى أرجوزة له : والمسومة أيضاً المرعية ، وفى كتاب الله تعالى : « والخيل المسومة » و « شجر فيه تسيمون » ، تقول العرب : سوم خيله وإبله ؛ وأسامها : إذا رعاها ، قال الكميت بن زيد :

راعياً كان مسجحاً ففقدنا ٭ وفقد المسيم هلك السوام

قال ابن هشام . مسجحا : سلس السياسه محسن إلى الغنم ، وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما جعله الله إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » : أى ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتى إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسلطانى وقدرتى ، وذلك أن العز والحكم إلى ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » : أى ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردهم خائبين : أى ويرجع من بقى منهم فلا خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمهم أشد الغم ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرمة :

ما أنس من شجن لا أنس موقفنا فى حيرة بين مسرور ومكبوت

ويكبتهم أيضا : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون » : أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى، فإن شئت فعلت : أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى « فإنهم ظالمون » : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى « والله غفور رحيم » ، أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » ، أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم « واتقوا الله لعلكم تفلحون » : أى فأطيعوا الله

لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واتقوا النـار التى أعدت للكافرين » : أى التى جعلت داراً لمن كفر بى .

ثم قال : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » معاتبة للذين عصوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى : « الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ، « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهى الله عنها ، وما حرم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلوا به فى كفرهم ، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى . « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » : أى ثواب المطيعين .

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم ، والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم . وتعريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » : أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مثلات قد مضت منى فيهم ، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإنى أمليت لهم : أى لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى للدولة التى أدلتهم بها عليكم ، ليبتليكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى « وهـدى وموعظة » : أى نور وأدب « للمتقين » أى من أطاعنى وعرف أمرى ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا » : أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم ، « وأنتم الأعلون » أى لكم تكون العاقبة والظهور « إن كنتم مؤمنين » : أى إن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » : أى جراح مثلها « وتلك الأيام نداولها بين الناس » : أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين » : أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة « والله لا يحب الظالمين » : أى المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية « وليمحص الله الذين آمنوا » أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صبرهم ويقينهم « ويمحق الكافرين » : أى يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به .

ثم قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبة فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » يقول :

« فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » : أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدهم عنكم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين» : أى لقول الناس : قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوهم « أفإن مات أو قتل » رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، « ومن ينقلب على عقبيه » : أى يرجع عن دينه « فلن يضر الله شيئاً » : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، « وسيجزى الله الشاكرين » : أى من أطاعه وعمل بأمره .

ثم قال : «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا » : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان . « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته منها ما قسم له من رزق ، ولا يعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعد به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دنياه ، وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

ثم قال : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين » : أى وكأين من نبى أصابه القتل ، ومعه ربيون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا لفقد نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر والله يحب الصابرين « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » .

قال ابن هشام : واحد : الربيين : ربى ، وقولهم : الرباب ، لولد عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس ، ولضبة لأنهم تجمعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرباب : ربة وهى جماعات قداح أو عصى ونحوها ، فشبهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلى :

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أمية بن أبى الصلت :

حول شياطينهم أبابيل ربيون شدوا سنوراً مدسوراً

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة أيضا الخرقة التى تلف فيها القداح .

قال ابن هشام : والسنور : الدروع والدسر : هى المسامير التى فى الحلق، يقول الله عز وجل « وحملناه على ذات ألواح ودسر » .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخزر الحمانى ، من تميم :

دسراً بأطراف القنا المقوم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ،

وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقد قتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » أى عن عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، فان كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه . « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » : أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبى صلى الله عليه وسلم . « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » أى وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أى القتل ، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحس : الاستئصال : يقال : حسست الشىء : أى استأصلته بالسيوف وغيره . قال جرير :

تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار فى الأجم الحصيد

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبه بن العجاج :

إذا شكونا سنة حسوسا تأكل بعد الأخضر اليبيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : « حتى إذا فشلتم » : أى تخاذلتم « وتنازعتم فى الأمر » أى اختلفتم فى أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » : أى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، « منكم من يريد الدنيا » : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « ومنكم من يريد الآخرة » : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضلى عليكم ، وكذلك « من الله على المؤمنين » أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يدعون لا يعطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال : « إذ تصعدون

. . . .

ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأثابكم ، غما بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » : أى كرباً بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم ؛ ليكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، من ظهوركم على عدوكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم « والله خبير بما تعملون » . وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ، أن الله عز وجل ردعنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ؟ إن قل الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم ما يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » فأنزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل لو كنتم فى بيوتكم » لم تحضروا هذا الموطن الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم « لبرز » لأخرج « الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم « وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » : أى لا يخفى عليه ما فى صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت ، والله بما تعملون بصير » : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضرب فى الأرض فى طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » لقلة اليقين بربهم ، « والله يحيى ويميت » : أى ويعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » : أى إن الموت لكائن لا بد منه ، فموت فى سبيل الله ، أو قتل خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد ، ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة فى الآخرة « ولئن متم أو قتلتم » أى ذلك كان « لإلى الله تحشرون » : أى أن إلى الله المرجع ، فلا تغرنكم الدنيا ، ولا تغتروا بها وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا « غليظ القلب لانفضوا من حولك » : أى لتركوك فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى

كل ماخالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعف عنهم » أى تجاوز عنهم ، « واستغفر لهم » ذنوبهم، من قارف من أهل الايمان منهم « وشاورهم فى الأمر »: أى لتريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألفاً لهم بذلك على دينهم « فإذا عزمت » : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لايصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ماأمرت به ، على خلاف من خلافك ، وموافقة من وافقك ، « وتوكل على الله » ، أى ارض به من العباد ، « إن الله يحب المتوكلين ٥ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، « وعلى الله » لاعلى الناس ، « فليتوكل المؤمنون » .

ثم قال : « وما كان لنبى أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » : أى ما كان لنبى أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ، غير مظلوم ولامعتدى عليه « أفمن اتبع رضوان الله » على ما أحب الناس أو سخطوا « كمن باء بسخط من الله » لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى ، فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان « مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون » لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار :أى إن الله لايخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

ثم قال : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » : أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم ، فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، لتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته « وإن كنتم من قبل لفى ضلال مبين » : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لاتعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ، صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم . إن الله على كل شىء قدير » أى إن تك قدأصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسرآ ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم « إن الله على كل شىء قدير » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير « وماأصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين » : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، « وليعلم الذين نافقوا » منكم أى ليظهر مافيهم : « وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أوادفعوا » يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكنا لانظن أنه يكون قتال . فأظهر

. . . .

منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم . يقول الله عز وجل : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواهم ماليس فى قلوبهم » أى يظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم « والله أعلم بما يكتمون » أى ما يخفون « الذين قالوا لإخوانهم » الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : « لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » : أى إنه لابد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، حرصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغب المؤمنين فى الجهاد ، ويهون عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » : أى لا تظنن الذين قتلوا فى الله أمواتاً : أى قد أحييتهم : فهم عندى يرزقون فى روح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أى ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن . يقول الله تعالى : « يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب

مصير قتلى أحد : قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : « ولا تحسبن . . . »

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، فى قبة خضراء ، يخرج رزقهم من الجنة بكرة وعشيا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعة فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم إطلاعة ، فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . قال : ثم يطلع عليهم إطلاعة ، فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا نبى الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله عز وجل ، ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب ، أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

. . . .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل فى سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ۝ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عز وجل ، « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم « إنما ذلكم الشيطان » ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يخوف أولياءه » : أى يرهبكم بأوليائه : « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ۝ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » : أى المنافقون « إنهم لن يضروا الله شيئاً ، يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ، ولهم عذاب أليم ۝ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مبين ۝ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » : أى المنافقين « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » أى فيما يريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء » أى يعلمه ذلك « فآمنوا بالله ورسله ، وإن تؤمنوا وتتقوا » أى ترجعوا وتتوبوا « فلكم أجر عظيم » .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ، قتله وحشى ، غلام جبير بن مطعم .

ومن بنى أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير ، قتله ابن قمئة الليثى .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان ، أربعة نفر

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن .

قال ابن هشام : السكن : ابن رافع بن امرىء القيس ، ويقال : السكن .

قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتاً قتل يومئذ ، ورفاعة بن وقش ، وحسيل ابن جابر ، أبو حذيفة وهو اليمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه ، وصيفى بن قيظى ، وحباب بن قيظى ، وعباد بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، اثنا عشر رجلا .

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جشم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان

وحبيب بن يزيد بن تيم . ثلاثة نفر .

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، رجل .

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وحنظلة بن أبى عامر بن صيفى بن نعمان بن مالك بن أمة ؛ وهو غسيل الملائكة ، قتلة شداد بن الأسود بن شعوب الليثى ، رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنس بن قتادة ، رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حية ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه

قال ابن هشام : أبو حية : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة ، رجلان .

ومن بنى السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خيثمة أبو سعد بن خيثمة ، رجل .

ومن حلفائهم من بنى العجلان : عبد الله بن سلمة ، رجل .

ومن بنى معاوية بن مالك : سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة ، رجل .

قال ابن هشام : ويقال : سويبق بن الحارث بن حاطب بن هيشة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ، ثم من بنى سواد بن مالك بن غنى : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابن زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، أربعة نفر .

ومن بنى مبذول : أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مطرف ابن علقمة بن عمرو ، رجلان .

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر ، رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار : أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار ، رجل

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لهم ، رجلان .

ومن بنى دينار بن النجار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، رجلان

ومن بنى الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبى زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير . دفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ، ثلاثة نفر .

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خدرة : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخدرى .

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرى : سنان ، ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن معاوية بن عبيد ابن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، ثلاثة نفر .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن فروة بن البدى ، رجلان .

ومن بنى طريف ، رهط سعد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة ، حليف لهم من بنى جهينة ، رجلان .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل ابن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ، والمجذر بن ذياد ، حليف لهم من بلى ، وعبادة بن الحسحاس .

دفن النعمان بن مالك ، والمجذر ، وعبادة فى قبر واحد ، خمسة نفر .

ومن بنى الحبلى : رفاعة بن عمرو ، رجل .

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام ، عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد ابن حرام ، دفنا فى قبر واحد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح . أربعة نفر .

ومن بنى سواد بن غنم ، سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين ، ثلاثة نفر .

ومن بنى رزيق بن عامر : ذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لوذان ، رجلان .

قال ابن هشام : عبيد بن المعلى ، من بنى حبيب .

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلا .

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى معاوية ابن مالك : مالك بن نميلة ، حليف لهم من مزينة .

ومن بنى خطمة ـ واسم خطمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس ـ الحارث بن عدى بن خرشة بن أمية ابن عامر بن خطمة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك : مالك بن إياس .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار : إياس بن عدى .
ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة : عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب ، وأبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة ، قتلهما قزمان ، حليف لبنى ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان ، وصؤاب : غلام له حبشى ، قتله قزمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن ابى وقاص ، ويقال : أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان . أحد عشر رجلا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد . قتله على بن أبى طالب . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على ابن أبى طالب ، وسباع بن عبد العزى ـ واسم عبد العزى : عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى ـ حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله قزمان ، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قزمان ، وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ؛ قتله قزمان . أربعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وأبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلان .

ومن بنى عامر بن لؤى : عبيدة بن جابر ، وشيبة بن مالك بن المضرب ، قتلهما قزمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

تفسير ما نزل من القرآن فى احد

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارىء السيره من تفسير ذلك ، وذكر قوله سبحانه « ليس لك من الأمر

. . . .

شىء أو يتوب عليهم » الآية لم يزد على مافى الكتاب منه وفى تفسير الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى ، حتى أنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم » قال فتابوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيداً بالشام ، وأما عمرو بن العاصى ، فقد قال فيه النبى عليه السلام : أسلم الناس وآمن عمرو ، وقال فى حديث جرى : ما كانت هجرتى للمال ، وإنما كانت لله ورسوله ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعما بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلا صالحاً ، والحديث الذى جرى : أنه كان قال له إنى أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه ، ويغنمك ، وأزعب لك زعبة من المال ، وستأتى نكت وعيون من أخبار الحارث ، وأبى سفيان ـ فيما بعد ـ إن شاء الله .

وذكر قوله سبحانه : « ويتخذ منكم شهداء » وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبيه على حب الله إياهم حيث قال : « ويتخذ منكم شهداء » ولا يقال : اتخذت ولا أتخذ إلا فى مصطفى محبوب ، قال سبحانه : «ما اتخذ الله من ولد » وقال : «ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً » فالاتخاذ إنما هو افتناء واجتباء ، وهو افتعال من الأخذ ، فإذا قلت :اتخذت كذا . فمعناه : أخذته لنفسى ، واخترته لها ، فالتاء الأولى بدل من ياء ، وتلك الياء بدل من همزة أخذت ، فقلبت تاء إذ كانت الواو تنقلب تاء فى مثل هذا البناء ، نحو اتعد واتزر والياء أخت الواو ، فقلبت فى هذا الموضع تاء ، وكثر استعمالهم لهذه الكلمة ، حتى قالوا . تخذت بحذف إحدى التاءين اكتفاء بأحديهما عن الأخرى ، ولا يكون هذا الحذف إلا فى الماضى خاصة . ولا يقال تتخذ كما يقال تخذ ، لأن المستقبل ليس فيه همزة وصل ، وإنما فروا فى الماضى من ثقل الهمزة فى الابتداء ، واستغنوا بحركة التاء عنها ، وكسروا الخاء من تخذت لأنه لا مستقبل له مع الحذف ، فحركوا عين الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل . وكلامنا هذا على اللغة المشهورة ، وإلا فقد حكى يتخذ فى لغة ضعيفه ذكرها أبو عبيد ، وذكرها النحاس فى إعراب القرآن .

وذكر قوله سبحانه « أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » إلى قوله : « وسيجزى الله الشاكرين » ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسمى : أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : «وسيجزى الله الشاكرين » دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد ، وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه إياهم على الشكر ـ والشكر لا يكون إلا على نعمه ـ دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : « قل للمخلفين من الأعراب » فيه أيضاً : التصحيح لخلافة أبى بكر ، لأنه الذى دعا الأعراب إلى جهاد حنيفة ، وكانوا أولى بأس شديد ، ولم يقاتلوا الجزية ، وإنما قوتلوا ليسلموا ، وكان قتالهم بأمر أبى بكر ، وفى سلطانه ، ثم قال : « فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً » فأوجب عليهم الطاعة لأبى بكر ، فكان فى الآية كالنص على خلافته .

وكذلك قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكانوا مع الصادقين » وقد بين فى سورة الحشر من الصادقون

. . . .

وهم المهاجرون بقوله : « أولئك هم الصادقون » فأمر الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يكونوا معهم ، أى : تبعاً لهم فحصلت الخلافة فى الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولم يكن فى الصادقين من سماه الله الصديق إلا أبو بكر ، فكانت له خاصة ، ثم للصادقين بعده .

وذكر قوله تعالى : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير » ارتفع ربيون على تفسير ابن إسحاق بالابتداء ، والجملة فى موضع الحال من الضمير فى قتل ، وهذا أصح التفسيرين ، لأنه قال : فما وهنوا لما أصابهم ، ولو كانوا هم المقتولين ماقال فيهم : ما وهنوا لما أصابهم أى : ما ضعفوا ، وقد يخرج أيضاً قول من قال : ربيون مفعول لم يسم فاعله بقتل على أن يكون معنى قوله : فما وهنوا أى ما وهن الباقون منهم ، لما أصيبوا به من قتل إخوانهم ، وهذا وجه ، ولكن سبب نزول الآية يدل على صحة التفسير الأول .

وقوله : ربيون ، وهم الجماعات فى قول أهل اللغة ، وقال ابن مسعود : ربيون ألوف ، وقال أبان بن تغلب الربى عشرة آلاف .

وقوله تعالى : « فأثابكم غما بغم » وعلى : تفسير ابن إسحاق غما بعد غم الباء متعلقة بمحذوف ، التقدير : غم مقرون بغم ، وعلى تفسير آخر متعلقة بأثابكم ، أى أثابكم غما بما غممتم نبيه حين خالفتم أمره .

وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة ، وفى الخبر : لقد رأيت خدم هند وصواحبها ، وهن مشمرات فى الحرب والخدم : الخلاخيل ، وكذلك قوله حين ذكر هنداً ، وأنها اتخذت من آذان الشهداء وآنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا ، معناه : الخلاخل أيضاً .

وقوله سبحانه : « لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا » فى صحيح التفسير أن عتاب بن قشير هو قائل هذه المقالة ، وكان منبوذاً بالنفاق .

وقوله « يظنون بالله غير الحق » أى : يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه .

وقوله « ظن الجاهلية » أى : أهل الجاهلية كأبى سفيان وأصحابه .

وذكر قوله : « وشاورهم فى الأمر » وفسره ، وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : نزلت فى أبى بكر وعمر أمر بمشاورتهما .

وذكر قوله : « وما كان لنبى أن يغل » وفسره أن يكتم ما أنزل الله ، وأكثر المفسرين يقولون : نزلت فى الغلول ، وفى بعض الآثار أنهم فقدوا قطيفة من المغنم ، فقال قائل : لعل النبى - صلى الله عليه وسلم - أخذها ، فأنزل الله الآية ، ومن قرأ يغل بضم الياء ، وفتح العين فمعناه أن يلفى غالا ، تقول : أجبنت الرجل إذا ألفيته جباناً ، وكذلك أغللته : إذا وجدته غالا ، وقد قال عمرو بن معديكرب لبنى سليم : قاتلناكم ، فما أجبناكم ، وسألناكم فما أبخلناكم . وتفسير ابن إسحاق خارج عن مقتضى اللغة فمن كتم فقد غل أى : ستر ، وكذلك من خان فى شىء وأخذه خفية ، فقد ستره وكتمه ، وأصل الكلمة : الستر والإخفاء ، ومنه الغلالة والغلل للماء

. . . .

الذى يغطيه الشجر والنبات ، وقد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض المغازى بإحراق متاع الغال ، وأخذت به طائفة من الفقهاء ، منهم أحمد وإسحاق .

فصل : وذكر قوله سبحانه : « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله » الآيات وهؤلاء سماهم الله شهداء بقوله : « ويتخذ منكم شهداء » وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة ، فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود ، أى مشهود عليه ، ومشهود له بالجنة ، أما مشهود عليه فلأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وقف على قتلى أحد ، قال : هؤلاء الذين أشهد عليهم ، أى : أشهد عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ، لأن المعنى: أجىء يوم القيامة شهيداً عليهم ، وهى ولاية وقيادة ، فوصلت بحرف على ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعيلا بمعنى فاعل ، لأن الله تعالى يقول : « وتكونوا شهداء على الناس » أى : تشهدون عليهم ، وهذا ، وإن كان عاماً فى جميع أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالشهداء أولى بهذا الاسم ، إذهم تبع للصديقين والنبيين . قال الله سبحانه : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء » فهذان وجهان فى معنى الشهيد ، إذا جعلته مشتقا من الشهادة ، وإن كان من المشاهدة ، فهو فعيل بمعنى : فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من ملكوت الله ، ويعاين من ملائكته مالا يشاهد غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مفعول ، وهو من المشاهدة ؛ أى : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والعروج بروحه ، ونحو ذلك ، فيكون فعيلا بمعنى مفعول . وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعيلا بمعنى مفعول ، ويكون معناه مشهودا له بالجنة ، أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شهيد عليهم ، أى : قيم عليهم بالشهادة لهم ، وإذا حشروا تحت لوائه ، فهو وال عليهم ، وإن كان شاهدا لهم ، فن هاهنا اتصل الفعل بعلى ، فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر ، ومن وجه آخر من العربية ، وهو أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذكر الشهداء قال : والمرأة تموت بجمع شهيد ، ولم يقل شهيدة ، وفى رواية أخرى قال : والنفساء شهيد يجرها جنينها بسرره إلى الجنة ، ولم يقل : شهيدة وفعيل إذا كان صفة لمؤنث كان بغير هاء إذا كان بمعنى مفعول ، نحو امرأة قتيل وجريح ، وإن كان بمعنى فاعل ، كان بالهاء كقولهم : امرأة عليمة ورحيمة ، ونحو ذلك ، فدل على أن الشهيد مشهود له ، ومشهود عليه ، وهذا استقراء من اللغة صحيح ، واستنباط من الحديث بديع ، فقف عليه .

وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس المرفوع : وفيه أن الله جعل أرواحهم فى أجواف طير خضر ، وعن قتادة قال : ذكر لنا أن أرواح الشهداء تتعارف عند السدرة فى أجواف طير بيض ، وقد أنكر هذه الرواية قوم ، وقالوا : لايكون روحان فى جسد واحد ، وإن ذلك محال ، وهذا جهل بالحقائق ، فإن معنى الكلام بين، فإن روح الشهيد الذى كان فى جسده فى الدنيا : يجعل فى جسد آخر كأنه صورة طائر . فيكون فى هذا الجسد الآخر ، كما كان فى الأول ، إلى أن يعيده الله يوم القيامة كما خلقه ، وهذه الرواية لاتعارض ما رووه من قوله: فى صور طير خضر ، والشهداء طير خضر ، وجميع الروايات كلها متفقة المعنى ، وإنما الذى يستحيل فى العقل قيام حياتين بجوهر واحد ، فيحيا الجوهر بهما جميعاً ، وأما روحان فى جسد فليس بمحال إذا لم نقل بتداخل الأجسام ، فهذا الجنين فى بطن أمه وروحه غير روحها ، وقد اشتمل عليهما جسد واحد وهذا أن لو قيل لهم : إن الطائر له روح غير روح الشهيد ، وهما فى جسد واحد ، فكيف ، وإنما قال : فى أجواف طير خضر ، أى صورة طير خضر ، كما تقول : رأيت ملكا فى صورة إنسان ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نسمة المؤمن طائر

. . . .

يعلق فى ثمر الجنة تأوله بعضهم مخصوصاً بالشهيد ، وقال بعضهم : إنما الشهيد فى الجنة يأكل منها حيث شاء ، ثم يأوى إلى قناديل معلقة فى العرش ، وغير الشهيد ، من المؤمنين نسمته ، أى : روحه طائر ، لا أن روحه جعل فى جوف طائر ، ليأكل ويشرب ، كما فعل بالشهيد لكن الروح نفسه طائر يعلق بشجر الجنة ، يعلق بفتح اللام ينشب بها ، ويرى مقعده منها ، ومن رواه : يعلق فمعناه يصيب العلقة ، أى ينال منها ما هو دون نيل الشهيد ، فضرب العلقة مثلا ، لأن من أصاب العلقة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ممن أدرك الرغد ، فهو مثل مضروب يفهم منه هذا المعنى .

وإن كان أراد بيعلق الأكل نفسه ، فهو مخصوص بالشهيد ، فتكون رواية من رواه بالضم للشهداء، ورواية الفتح لمن دونهم ، فالله أعلم بما أراد رسوله من ذلك .

وقوله ثم تأوى إلى قناديل يصدقه قوله تعالى عز وجل : « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » وإنما تأوى إلى تلك القناديل ليلا وتسرح نهاراً ، فتعلم بذلك الليل من النهار ، وبعد دخول الجنة فى الآخرة ، لا تأوى إلى تلك القناديل – والله أعلم – وإنما ذلك مدة البرزخ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث . وقال مجاهد : الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها ، وقد أنكر أبو عمر قول مجاهد ، ورده وليس بمنكر عندى ، ويشهد له ماوقع فى مسند ابن أبى شيبة وغيره عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال الشهداء بنهر أو على نهر يقال له : بارق عند باب الجنة فى قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا ، فهذا يبين ما أراد مجاهد ، والله أعلم.

ومما وقع فى السيرة أيضاً ، ولم يذكره ابن هشام حديث رواه ابن إسحاق ، قال حدثنى إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة قال : حدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : الشهداء ثلاثة ، فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله ، لا يريد أن يقتل ولا يقتل أتاه سهم غرب فأصابه ، قال : فأول قطرة تقطر من دمه ، يغفر الله بها ما تقدم من ذنبه ، ثم يهبط الله إليه جسداً من السماء ، فيجعل فيه روحه ، ثم يصعد به إلى الله ، فما يمر بسماء من السماوات إلا شيعته الملائكة ، حتى ينتهى به إلى الله ، فإذا انتهى به إليه وقع ساجداً ، ثم يؤمر به فيكسى سبعين زوجاً من الإستبرق ، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان وحدث كعب الأحبار عن قول – رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقال كعب الأحبار : أجل كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان ، ثم يقول : اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء ، فاجعلوه معهم ، فيؤتى به إليهم فى قبة خضراء فى روضة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغدائهم ، فيلعبانهم ! حتى إذا كثر عجبهم منها طعن الثور الحوت بقرنه ، فبقره لهم عما يدعون . ثم يروحان عليهم لعشائهم ، فيلعبانهم ، حتى إذا كثر عجبهم منهما ضرب الحوت الثور بذنبه فبقره لهم عما يدعون ، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوا الراكب يقدم عليكم بلادكم ، فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقول : أفلس ، فيقولون : فما أهلك ماله فو الله إن كان لكيساً جموعاً تاجراً ! فيقال لهم : إنا لا نعد الفلس ما تعدون ، وإنما نعد الفلس من الأعمال ، فما فعل فلان وامرأته فلانه ؟ فيقول : طلقها ، فيقولون : فما الذى نزل بينهما ، حتى طلقها فو الله إن كان بها لمعجباً ؟ فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون : مات أيهات قبل بزمان ، فيقولون : هلك والله ما سمعنا له بذكر ، إن لله طريقين ، أحدهما : علينا ، والآخر : يخالف بها عنا ، فإذا أراد الله بعبد خيراً أمر به علينا ، فعرفناه ، وعرفنا متى مات ، وإذا أراد الله بعبد شرا خولف به عنا ، فلم نسمع له بذكر ، هلك والله فلان ، فإن هذا لأدنى الشهداء عند الله منزلة ، وإن

. . . .

الآخر رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله يحب أن يقتل ، ولا يقتل ، أتاه سهم غرب فأصابه ،فذلك رفيق إبراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يحك ركبتاه ركبتيه ، وأفضل الشهداء : رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله يحب أن يقتل وأن يقتل ، وقاتل حتى قتل قعصاً فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهراً سيفه ، يتمنى على الله ، لا يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . . . وقع فى هذا الحديث ذكر الحوت ولعبه مع الثور وقد خرجه هناد بن السرى بإسناد حسن فى كتاب الرقاق له بأكثر مما وقع هاهنا ، وفى الصحيحين منه ذكر أكل أهل الجنة من كبد الحوت أول ما يأكلون ، ثم ينحر لهم ثور الجنة ، وفى هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار أن الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض ، وهو حيوان سابح ليستشعر أهل هذه الدار أنهم فى منزل قلعة، وليس بدار قرار، فإذا نحر لهم ، قبل أن يدخلوا الجنة ، فأكلوا من كبده ، كان ذلك إشعار لهم بالراحة من دار الزوال ، وأنهم قد صاروا إلى دار القرار ، كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط ، وهو صورة الموت ليستشعروا أن لاموت ، وأما الثور فهو آله الحرث ، وأهل الدنيا لايخلون من أحد الحرثين ، حرث لدنياهم ، وحرث لأخراهم ، ففى نحر الثور لهم هنالك إشعار بإراحتهم من الكدين وترفيهم من نصب الحرثين ، فاعتبر ، والله المستعان .

نسب عبيد بن التيهان : فصل : وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أحد عبيد بن التيهان . واسم التيهان : مالك ، ولم يرفع نسبه ، وكذلك فعل فى هذا النسب حيث وقع فى هذا الكتاب ، وهو نسب مختلف فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أبى الهيثم ، وذكرنا الخلاف فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك : ولا مثل أضياف الأراشى معشرا

يعنى : أبا الهيثم ، فجعله إرشيا ، وليست إراشة من الأنصار ، ونسبه موسى بن عقبة فى جماعة معه إلى بلى، وقالوا هو حليف الأنصار ، وليست من أنفسهم ، وقال ابن إسحاق والواقدى فى المستشهد يوم أحد : عبيد بن التيهان، وقال ابن عقبة ، وأبو معشر ، وابن عمارة : هو عتيك بن التيهان .

أبو حبة أو أبو حنة : وذكر فيهم أبا حبة الأنصارى البدرى ، وقال ابن هشام أبو حنة بن ثابت بالنون ، وكذلك قال الواقدى ، قال : ليس فيمن شهد يوم بدر من اسمه أبو حبة بالباء .وكذلك روى موسى بن عقبة عن ابن شهاب : أبو حنة بالنون شهد بدراً ، واستشهد يوم أحد ، وهو من الأوس ، واسمه ثابت ، وقيل : عمرو ابن ثابت ، والاختلاف فى اسمه ، وفى كنيته كثير . وأما أبو حبة المستشهد يوم اليمامة ، فهو أبو حبة بن غزية بالباء المنقوطه بواحدة من أسفل ، ولم يخالف فى ذلك إلا من لايؤبه بقوله ، واسمه : زيدبن غزية بن عمرو ، وهو من الخزرج ، والأول من الأوس ، وقد قيل فى الأول : أبو حية بياء معجمة باثنتين فالله أعلم .

وحنة بالنون : دير حنة معروف بالشام ، وحنة أم مريم بنت عمران،وخنة بخاء منقوطة بنت يحيى بن أكثم القاضى ، وهى أم محمد بن نصر المروزى الفقيه وجنة بالجيم لايعرف إلا أبو جنة خال ذى الرمة الشاعر ، قاله ابن ماكولا .

عبد الله بن سلمة : وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبد الله بن سلمة العجلانى ، بفتح اللام تقيد فى الأصل ، وفى الأصول الصحاح من رواية ابن هشام ، وذكره الدارقطنى فى باب سلمة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عمر أيضا أنها رواية إبراهيم بن سعد ، والله أعلم .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أحد ، قول هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم :

ما بال هم عميد بات يطرقنى ... بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبنى هند وتعذلنى ... والحرب قد شغلت عنى مواليها
مهلا فلا تعذلينى إن من خلقى ... ماقد علمت وما إن لست أخفيها
مساعف لبنى كعب بما كلفوا ... حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحى فوق مشترف ... ساط سبوح إذا تجرى يباريها
كأنه إذ جرى عير بفدفدة ... مكدم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندى له ... كجذع شعراء مستعل مراقيها
أعددته ورقاق الحد منتخلا ... ومارناً لخطوب قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النهى محكمة ... نيطت على فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذى يمن ... عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا ؟ ... قلنا : النخيل ، فأموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أحد ... هابت معد فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضراباً وطعناً صادقاً خذماً ... مما يرون وقد ضمت قواصيها
ثمت رحنا كأنا عارض برد ... وقام هام بنى النجار يبكيها
كأن هامهم عند الوغى فلق ... من قيض ربد نفته عن أداحيها
أو حنظل ذعذعته الريح فى غصن ... بال تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سحا لا حساب له ... ونطعن الخيل شزرا فى مآقيها
وليلة يصطلى بالفرث جازرها ... يختص بالنقرى المثرين داعيها
وليلة من جمادى ذات أندية ... جربا جمادية قد بت أسريها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... من القريس ولا تسرى أفاعيها
أوقدت فيها لذى الضراء جاحمة ... كالبرق ذاكية الأركان أحميها
أورثنى ذاكم عمرو ووالده ... من قبله كان بالمثنى يغاليها
كانوا يبارون أنواء النجوم فما ... دنت عن السورة العليا مساعيها

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم ... إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية ... فالنار موعدها ، والقتل لاقيها
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب ... أئمة الكفر غرتكم طواغيها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت ... أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن ... وجز ناصية كنا مواليها

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك .

قال ابن هشام : وبيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

وليلة يصطلى بالفرث جازرها ... يختص بالنقرى المثرين داعيها

يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكلاب الهذلى ، فى أبيات لها فى غير يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب أيضاً :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم ... من الأرض خرق سيره متنعنع
صحار وأعلام كأن قتامها ... من البعد نقع هامد متقطع
تظل به البزل العراميس رزحاً ... ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليبها ... كما لاح كتان التجار الموضع
به العين والآرام يمشين خلفة ... وبيض نعام قيضه يتقلع
مجالدنا عن ديننا كل فخمة ... مذربة فيها القوانس تلمع
وكل صموت فى الصوان كأنها ... إذا لبست نهى من الماء مترع
ولكن ببدر سائلوا من لقيتم ... من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها ... سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا
إذا جاء منا راكب كان قوله ... أعدوا لما يزجى ابن حرب ويجمع
فمهما يهم الناس مما يكيدنا ... فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ ... برية قد أعطوا يداً وتوزعوا
نجالد لاتبقى علينا قبيلة ... من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا ... علام إذا لم تمنع العرض نزرع ؟
وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لانتطلع
تدلى عليه الروح مع عند ربه ... ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا ... إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقرباً ... إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا ... على الله إن الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرة فى رحالهم ... ضحيا علينا البيض لانتخشع
بملمومة فيها السنور والقنا ... إذا ضربوا أقدامها لاتورع
فجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ... ثلاث مئين إن كثرنا وأربع

نغاورهم تجرى المنية بيننا نشارعهم خوض المنايا ونشرع
نهادى قسى النبع فينا وفيهم وما هو إلا اليثربى المقطع
ومنجوفة حرمية صاعدية يذر عليها السم ساعة تصنع
تصوب بأبدان الرجال وتارة تمر بأعراض البصار تقعقع
وخيل تراها بالفضاء كأنها جراد صبا فى قرة يتربع
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى وليس لأمر حمه الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراتهم كأنهم بالقاع خشب مصرع
لدن غدوة حتى استفقنا عشية كأن ذكانا حر نار تلفع
وراحوا سراعاً موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا أسود على لحم ببيشة ظلع
فنلنا ونال القوم منا وربما فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
ودارت رحانا واستدارت رحاهم وقد جعلوا كل من الشر يشبع
ونحن أناس لا نرى القتل سبة على كل من يحمى الذمار ويمنع
جلاد على ريب الحوادث لا نرى على هالك عيناً لنا الدهر تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشىء نقوله ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش ولا نحن من أظفارها نتوجع
وكنا شهاباً يتقى الناس حره ويفرج عنه من يليه ويسفع
فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك فى عليا معد وغيرها من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخراً ومن خده يوم الكريهة أضرع
شددنا بحول الله والنصر شدة عليكم وأطراف الأسنة شرع
تكر القنا فيكم كأن فروعها عزالى مزاد ماؤها يتهزع
عمدنا إلى اهل اللواء ومن يطر بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا أبى الله إلا أمره وهو أصنع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ، فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

قال ابن إسحاق ، وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد :

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل

والعطيات خساس بينهم وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغن حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة وأكف قد أترت ورجل
وسرابيل حسان سريت عن كماة أهلكوا فى المنزل
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع غير ملتاث لدى وقع الأسل
فسل المهراس من ساكنة ؟ بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها واستحر القتل فى عبد الأشل
ثم خفوا عند ذا كم رقصاً رقص الحفان يعلو فى الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم عللا تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، قال :

ذهبت يابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول
نضع الأسياف فى أكتافكم حيث نهوى عللا بعد نهل
نخرج الأصبح من أستاهكم كسلاح النيب يأكلن العصل
إذ تولون على أعقابكم هربا فى الشعب أشباه الرسل
إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل
بخناطيل كأشراف الملا من يلاقوه من الناس يهل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه وملأنا الفرط منه والرجل
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا فى قريش عورة يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقا شاهد يوم بدر والتنابيل الهبل
فى قريش من جموع جمعوا مثل ما يجمع فى الخصب الهمل
نحن لا أمثالكم ولد استها نحضر الناس إذا البأس نزل

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد الأنصارى : « وأحاديث المثل » والبيت الذى قبله ، وقوله : « فى قريش من جموع جموعها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين :

نشجت وهل لك من منشج ... وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم أتانى لهم ... أحاديث فى الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق ... من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم فى جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء ... لواء الرسول بذى الأضوج
غداة أجابت بأسيافها ... جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا ... على الحق ذى النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة ... ويمضون فى القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك ... إلى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء ... على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفى صادقاً ... بذى هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بنى نوفل ... يبربر كالجمل الأدعج
فأوجره حربة كالشهاب ... تلهب فى اللهب الموهج
ونعمان أوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يحنج
عن الحق حتى غدت روحه ... إلى منزل فاخر الزبرج
أولئك لا من ثوى منكم ... من النار فى الدرك المرتج

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى ، فقال :

أيجزع كعب لأشياعه ... ويبكى من الزمن الأعوج
عجيج المذكى رأى إلفه ... تروح فى صادر محنج
فراح الروايا وغادرنه ... يعجعج قسراً ولم يحدج
فقولا لكعب يثنى البكا ... وللنىء من لحمه ينضج
لمصرع إخوانه فى مكر ... من الخيل ذى قسطل مرهج
فياليت عمراً وأشياعه ... وعتبة فى جمعنا السورج
فيشفوا النفوس بأوتارها ... بقتلى أصيبت من الخزرج
وقتلى من الأوس فى معرك ... أصيبوا جميعاً بذى الأضوج
ومقتل حمزة تحت اللواء ... بمطرد ، مارن ، مخلج
وحيث انثنى مصعب ثاوياً ... بضربة ذى هبة سلجج

بأحــد وأسيافنا فيهم تلهب كاللهب الموهج
غداة لقيناكم فى الحديد كأسد البراح فلم تعنج
بكل مجلحة كالعقاب وأجرد ذى ميعة مسرج
فدسناهم ثم حتى انثنوا سوى زاهق النفس أو محرج

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار ، وقوله كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد ، يبكى القتلى :

ألا ذرفت من مقلتيك دموع وقد بان من حبل الشباب قطوع
وشط بمن تهوى المزار وفرقت نوى الحى دار بالحبيب فجوع
وليس لما ولى على ذى حرارة وإن طال تذراف الدموع رجوع
فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك أحاديث قومى والحديث يشيع
ومجنبنا جرداً إلى أهل يثرب عناجج منها متلد ونزيع
عشية سرنا فى لهام يقودنا ضرور الأعادى للصديق نفوع
نشد علينا كل زغف كأنها غدير بضوج الواديين نقيع
فلما رأونا خالطتهم مهابة وعاينهم أمر هناك فظيع
وودوا لوان الأرض ينشق ظهرها بهم وصبور القوم ثم جزوع
وقد عريت بيض كأن وميضها حريق ترقى فى الأباء سريع
بأيماننا نعلو بها كل هامة ومنها سمام للعدو ذريع
فغادرن قتلى الأوس غاصبة بهم ضباع وطير يعتفين وقوع
وجمع بنى النجار فى كل تلعة بأبدانهم من وقعهن نجيع
ولولا علو الشعب غادرن أحمدا ولكن علا والسمهرى شروع
كما غادرت فى الكر حمزة ثاوياً وفى صدره ماضى الشباة وقيع
ونعمان قد غادرن تحت لوائه على لحمه طير يجفن وقوع
بأحد وأرماح الكماة يردنهم كما غال أشطان الدلاء نزوع

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشاقك من أم الوليد ربوع بلاقع ما من أهلهن جميع
عفاهن صيفى الرياح وواكف من الدلو رجاف السحاب هموع
فلم يبق إلا موقد النار حوله رواكد أمثال الحمام كنوع
فدع ذكر دار بددت بين أهلها نوى لمتينات الحبائل قطوع
وقل إن يكن يوم بأحد يعده سفيه فإن الحق سوف يشيع

فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم ... وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وصابروا ... وما كان منهم فى اللقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه ... لهم ناصر من ربهم وشفيع
وفوا إذا كفرتم ياسخين بربكم ... ولا يستوى عبد وفى ومضيع
بأيديهم بيض إذا حمش الوغى ... فلا بد أن يردى لهن صريع
كما غادرت فى النقع عتبة ثاوياً ... وسعداً صريعاً والوشيج شروع
وقد غادرت تحت العجاجة مسنداً ... أبياً وقد بل القميص نجيع
بكف رسول الله حيث تنصبت ... على القوم مما قد يثرن نقوع
أولئك قوم سادة من فروعكم ... وفى كل قوم سادة وفروع
بهن نعز الله حتى يعزنا ... وإن كان أمر ياسخين فظيع
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم ... قتيل ثوى لله وهو مطيع
فإن جنان الخلد منزلة له ... وأمر الذى يقضى الأمور سريع
وقتلاكم فى النار أفضل رزقهم ... حميم معاً فى جوفها وصريع

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبعرى وقوله : « ماضى الشباة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص يوم أحد :

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا ... مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا ... لدى جنب سلع والأمانى تصدق
فما راعهم بالشر إلا فجاءة ... كراديس خيل فى الأزقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا ... ودون القباب اليوم ضرب محرق
وكانت قباباً أومنت قبل ما ترى ... إذا رامها قوم أبيحوا وأحنقوا
كأن رؤوس الخزرجيين غدوة ... وأيمانهم بالمشرفية بروق

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلغنا فهراً على نأى دارها ... وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب ... صبرنا ورايات المنية تخفق
صبرنا لهم والصبر منا سجية ... إذا طارت الأبرام نسمو ونرتق
على عادة تلكم جرينا بصبرنا ... وقدماً لدى الغايات نجرى فنسبق
لنا حومة لا تستطاع يقودها ... نبى أتى بالحق عف مصدق
ألا هل أتى أفناء فهر بن مالك ... مقطع أطراف وهام مفاق

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب :

إنى وجدك لولا مقدمى فرسى ... إذ جالت الخيل بين الجزع والقاع

مازال منكم بجنب الجزع من أحد ... أصوات هام تزاقى أمرها شاعى
وفارس قد أصاب السيف مفرقه ... أفلاق هامته كفروة الراعى
إنى وجدك لا أنفك منتطقاً ... بصارم مثل لون الملح قطاع
على رحالة ملواح مشابرة ... نحو الصريخ إذا ما ثوب الداعى
وما انتميت إلى خور ولا كشف ... ولا لئام غداة البأس أوراع
بل ضاربين حبيك البيض إذ لحقوا ... شم العرانين عند الموت لذاع
شم بهاليل مسترخ حمائلهم ... يسعون للموت سعياً غير دعداع

وقال ضرار بن الخطاب أيضاً :

لما أتت من بنى كعب مزينة ... والخزرجية فيها البيض تأتلق
وجردوا مشرفيات مهندة ... وراية كجناح النسر تختفق
فقلت يوم بأيام ومعركة ... تنبى لما خلفها ما هزهز الورق
قد عودوا كل يوم أن تكون لهم ... ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
خيرت نفسى على ما كان من وحل ... منها وأيقنت أن المجد مستبق
أكرهت مهرى حتى خاض غمرتهم ... وبله من نجيع عانك علق
فظل مهرى وسربالى جسيدهما ... نفخ العروق رشاش الطعن والورق
أيقنت أنى مقيم فى ديارهم ... حتى يفارق ما فى جوفه الحدق
لا تجزعوا يابنى مخزوم إن لكم ... مثل المغيرة فيكم ما به زهق
صبراً فدى لكم أمى وما ولدت ... تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

وقال عمرو بن العاصى :

لما رأيت الحرب ينـــزو شرها بالرضف نزوا
وتناولت شهباء تلحـــو الناس بالضراء لحوا
أيقنت أن الموت حق والحياة تكون لغوا
حملت أثوابى عـلى عتد يبذ الخيل رهوا
سلس إذا نكبن فى الـــبيداء يعلو الطرف علواً
وإذا تنزل ماؤه من عطفه يزداد زهواً
ربذ كيعفور الصريـــمة راعه الرامون دحوا
شنج نساه ضابط للخيل إرخاء وعدوا
ففدى لهم أمى غدا ة الروع إذ يمشون قطوا
سيراً إلى كبش الكتيـــبة إذ جلته الشمس جلوا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

. . . .

أبلغ قريشاً وخير القول أصدقه ... والصدق عند ذوى الألباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم ... أهل اللواء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد ... فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا ... والقتل فى الحق عند الله تفضيل
وإن تروا أمرنا فى رأيكم سفها ... فرأى من خالف الاسلام تضليل
فلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا ... إن أخا الحرب أصدى اللون مشغول
إن لكم عندنا ضرباً تراح له ... عرج الضباع له خذم رعابيل
إنا بنو الحرب نمريها وننتجها ... وعندنا لذوى الأضغان تنكيل
إن ينج منها ابن حرب بعدما بلغت ... منه التراقى ، وأمر الله مفعول
فقد أفادت له حلماً وموعظة ... لمن يكون له لب ومعقول
ولو هبطتم ببطن السيل كافحكم ... ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل
تلقاكم عصب حول النبى لهم ... مما يعدون للهيجا سرابيل
من جذم غسان مسترخ حمائلهم ... لا جبناء ولا ميل معازيل
يمشون تحت عمايات القتال كما ... تمشى المصاعبة الأدم المراسيل
أو مثل مشى أسود الظل ألثقها ... يوم رذاذ من الجوزاء مشمول
فى كل سابغة كالنهى محكمة ... قيامها فلج كالسيف بهلول
ترد حد قرام النبل خاسئة ... ويرجع السيف عنها وهو مفلول
ولو قذفتم بسلع عن ظهوركم ... وللحياة ودفع الموت تأجيل
ما زال فى القوم وتر منكم أبداً ... تعفو السلام عليه وهو مطلول
عبد وحر كريم موثق قنصاً ... شطر المدينة مأسور ومقتول
كنا نؤمل أخراكم فأعجلكم ... منا فوارس لا عزل ولا ميل
إذا جنى فيهم الجانى فقد علموا ... حقاً بأن الذى قد جر محمول
ما نحن لا نحن من إثم مجاهرة ... ولا ملوم ولا فى الغرم مخذول

وقال حسان بن ثابت ، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

— قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل —

منع النوم بالعشاء الهموم ... وخيال إذا تغور النجوم
من حبيب أضاف قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم
يا لقومى هل يقتل المرء مثلى ... واهن البطش والعظام سؤوم
لو يدب الحولى من ولد الذ ... ر عليها لأندبتها الكلوم
شأنها العطر والفراش ويعلو ... ها لجين ولؤلؤ منظوم
لم تفتها شمس النهار بشىء ... غير أن الشباب ليس يدوم
إن خالى خطيب جابية الجو ... لان عند النعمان حين يقوم

وأنا الصقر عند باب ابن سلمى | يوم نعمان فى الكبول سقيم
وأبى وواقد أطلقا لى | يوم راحا وكبلهم مخطوم
ورهنت اليدين عنهم جميعا | كل كف جزء لها مقسوم
وسطت نسبتى الذوائب منهم | كل دار فيها أب لى عظيم
وأبى فى سميحة القائل الفا | صل يوم التقت عليه الخصوم
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى | خامل فى صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم الما | ل وجهل غطا عليه النعيم
إن دهراً يبور فيه ذوو العـلـم لدهر هو العتو الزنيم
لا تسبنى فلست بسبى | إن سبى من الرجال الكريم
ما أبالى أنب بالحزن تيس | أم لحانى بظهر غيب لئيم
ولى البأس منكم إذ رحلتم | أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت | فى رعاع من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعاً | فى مقام وكلهم مذموم
بدم عانك وكان حفاظاً | أن يقيموا إن الكريم كريم
وأقاموا حتى أزيروا شعوباً | والقنـــا فى نحورهم محطوم
وقريش تفر منا لواذاً | أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم | إنما يحمل اللواء النجوم

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلا ، فدعا قومه . فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح ، فلا ترووها عنى .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمى يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ويذكر قتله طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب لواء المشركين يوم أحد :

لله أى مذبب عن حرمة | أعنى ابن فاطمة المعم المخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة | تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم | بالجر إذ تهوون أخول أخولا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يامى قـــومى فاندبن | بسحيرة شـجو النوائح
كالحاملات الوقر بالـ | ـثقل الملحات الدوالح
المعولات الخامشا | ت وجوه حرات صحائح

وكأن سيل دموعها الـ أنصاب تخضب بالذبائح
ينقضن أشعاراً لهن هنـاك بادية المسائح
وكأنها أذناب خيل بالضحى شمس روامح
من بين مشزور ومجزور يذعذع بالبوارح
يبكين شجواً مسلبا ت كدحتهن الكوادح
ولقد أصاب قلوبها مجل له جلب قوارح
إذ أقصد الحدثان من كنا نرجى إذ نشايح
أصحاب أحد غالهم دهر ألم له جوارح
من كان فارسنا وحا مينا إذا بعث المسالح
ياحمز ، لا والله لا أنسـاك ماصر اللقائح
لمناخ أيتـام وأضـياف وأرمـلة تلامح
ولما ينوب الدهر فى حرب لحرب وهى لاقح
يا فارساً يا مـدرهاً ياحمز قد كنت المصامح
عنا شديدات الخطو ب إذا ينوب لهن فادح
ذكرتنى أسد الرسو ل ، وذاك مدرهنا المنافح
عنا وكان يعد إذ عـد الشريفون الجحاجح
يعـلو القماقم جهرة سبط اليدين أغر واضح
لا طائش رعش ولا ذو علة بالحمل آنح
بحر فليس يغب جا رآ منه سيب أو منادح
أودى شباب أولى الحفا ئظ والثقيلون المراجح
المطعمـون إذا المشا تى ما يصفقهن ناضح
لحم الجـلاد وفوقـه من شحمه شطب شرائح
ليدافعوا عن جارهم ما رام ذل الضغن المكاشح
لهفى لشبان رزئـ ناهم كأنهم المصابيح
شم ، بطارقة ، غطا رفة ، خضارمة ، مسامح
المشترون الحمد بالـ أموال إن الحمد رابح
والجـامزون بلجمهم يوماً إذا ما صاح صائح
من كان يرمى بالنوا قر من زمان غير صالح
ما إن تزال ركابه يرسمن فى غبر صحاصح
راحت تبارى وهو فى ركب صدورهم رواشح
حتى تئوب له المعا لى ليس من فوز السفائح
يا حمز قد أوحدتنى كالعود شذ به الكوافح
أشكو إليك وفوقك الـ ترب المكور والصفائح

من جندل نلقيه فو قك إذ أجاد الضرح ضارح
فى واسع يحشونه بالترب سوته الماسح
فعزاؤنا أنا نقو ل وقولنا برح بوارح
من كان أمسى وهو عم ا أوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عيـ ناه لهلكانا النوافح
القائلين الفاعليـ ن ذوى السماحة والمادح
من لا يزال ندى يديـ ـه طوال الدهر مائح

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان، وبيته : « المطعمون إذا المشاتى » وبيته : « الجامزون بلجمهم » ، وبيته : « من كان يرمى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى حمزة بن عبد المطلب :

أتعرف الدار عفا راسمها بعدك صوب المسبل الهاطل
بين السراديح فأدمانة فمدفع الروحاء فى حائل
ساءلتها عن ذاك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعة السائل ؟
دع عنك داراً قد عفا رسمها وابك على حمزة ذى النائل
المالىء الشيزى إذا أعصفت غبراء فى ذى الشبم الماحل
والتارك القرن لدى لبدة يعثر فى ذى الخرص الذابل
واللابس الخيل إذا أجحمت كالليث فى غابته الباسل
أبيض فى الذروة من هاشم لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيداً بين أسيافكم شلت يدا وحشى من قاتل
أى امرىء غادر فى ألة مطرورة مارنة العامل
أظلمت الأرض لفقدانه وأسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله فى جنة عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزاً لنا فى كل أمر نابنا نازل
وكان فى الإسلام ذا تدرأ يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحى يا هند واستحلبى دمعاً وأذرى عبرة الثاكل
وابكى على عتبة إذ قطه بالسيف تحت الرهج الجائل
إذ خر فى مشيخة منكم من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة فى أسرة يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الحامل

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب :

طرقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية ... فهواك غورى وصحوك منجد
فدع التمادى فى الغواية سادراً ... قد كنت فى طلب الغواية تفند
ولقد أتى لك أن تناهى طائعاً ... أو تستفيق إذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو انه فجعت حراء بمثله ... لرأيت رأسى صخرها يتبدد
قرم تمكن فى ذؤابة هاشم ... حيث النبوة والندى والسودد
والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ... ريح يكاد الماء منها يجمد
والتارك القرن الكمى مجدلا ... يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل فى الحديد كأنه ... ذو لبدة شثن البراثن أربد
عم النبى محمد وصفيه ... ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلماً فى أسرة ... نصروا النبى ومنهم المستشهد
ولقد إخال بذاك هنداً بشرت ... لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوماً تغيب فيه عنها الأسعد
وببئر بدر إذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبى سراتهم ... قسمين : يقتل من نشاء ويطرد
فأقام بالطعن المطعن منهم ... سبعون : عتبة منهم والأسود
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة ... فوق الوريد لها رشاش مزبد
وأمية الجمحى قوم ميله ... عضب بأيدى المؤمنين مهند
فأتاك فل المشركين كأنهم ... والخيل تثفنهم نعام شرد
شتان من هو فى جهنم ثاوياً ... أبداً ومن هو فى الجنان مخلد

وقال كعب أيضاً يبكى حمزة :

صفية قومى ولا تعجزى ... وبكى النساء على حمزة
ولا تسأمى أن تطيلى البكا ... على أسد الله فى الهزة
فقد كان عزاً لأيتامنا ... وليث الملاحم فى البزة
يريد بذاك رضا أحمد ... ورضوان ذى العرش والعزة

وقال كعب أيضاً فى أحد :

إنك عمر أبيك الكري ... م أن تسألى عنك من يجتدينا
فإن تسألى ثم لا تكذبى ... يخبرك من قد سألت اليقينا
بأنا ليالى ذات العظا ... م كنا ثمالا لمن يعترينا
تلوذ النجوم بأذرائنا ... من الضر فى أزمات السنينا
بجدوى فضولى أولى وجدنا ... وبالصبر والبذل فى المعدمينا

وأبقت لنا جلبات الحرو ... ب من نوازى لدن أن برينا
معاطن تهوى إليها الحقو ... ق يحسبها من رآها الفتينا
تخيس فيها عتاق الجما ... ل صحماً دواجن حمراً وجونا
ودفاع رجل كموج الفرا ... ت يقدم جأواء جولا طحونا
ترى لونها مثل لون النجو ... م رجراجة تبرق الناظرينا
فإن كنت عن شأننا جاهلا ... فسل عنه ذا العلم ممن يلينا
بنا كيف نفعل إن قلصت ... عواناً ضروساً عضوضاً حجونا
ألسنا نشد عليها العصا ... ب حتى تدر وحتى تلينا
ويوم له رهج دائم ... شديد التهاول حامى الأرينا
طويل شديد أوار القتا ... ل تنفى قواحزه المقرفينا
تخال الكماة بأعراضه ... ثمالا على لذة منزفينا
تعاور أيمانهم بينهم ... كئوس المنايا بحد الظبينا
شهدنا فكنا أولى بأسه ... وتحت العماية والمعلمينا
بخرس الحسيس حسان رواء ... وبصرية قد أجمن الجفونا
فما ينفللن وما ينحنين ... وما ينتهين إذا ما نهينا
كبرق الخريف بأيدى الكماة ... يفجعن بالظل هاماً سكونا
وعلمنا الضرب آباؤنا ... وسوف نعلم أيضاً بنينا
جلاد الكماة ، وبذل التلا ... د ، عن جل أحسابنا ما بقينا
إذا مر قرن كفى نسله ... وأورثه بعده آخرينا
نشب وتهلك آباؤنا ... وبينا نربى بنينا فنينا
سألت بك ابن الزبعرى فلم ... أنبأك فى القوم إلا هجينا
خبيثا تطيف بك المنديات ... مقيما على اللؤم حينا فحينا
تبجست تهجو رسول المليـ ... ـك قاتلك الله جلفا لعينا
تقول الخنا ثم ترمى به ... نقى الثياب تقيا أمينا

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نشب وتهلك آباؤنا » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصارى .

وقال ابن إسحاق ، وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم أحد :

سائل قريشا غداة السفح من أحد ... ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ... ما إن نراقب من آل ولا نسب
فكم تركنا بها من سيد بطل ... حامى الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه ... نور مضىء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته ... فمن يجبه إليه ينج من تبب

نجد المقدم ، ماضى الهم ، معتزم ... حين القلوب على رجف من الرعب
يمضى ويذمرنا عن غير معصية ... كأنه البدر لم يطبع على الكذب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه ... وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاءوا وما رجعوا ... ونحن نثقفهم لم نأل فى الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما ... حزب الإله وأهل الشرك والنصب

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « يمضى ويذمرنا » إلى آخرها ، أبو زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب : قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

بكت عينى وحق لها بكاها ... وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عنى لؤيا ... فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعا ... عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعـــا ... وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا أمية مجلعباً ... وفى حيزومه لدن نبيل
وهام بنى ربيعة سائلوها ... ففى أسيافنا منها فلول
ألا يا هند فابكى لا تملى ... فأنت الواله العبرى الهبول
ألا يا هند لا تبدى شماتاً ... بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبلغ قريشاً عن نأيها ... أتفخر منا بما لم تلى
فخرتم بقتلى أصابتهم ... فواضل من نعم المفضل
فحلوا جنانا وأبقوا لكم ... أسوداً تحامى عن الأشبل
تقاتل عن دينها وسطها ... نبى عن الحق لم ينكل
رمته معد بعور الكلام ... ونبل العداوة لا تأتلى

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : « لم تلى » ، وقوله : « من نعم المفضل » أبو زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :

ما بال عينك قد أزرى بها السهد　　كأنما جال فى أجفانها الرمد
أمن فراق حبيب كنت تألفه　　قد حال من دونه الأعداء والبعد
أم ذاك من شغب قوم لا جداء بهم　　إذ الحروب تلظت نارها تقد
ما ينتهون عن الغى الذى ركبوا　　وما لهم من لؤى ويحهم عضد
وقد نشدناهم بالله قاطبة　　فما تردهم الأرحام والنشد
حتى إذا ما أبوا إلا محاربة　　واستحصدت بيننا الأضغان والحقد
سرنا إليهم بجيش فى جوانبه　　قوانس البيض والمحبوكة السرد
والجرد ترفل بالأبطال شازبة　　كأنها حدأ فى سيرها تؤد
جيش يقودهم صخر ويرأسهم　　كأنه ليث غاب هاصر حرد
فأبرز الحين قوما من منازلهم　　فكان منا ومنهم ملتقى أحد
فغودرت منهم قتلى بجدلة　　كالمعز أصرده بالصردح البرد
قتلى كرام بنو النجار وسطهم　　ومصعب من قنانا حوله قصد
وحمزة القرم مصروع تطيف به　　ثكلى وقد حز منه الأنف والكبد
كأنه حين يكبو فى جديته　　تحت العجاج وفيه ثعلب جسد
حوار ناب وقد ولى صحابته　　كما تولى النعام الهارب الشرد
مجلحين ولا يلوون قد ملئوا　　رعبا ، فنجتهم العوصاء والكؤد
تبكى عليهم نساء لا بعول لها　　من كل سالبة أثوابها قدد
وقد تركناهم للطير ملحمة　　وللضباع إلى أجسادهم تفد

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار .

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بنى جشم بن الخزرج ، يوم أحد :

أنا أبو زعنة يعدو بى الهزم　　لم تمنع المخزاة إلا بالألم
يحمى الذمار خزرجى من جشم

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب ـ قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى :

لا هم إن الحارث بن الصمة　　كان وفيا وبنا ذا ذمة
أقبل فى مهامه مهمة　　كليلة ظلماء مدلهمه
بين سيوف ورماح جمة　　يبغى رسول الله فيما ثمة

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد :

كلهم يزجره أرحب هلا　　ولن يروه اليوم إلا مقبلا
يحمل رمحا ورئيسا جحفلا

وقال الأعشى بن زرارة بن النباش التميمى ـ قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم ـ يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد :

حيى من حى على نأيهم ... بنو أبى طلحة لا تصرف
يمر ساقيهم عليهم بهـــا ... وكل ساق لهم يعرف
لا جارهم يشكو ولا ضيفهم ... من دونه باب لهم يصرف

وقال عبد الله بن الزبعرى يوم أحد :

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله ... وحمزة فى فرسانه وابن قوقل
وأفلتنا منهم رجال فأسرعوا ... فليتهم عاجوا ولم نتعجل
أقاموا لنا حتى تعض سيوفنا ... سراتهم وكلنا غير عزل
وحتى يكون القتل فينا وفيهم ... ويلقوا صبوحاً شره غير منجلى

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » وقوله « ويلغوا صبوحاً » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبى من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى ... لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزناً محضرى ومسيرى
على أسد الله الذى كان مدرها ... يذود عن الإسلام كل كفور
فياليت شلوى عند ذاك وأعظمى ... لدى أضبع تعتادنى ونسور
أقول وقد أعلى النعى عشيرتى ... جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :

بكاء وحزناً محضرى ومسيرى

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى شماساً ، وقد أصيب يوم أحد :

يا عين جودى بفيض غير إبساس ... على كريم من الفتيـــان أباس
صعب البديهة ميمون نقيبته ... حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جزعاً ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقلت لما خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزيها ، فقال :

إقنى حياءك فى ستر وفى كرم ... فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلى النفس إذ حانت منيته ... فى طاعة الله يوم الروع والباس

قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعت وفى نفسى بلابل جمة وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكننى قد نلت شيئاً ولم يكن كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم ينكرها لهند ، والله أعلم .

شرح ما وقع فى غزوة أحد من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبى -صلى الله عليه وسلم- إلا من آمن منهم لكنه ذكر فى شعر هبيرة الذى بدأ به بيتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها
فى ليلة من جمادى ذات أندية جربا جمادية قد بت أسريها

قوله : يصطلى بالفرث ، أى : يستدفى به من شدة البرد .

وقوله يختص بالنقرى المثرين ، يريد يختص الأغنياء طلباً لمكافأتهم ، ولياً كل عندهم ، يصف شدة الزمان ، قاله يعقوب فى الألفاظ ، ونسبهما للهذلى ، وكذلك قال ابن هشام فى هذين البيتين أنهما ليسا لهبيرة ونسبهما لجنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى .

وقوله : ذات أندية : جمع ندى على غير قياس ، وقد قيل: إنه جمع الجمع كأنه جمع ندى على مثل جمل وجمال، ثم جمع الجمع على أفعلة ، وهذا بعيد فى القياس ، لأن الجمع الكثير لا يجمع ، وفعال من أبنية الجمع الكثير، وقد قيل هو جمع ندى والندى المجلس ، وهذا لا يشبه معنى البيت ، ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة ، لأنه فى معنى الأهوية والأشتية ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه فى معنى الرذاذ والرشاش ، وهما يجمعان على أفعلة ، وأراد بجمادى الشهر ، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر فى زمن جمود الماء، ثم انتقل بالأهلة وبقى الاسم عليه، وإن كان فى الصيف والقيظ ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمتها ، وإن خرجت عن تلك الأوقات .

وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هبيرة وأوله : ألا هل أتى غسان . وقد افتتح قصيدة أخرى فى أشعار بدر بهذا اللفظ ، فقال :

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها

وإنما يذكر غسان لأنهم بنو عم الأنصار . والأنصار بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

والذين بالشام بنو جفنة بن عمرو بن عامر ، والكل غسان ، لأن غسان ماء شربوا منه حين ارتحالهم لليمن فسموا به .

وقوله : سيره متنصنع ، أى : مضطرب . وقوله : العراميس :جمع عرمس ، وهى الناقة القوية على السير .

. . . .

وقوله : قيضه يتفلع ، أى يتشقق ، والقيض : قشور البيض ، والقوانس جمع قونس ، وهى بيضة السلاح .

وقوله : وكل صموت فى الصوان ، يعنى الدرع جعلها صموتاً لشدة نسجها وإحكام صنعتها ، والنهى والنهى : الغدير ، سمى بذلك ، لأن ماءه قد منع من الجريان بارتفاع الأرض ، فغادوه السيل ، فسمى غديراً ، ونهته الأرض فسمى نهياً .

وقوله : ومنجوفة ، مفعولة من نجفت : إذا حفرت ، ويكون أيضاً من نجفت العنز إذا شددتها بالنجاف وهو الحبل ، فإن كان أراد الرماح . فمعنى قوله : منجوفة ، أى : مشدودة مثقفة ، وإن كان أراد أسنتها ، فهى أيضاً منجوفة ، من نجفت إذا حفرت ، لأن ثعلب الرمح داخل فى الحديدة ، فهى منجوفة له ، وإن كان أراد السيوف ، فمنجوفة ، أى كالمحفورة ، لأن متونها مدوسة مضروبة بمطارق الحديد ، فهى كالمحفورة .

وقوله : تصوب بأبدان الرجال وتارة تمر بأعرض البصار تقعقع

يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعقع فيها ، وهى جمع بصرة ، وهى حجارة لينة ، ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة مثل كريمة ، وكرام ، والبصيرة الدرع ، وقيل : الترس ، والبصيرة أيضاً : طريقة الدم فى الأرض ، فإن كانت فى الجسد ، فهى جدية ، ولا معنى لها فى هذا البيت :

وقول ابن الزبعرى :

ياغراب البين أسمعت ، فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

إقرار الجاهلية بالقدر : قوله : قد فعل : أى : قد فرغ منه ، وقد كانوا فى الجاهلية يقرون بالقدر ، وقال لبيد فى الجاهلية :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثى والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال راجزهم :

ياأيها اللائم لمنى ، أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطا القدر

وقوله : غير ملتاث ، هو مفتعل من اللوثة كما قال الضبى :

عند الحفيظة إن ذى لوثة لانا

والمهراس : حجر منقور يمسك الماء ، فيتوضأ منه ، شبه بالمهراس الذى هو الهاوون ، ووهم المبرد ، فجعل المهراس اسما علما للمهراس الذى بأحد خاصة ، وإنما هو اسم لكل حجر نقر فأمسك الماء . وورى ابن عبدوس عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس فى أرض فلاة كيف يغتسل منه ؟ فقال مالك : هلاقلت مر بغدير ، ومن يجعل له مهراسا فى أرض فلاة ؟ فهذا يبين لك أن المهراس ليس مخصوصا بالمهراس ، الذى كان بأحد ، وكذلك وقع فى غريب الحديث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بقوم يتجاذون مهراسا أى : يرفعونه .

قول حسان يجيبه : هربا فى الشعب أشباه الرسل

يعنى : الغنم إذا أرسلها الراعى ، يقال لها حينئذ رسل

وقوله كأشراف الملا ، الأشراف : جمع شرف ، وهو الشخص ، والملا : ما اتسع من الأرض ، ويريد بالأشراف هاهنا أشخاص الشجر وأصولها .

. . . .

وقوله : يهل، أراد : فيهال ثم جزم للشرط ، فاحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، وهو من الهول يقال هالنى هولا إذا أفزعك .

وقوله : وملأنا الفرط ، أراد : الفرط بتحريك الراء ، وهى الأكمة وما ارتفع من الأرض ، والرجل : جمع رجلة ، وهو المطمس من الأرض ، والرجلة أيضا فى معنى الراجل من الجراد ، قال الشاعر :

وتحت نحور الخيل حرشف رجلة

يريد بالحرشف جماعة الربا ، وهم صغار الجراد ، ضربهم مثلا للرجالة والرماة ، وجمع الفرط أفراط .

وقوله : ولد استها : كلمة تقولها العرب عند السب ، تقول : يابنى استها ، والولد : بمعنى الأولاد وكتب أهل دمشق إلى أهل مزة وهى على فرسخ من دمشق وكانوا أمسكوا عنهم الماء فكتبوا إليهم : من أهل دمشق إلى بنى استها .

وبعد : فأما أن يمسينا الماء وإلا صبحتكم الخيل . ذكره الجاحظ

حذف حرف الجر : وقوله فى المؤمنين :أيدوا جبريل ، أى:أيدوا بجبريل،وحذف الجار فتعدى الفعل فنصب، ولا يضر هذا الحذف إلا أن يكون الفعل المتعدى بحرف جر متضمناً لمعنى فعل آخر ناصب ، كقولهم : أمرتك الخير أى كلفتك الخير وألزمتكه ، ولا يستقيم نهيتك الشر إذ ليس فى معنى نهيتك فعل . ناصب وقوله : أيدوا جبريل ، أى أصحبوه ، ونحو هذا ، فحسن حذف الباء لهذا

وقول حسان :

تخرج الأصبح من استاهكم

رواه أبو حنيفة : تخرج الأضياح ، وهو اللبن الممزوج بالماء ، وهو فى معنى الأصبح ،لأن الصبحة بياض غير خالص ، فجعله وصفاً للبن الممذوق المخرج من بطونهم .

وقوله : كسلاح النيب يأكلن العصل

العصل : نبات كالرفلين يصلح الإبل إذا أكلته ، ويكثر شربها للماء ، وهو من الحمض ، وينبت فى السباخ ، قاله أبو حنيفة .

وقول كعب بن مالك :

لواء الرسول بذى الأضوج

الأضوج : جمع ضوج ، والضوج : جانب الوادى .

وقوله : فى القسطل المرهج . القسطل : الغبار ، وكذلك الرهج ، وقد شرحنا السلجج فيما مضى ، والجمل الأدعج : يعنى الأسود ، ومنه الحديث فى صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف .

وقوله : وحنظلة الخير لم يحنج ، أى لم يمله شىء عن الطريق المستقيم ، يقال حنجت الشىء إذا أملته وعدلته عن وجهه ، ويقال أيضاً : أحنجته فهو محنج ، وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه .

وقوله : عن الحق حتى عدت روحه

. . . .

أنث الروح لأنه فى معنى النفس ، وهى لغة مشهورة معروفة . أمر ذو الرمة عند موته أن يكتب على قبره :

يا نازع الروح من جسمى إذا قبضت وفارج الكرب أنقذنى من النار

فكان ذلك مكتوباً على قبره .

وقوله : فاخر الزبرج ، أى : فاخر الزينة ، أى ظاهرها .

وقوله : فى الدرج المرتج ، أى المغلق ، يقال : ارتجت الباب إذا أغلقته ، وهو الرتاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

ولكن قد أتى من دون ودى وبين فؤاده غلق الرتاج

ومن لم يؤذه ألم برأسى وما الرئمان إلا بالنتاج

ومنه قيل : ارتج على الخطيب ، إذا أغلق عليه باب القول

وفى شعر ضرار : من جمعنا السورج ، وهو فوعل من السراج يريد المضىء .

وفى شعر حسان : وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم

أراد سخينة ، فرخم وعنى قريشاً لأنها كانت تلقب بذلك ، وفى أشعار ضرار فى العينية منها أمرها شاع ، أراد : شائع ، فقلبت ، كما قال الآخر :

لاث به الأشاء والعبرى

أراد : لائث ، وكما جاء فى الحديث : لا يحتكر الطعام إلا طاغ أو باغ أو زاغ أراد : زائغ .

وفى شعره القافى : رشاش الطعن والورق

الورق : ما تعقد من الدم ، قاله ابن دريد وغيره ، وفيه ما به رهق ، أى عيب ، والمرهق من الرجال المعيب .

وفى شعر عمرو بن العاصى : يمشون قطوا . القطو والاقطيطاء : مشى القطا .

وفى شعر كعب : خذم رعابيل . الخذم : القطع بالاسنان ، ورعابيل : قطع متمزقة ، يقال خباء مرعبل ، أى متمزق .

وقوله : إنا بنو الحرب نمريها وننتجها

مستعار من مريت الناقة إذا استدررت لبنها ، ونتجتها إذا استخرجت منها ولداً ، يقال : نتجت الناقة ، ونتجها أهلها ، وأما أنتجت تنتج فإذا دنا نتاجها .

وقوله : يوم رذاذ من الجوزاء مشمول

يريد : من أيام أنواء الجوزاء ، وهو نوء الهقعة ، أو الهنعة ، وذلك فى الشتاء فى شهر كانون الأول ومشمول من الريح الشمال .

وقوله : الثقها من اللثق ، وهو البلل والطين اليسير ، والرذاذ معروف ، وهو أكثر من الطش والبغش ، والطل نحو منه ، أو أقوى منه قليلا ، يقال : أرض مطلولة ومبغوشة ، ولا يقال : مرذوذة ، ولكن يقال : مرذة ومرذ عليها قاله الخطابى .

. . . ، . . . .

وذكر شعر حسان . قال ابن هشام : هذه أجود ما قال ، هذه القصيدة التى قالها حسان ليلا ، ونادى قومه أنا أبو الحسام أنا أبو الوليد ، وهما كنيتان له ، ثم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار ، مخافة أن يعوقه عائق ، فخر فيها على ابن الزبعرى بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة ، أفتك فيها عناة من قومه .

وذكر مقام خالد عند النعمان الغسانى من آل جفنة ، وليس بالنعمان بن المنذر ، وقال فيها .

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهـــل غطا عليه النعيم

غطا بتخفيف الطاء أنشده يونس بن حبيب ، وهكذا كان فى حاشية الشيخ مذكوراً عن يونس ، وغطا معناه ارتفع وعلا ، وأنشد القتبى :

ومن تعاجيبِ خلق الله غاطية يعصى منها ملاحى وغربيب

ملاحى بتخفيف اللام ، ويقال : ملاحى كما قال :

كعنقود ملاحية حين نورا

وقال أبو حنيفة : من قال ملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو ثمر الأراك وفيه ملوحة ، وقال : والغربيب اسم لنوع من العنب ، وليس بنعت . قال المؤلف : وإذا ثبت هذا فعلك أن تفهم منه معنى قوله سبحانه : « وغرابيب سود » حين وصف الجدد وسود عندى بدل ، لا نعت ، وإنما يتم شرح الآية لمن لحظه من هذا المطلع فإن أبا حنيفة زعم أن الغرابيب إذا أطلق لفظه ، ولم يقيد بشىء موصوف به فإنما يفهم منه العنب الذى هذا اسمه خاصة ، والله الموفق للصواب وفهم الكتاب .

وذكر فيه حماة اللواء من بنى عبد الدار ، وأنهم صرعوا حوله حتى أخذته امرأة منهم وهى عمرة بنت علقمة ، فلذلك قال :

لم تطق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم

وقال فى شعر حجاج بن علاط يمدح عليا رضى الله عنه :

لله أى مذبب عن حرمة

ألفيت فى حاشيه الشيخ أبى بحر على هذا البيت فى حاشية الأصل يعنى أصل أبى الوليد ، قال إبراهيم أى نصب لأنه مديح والمديح نصب فى أى حاليه ، فأما ابن هشام فرفع أى . قال المؤلف : وهذا الذى ذكره من نصب أى على المديح ، لايستقيم إلا أن تقدر حذف المبتدأ قبـــله ، كأنه قال لله أنت لأنه لاينتصب على المدح إلا بعد جملة تامة . وأما الرفع على أن تجعل خبره لله : فقبيح لأنها وإن كانت خبراً ، فأصلها الاستفهام فلها صدر الكلام كما كان ذلك فى كم خبرية كانت . أو استفهامية ، فالتقدير إذاً : لله دره أى مذبب عن حرمة هو ، ألا ترى أنه يقبح أن يقول : جاءنى أى فتى ، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها ، فقلت جاءنى رجل أى رجل جاز ذلك ، لأنه إذا كان وصفاً لم تله العوامل اللفظية ، فكأنه لم يخرج عن أصله ، إذ المبتدأ لا تليه العوامل اللفظية .

وقوله : أخول أخولا ، أى : متفرقين ، ووقع تفسيره فى بعض النسخ من قول ابن هشام . وكان أصله من الخال وهو الخيلاء والكبر ، تقول : فلان أخول من فلان ، أى أشد كبراً منه ، واختيالا ، فمعنى قولهم : إذا جاء القوم

. . . .

أخول أخولا ، أى انفرد كل واحد منهم بنفسه ، وازدهاه الخال أن يكون تابعاً لغيره ، فكلما رأيت أحداً منهم ، قلت : هذا أخول من الآخر ، هذا هو الأصل ، ثم كثر حتى استعمل فى التفرق مثلا ، وإن لم يكن هناك من معنى الخال شىء ، وقد قيل فى أخول : إنه من تخولت بالموعظة ، ونحوها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً ، وفى الحديث : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخولنا بالموعظة ، مخافة السآمة علينا .

وذكر شعر حسان الحائى وقال فيه :

كالحامـــلات الوقر بالثقــل الملحات الدوالح

الدوالح : جمع دالحة وهى المثقلة ، وكذلك الدلوح من السحاب ، وهى المثقلة بالماء وفيه :

ينقضن أشعاراً لهن هناك بادية المسائح

المسائح : جمع : مسيحة ، وهو ما لم يمشط من الشعر بدهن ، ولاشىء ، والمسيحة أيضاً القطعة من الفضة والمسيحة الفرس .

وقوله : من بين مشرور : أى مفرق ، ويقال شررت الملح إذا فرقته ، والمجل كالجرح ، تقول : مجلت يدى من العمل .

وقوله : نشائح ، أى نحاذر ، كما قال الآخر :

وشايحت قبل اليوم إنك شيخ

وقوله : قد كنت المصامح ، وفى الحاشية عند الشيخ المصافح بالفاء فى رواية أخرى ، وأما المصامح بالميم ، فيجوز أن يكون من صمحت الشىء إذا أذبته . قاله صاحب العين . قال : الصمحمح من الرجال : الشديد العصب ، وسنه ما بين الثلاثين إلى الاربعين ، والصماح فيما ذكر أبو حنيفة المنتنة .

وقوله : سبب أو منادح ، ويجوز أن يكون جمع : مندوحة ، وهى السعة ، وقياسه: مناديح بالياء ، وحذفها ضرورة ، ويجوز أن يكون من الندح ، فيكون مفاعلا بضم الميم . مكاثراً ، ويكون بفتح الميم فيكون جمع مندحة مفعلة من الكثرة والسعة ، وأما قولهم : أنا فى مندوحة من هذا الامر ، فهى مفعولة من الندح ، ووهم أبو عبيد فجعله من انداح بطنه إذا اتسع ، والنون فى مندوحة أصل وهى نداح زائدة ، لان وزنه انفعل ، والالف فى انداح أصل وهى بدل من واو كأنه مندوحة الشج ، والميم فى مندوحة زائدة ، والدال عين الفعل ، وهو فى انداح فاء الفعل ، ومن هاهنا قال الخطابى : يا عجباً لابن قتيبة يترك مثل هذا من غلط أبى عبيد ، ويعنف فى الرد عليه ، فيما لا بال له من الغلط .

وقوله : خضارمة : جمع خضرم ، وهو الكثير العطاء .

وقوله : يرسمن من الرسيم فى السير . والصحاصح : جمع صحصح ، وهى الأرض الملساء .

وقوله : ليس من فوز السفائح ، والسفائح ، جمع سفيحة ، وهى كالجوالق ونحوه .

وقال فى القصيدة اللامية :ذى الخرص الذابل ، يريد : الرمح ، والخرص سنانه وجمعه خرصان . وفيه: شلت يدا وحشى من قاتل .

. . . .

ترك التنوين للضرورة : ترك التنوين للضرورة لما كان اسماً علماً ، والعلم قد يترك صرفه كثيراً ، ومنع من ذلك البصريون ، واحتج الكوفيون فى إجازته بأن الشاعر قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول علقمة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف　　مفدم بسبا الكتان ملثوم

أى بسبائب . وقول لبيد :

كالحاليج بأيدى التلام

أى التلاميذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس التنوين من هذا فى شىء لأنه زائد لمعنى ، وما زيد لمعنى لايحذف .

وفى شعر كعب :　　طرقت همومك فالرقاد مسهد .

أراد الرقاد مسهد صاحبه ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو الضمير المخفوض ، فصار الضمير مفعولا لم يسم فاعله ، فاستتر فى المسهد . ومنه :

وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد

أى الأغيد صاحبه ، وهو الناعم

وقوله : والخيل تثفنهم : أى : تتبع آثارهم ، وأصله من ثفنات البعير ، وهو ما حول الخف منه .

وقول كعب فى الشعر الرائى :　　وليث الملاحم فى البزة

البزة الشارة الحسنة ، والبزة السلاح أيضاً ، وهو من بززت ارجل ، إذا سلبته بزته ، يقال :من عز بز ، أى: من غلب سلب ، والبزابز: الرجل الشديد .

وقال أيضا فى القصيده النونية .　　تلوذ البجود ، باذرائنا

البجود : جمع بجد ، وهم جماعة من الناس ، ويروى النجود بالنون ، وهى المرأة المكروبة والنجود من الإبل : القوية وقوله : بأذرائنا ، جمع ذرا من قولهم : أنا فى ذرا فلان ، أى فى ستره ، وتقول العرب : ليس فى الشجر أذرى من السلم ، أى : أدفأ ذراً منه ، لانه يقال ، مامات أحد صرداً قط فى ذرا سلمة

وقوله . جلبات الحروب : من قولك جلبت الشىء ، وجرشته إذا قطعته ، ومنه : الجلبان . وقوله لدن أن برينا أى خلقنا ، والبارى : الخالق سبحانه ، أى هذا حالنا من لدن خلقنا .

وقوله : يحسبها من رآها الفتينا ، وهى الصخور السود ، سميت بذلك لأنها تشبه ما فتن بالنار ،أى : أحرق. وفى التنزيل : «على النار يفتنون» ، وأصل الفتن الاختبار ، وإنما قيل : فتنت الحديدة بالنار ،لأنك تختبر طيبها من خبيثها .

وقوله : دواجن حمراً وجونا ، أى : حمراً وسوداً ، وقوله : جأواء ، أى كتيبة لونها لون الحديد

وقوله : جولا طحونا : الجول . : جانب البئر .

وقوله : إن قلصت ، يعنى الحرب ، ثم وصفها فقال : عضوضاً حجونا من العض ، وحجونا من حجنت العود إذا لويته ، وقوله .

. . . .

ألسنا نشد عليها العصا　　ب حتى تدر وحتى تلينا

هذا كله من صفة الحرب ، شبهها بناقة صعبة قلصت ، أى صارت قلوصاً ، أى إنا نذلل صعبها ، ونلين من ضراسها . وقوله : ويوم له رهج دائم الرهج : الغبار .

وقوله : شديد التهاول : جمع تهويل ، والتهاويل : ألوان مختلفة ، قال الشاعر يصف روضاً :

وعازب قد علا التهويل جنبته　　لا تنفع النعل فى رقراقه الحافى

وقوله : حامى الأرينا : جمع إرة ، وهو مستوقد النار ، يجوز أن يكون وزنها علة من الأوار ، وهو الحر ، فحذفت الهمزة ، وهمزت الواو لانكسارها ، وجائز أن يكون وزنها فعة من تأريت بالمكان ، لأنهم يتأرون حولها ، وهذا الوجه هو الصحيح ، لأنهم جمعوها على إرين مثل سنين ، ولا يجمع هذا الجمع المسلم كجمع من يعقل إلا إذا حذفت لامه ، وكان مؤنثاً ، وكان لام الفعل حرف علة ، ولم يكن له مذكر كالأمة ، إذا اجتمعت فيه هذه الشروط الأربعة جمع بالواو والنون فى الرفع . والياء والنون فى الخفض والنصب ، كسنين وعضين ، غير أنهم قد قالوا رقين فى جمع الرقة وهى الورق وقد تكلمنا على سر هذا الجمع وسر أرضين فى « نتائج الفكر » بما فيه جلاء والحمد لله .

وقوله : كنار أبى حباحب والظبينا يقال أبو حباحب ذباب يلمع بالليل، وقيل كان رجلا لئيما لا يرفع ناره خشية الأضياف ، ولا يوقدها إلا ضعيفة ، وترك صرفه ولم يخفض ، وهو فى موضع الخفض ، لما قدمناه من أن الاسم إذا ترك صرفه ضرورة أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التنوين ، لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم إلى نفسه ، وقال أبو حنيفة : لا أدرى ما حباحب ولا أبو حباحب ، ولا بلغنى عن العرب فيه شىء ، وقال فى الإرة عن قوم حكى قولهم : هو من أريت الشىء إذا عملته ، وقال : الأرى هو عمل النحل وفعلها ، ثم سمى العسل أرياً لهذا كما يسمى مزجاً وأنشد :

وجاءوا بمزج لم ير الناس مثله　　هو الضحك إلا أنه عمل النحل

قال : والضحك : الزبد الأبيض ، وقيل الثغر ، وقيل الطلع ، وقيل : العجب .

وقوله : والظبينا : جمع ظبة ، جمعها على هذا الجمع المسلم ، لما قدمناه فى الأرين والسنين ، غير أنه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السين من سنين إشعاراً بالجمع ، لأن ظبين لا يشبه أن يكون واحداً ، إذ ليس فى الأسماء فعيل ، وكسروا أول سنين إيذاناً بأنه جمع كى لا يتوهم أنه اسم على فعول ، إذ ليس فى الأسماء فعول ولا فعيل ولم يبلغ سيبويه أن ظبة تجمع على ظبين ، وقد جاء فى هذا الشعر ، وفى غيره كما تراه .

وقوله : قواحزه : جمع قاحز وهو الوثاب القلق ، يقال : قحز قحزاناً ، إذا وثب وقلق . وقوله : بخرس الحسيس ، يصف السيوف بالخرس لوقوعها فى الدم واللحم .

وقوله : حسان رواء : من الدم ، وقوله : بصرية : منسوبة إلى مشارف من أرض الشام ، لأنها تصنع فيها .

وقوله : قد أجن الجفونا ، أى كرهن المقام فيها ، ومللنه ، ومنه قول هشام لسالم بن عبد الله : ما طعامك ؟ قال : الخبز بالزيت ، قال : أما تأجمها ؟ قال : إذ أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما .

. . . .

وقوله : وتحت العماية والمعلبينا ، بإسقاط الواو من أول القسيم الثانى وقع فى الأصل وفى الحاشية ، وتحت العماية بواو العطف وقع فى الأصلين ، وبها يكمل الوزن ولا يجوز إسقاطها إلا على مذهب الأخفش الذى يجيز الخرم فى أول القسيم الثانى من البيت ، كما يجيزه العروضيون فى أول البيت .

وقوله : تطيف بك المنديات : أى الأمور الشنيعة .

وقوله : تبجست ، من تبجس الماء ، إذا انفجر .

وقول ضرار فى قصيدته الدالية يكبو فى جديته ، أى : فى دمه

وقوله : ثعلب جسد ، يريد ثعلب الرمح ، وجسد من الجساد وهو الدم .

وقوله : الأضغان والحقد ، حرك القاف بالكسر ضرورة ، ولو وقف على الدال بالسكون ، وكان الاسم محفوظاً كان الكسر أحسن فى الوقف ، كما قال : واصطفاقاً بالرجل ، أى : الرجل .

وقوله : العوصاء والكؤد ، يريد الرملة العويص مثلكها ، والكؤد جمع عقبة كؤود وهى الشاقة .

وقول عكرمة : أرحب هلا ، هو من زجر الخيل ، وكذلك هقط وهقط وهب وسقب . وذكر قول نعيم :

يا عين جودى بفيض غير إبساس

الإبساس : أن تستدر لبن الناقة بأن تمسح ضرعها ، وتقول لها : بس بس فاستعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف ولا استدرار له .

وقولها : صعب البديهة ، أى : بديهته لا تعارض ولا تطاق ، فكيف رويته واحتفاله .

وفى شعر كعب : بكت عينى وحق لها بكاها وما يغنى البكاء ولا العويل

وضع المقصور فى موضعه ، والممدود فى موضعه ، لأن البكا مقصور بمعنى الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصراخ ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فعال ، فقوله : حق لها بكاها ، أى حق لها حزنها ، لأنه الذى يحق دون الصراخ . ثم : قال : وما يغنى البكاء ولا العويل ، أى : ليس ينفع الصياح ولا الصراخ ، ولا يجدى على أحد ، فتنزلت كل كلمة منزلتها .

وقوله : حق لها ، أى : حق ، والأصل : حقق على فعل ، فبكاها : فاعل لا مفعول ، وكل فعل إذا أردت المبالغة فى الأمر ومعنى التعجب نقلت الضمة من عين الفعل إلى فائه ، فتقول : حسن جداً ، فإن لم ترد معنى التعجب لم يجز إلا الضم أو التسكين ، تقول : كبر زيد وكبر ، ولا تقول كبر إلا مع قصد التعجب . قال الشاعر :

فقلت : اقتلوها عنكم بمزاجها وحب بها مقتولة حين تقتل

يعنى الخمر . وقال آخر :

لم يمنع القوم منى ما أردت ولم أعطهم ما أرادوا حسن ذاأدبا

أى حسن ، وقال آخر : ألا حب بالبيت الذى أنت زائره

ذكر يوم الرجيع

مقتل خبيب وأصحابه : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زيد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة .

قال ابن هشام : عضل والقارة ، من الهون بن خزيمة بن مدركة .

قال ابن هشام : ويقال : الهون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير الليثى ، حليف بنى عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخبيب بن عدى ، أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة بن معاوية ، أخو بنى بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة ابن غضب بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهدأة غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلا ، فلم يرع القوم ، وهم فى رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

فأما مرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً أبداً ، فقال عاصم بن ثابت :

ما علتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرأ إليه آئل
إن لم أقاتلكم فأمى هابل

قال ابن هشام : هابل : ثاكل :

وقال : بالبيت ، لأن معناه كمعنى أحبب بالبيت تعجباً . وقول كعب :

أبا يعلى لك الأركان هدت

كان حمزة يكنى أبا يعلى بابنه يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره وأعقب يعلى خمسة من البنين ، ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب ويكنى حمزة أيضاً أبا عمارة ، وقد تقدم ذكره فى المبعث ، بهذه الكنية ، قيل : إن عمارة بنت له كنى بها ، وهى التى وقع ذكرها فى السنن للدارقطنى . أن مولى لحمزة مات ، وترك بنتاً فورثت منه النصف ، وورثت بنت حمزة النصف الآخر ، ولم يسمها فى السنن ، ولكن جاء اسمها فى كتاب أحكام القرآن لبكر بن العلاء والله أعلم ، وقد روى أن الولاء كان لها ، وأنها كانت المعتقة لا حمزة .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان وريش المقعد وضالة مثل الجحيم الموقد
إذا النواجى افترشت لم أرعد ومجنأ من جلد ثور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أبو سليمان ومثلى رامى وكان قومى معشراً كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى : أبا سفيان : ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر، فمنعته الدبر ، فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا: دعوه يمسى فتذهب عنه ، فنأخذه . فبعث الله الوادى ، فاحتمل عاصماً ، فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره ، رحمه الله ، بالظهران ، وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبى إهاب التميمى ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه .

قال ابن هشام: الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب . وأبو إهاب ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان ابن أمية مع مولى له ، يقال له : نسطاس ، إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس فى أهلى ، قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله .

وأما خبيب بن عدى ، فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أنه حدث عن معاوية ، مولاة حجير بن أبى إهاب ،

وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندى ، حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوماً ، وإن فى يده لقطفا من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعاً أنها قالت : قال لى حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموسى ، فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت : قالت : والله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ، فقلت: ماذا صنعت ! أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق ، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر ابن حذيم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهرى القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأس ، ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على ، فزادته عند عمر خيراً .

قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن : قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس: لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا ، لاهم قعدوا فى أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم، فقال سبحانه : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » : أى لما يظهر من الإسلام بلسانه ، « ويشهد الله على ما فى قلبه » ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، « وهو ألد الخصام » : أى ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن هشام : الألد الذى يشغب ، فتشتد خصومته ؛ وجمعه : لد ، وفى كتاب الله عز وجل : «وتنذر به قوما لدآ» وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدى بن ربيعة :

إن تحت الأحجار حدآ ولينا وخصيما ألد ذا معـــلاق

ويروى ذا مغلاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له . وهو الألبدد . قال الطرماح بن حكيم الطائى يصف الحرباء :

يوفى على جذم الجذول كأنه خصم أبر على الخصوم ألندد

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحاق : قال تعالى : «وإذا تولى» : أى خرج من عندك «سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لايحب الفساد» اى لايحب عمله ولا يرضاه . «وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد» ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله : والله رءوف بالعباد» : أى قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السرية .

قال ابن هشام : يشرى نفسه : يبيع نفسه : وشروا : باعوا . قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى :

وشريت بردآ ليتـــنى من بعد برد كنت هامه

برد : غلام له باعه : وهذا البيت فى قصيدة له . وشرى أيضاً : اشترى .

قال الشاعر :

فقلت لها لاتجزعى أم مالك على ابنيك إن عبد لئيم شراهما

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدى ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد على لأنى فى وثاق بمصيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى وماأرصدالأحزاب لى عندمصرعى
فذا العرش صبرنى على ما يرادبى فقد بضعوا لحمى وقدياس مطمعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيرونى الـكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
ومابى حذار الموت إنى لميت ولـكن حذارى جحم نار ملفع
فو الله ما أرجو إذا مت مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
فلست بمبد للعدو تخشعاً ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيباً :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا لا فشل حين تلقاه ولانزق

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة　　وجنة الخلد عند الحور فى الرفق
ماذا تقولون إن قال النبى لكم　　حين الملائكة الأبرار فى الأفق
فيم قتلتم شهيد الله فى رجل　　طاغ قد اوعث فى البلدان والرفق

وقال ابن هشام: ويروى: «الطرق»، وتركنا ما بقى منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى خبيباً:

ياعين جودى بدمع منك منسكب　　وابكى خبيباً مع الفتيان لم يؤب
صقراً توسط فى الأنصار منصبه　　سمح السجية محضاً غير مؤتشب
قد هاج عينى على علات عبرتها　　إذ قيل نص إلى جذع من الخشب
يا أيها الراكب الغادى لطيته　　أبلغ لديك وعيداً ليس بالكذب
بنى كهيبة أن الحرب قد لقحت　　محلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب
فيها أسود بنى النجار تقدمهم　　شهب الأسنة فى معصوصب لجب

قال ابن هشام: وهذه القصيدة مثل التى قبلها، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان، وقد تركنا أشياء فى أمر خبيب لما ذكرت.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

لو كان فى الدار قرم ماجد بطل　　ألوى من القوم صقر خاله أنس
إذن وجدت خبيباً مجلساً فسحاً　　ولم يشد عليك السجن والحرس
ولم تسقك إلى التنعيم زعنفة　　من القبائل منهم من نفت عدس
دلوك غدراً وهم فيها أولو خلف　　وأنت ضيم لها فى الدار محتبس

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلمى: خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف. وقوله: «من نفت عدس» يعنى حجير بن أبى إهاب، ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الأسدى، وكان حليفاً لبنى نوفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خبيب فى قتله حين قتل من قريش: عكرمة بن أبى جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدود. والأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زهرة، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى، حليف بنى أمية بن عبد شمس، وأمية بن أبى عتبة، وبنو الحضرمى.

وقال حسان أيضاً يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدى:

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهم　　شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الأغر وجامع　　وكانا جميعاً يركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم　　وكنتم بأكناف الرجيع لهاذما
فليت خبيباً لم تخنه أمانة　　وليت خبيباً كان بالقوم عالما

قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع : : الهذليان اللذان باعا خبيبا .

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

إن سرك الغدر صرفا لا مزاج له ... فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالكلب والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم ... وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم ... وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
سالوا رسولهم ماليس معطيهم ... حتى الممات ، وكانو سبة العرب
ولن ترى لهذيل داعيا أبداً ... يدعو لمكرمة عن منزل الحرب
لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم ... وأن يحلوا حراما كان فى الكتب

قال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك ... أحاديث كانت فى خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلوا بقبيحها ... ولحيان جرامون شر الجرائم
أناس هم من قومهم فى صميمهم ... بمنزلة الزمعان دبر القوادم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفة ومكارم
رسول رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيل توقى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوما عليهم ... بقتل الذى تحميه دون الحرائم
أبابيل دبر شمس دون لحمه ... حمت لحم شهاد عظام الملاحم
لعل هذيلا أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاما لمأتم
ونوقع فيهم وقعة ذات صولة ... يوافى بها الركبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إن رسوله ... رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم
قبيلة ليس الوفاء يهمهم ... وإن ظلموا لم يدفعوا كف ظالم
إذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلهم دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمر كرأى البهائم

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلا :

لحى الله لحيانا فليست دماؤهم ... لنا من قتيلى غدرة بوفاء
همو قتلوا يوم الرجيع ابن حرة ... أخا ثقة فى وده وصفاء
فلو قتلوا يوم الرجيع بأسرهم ... بذى الدبر ما كانوا له بكفاء

قتيل حمته الدبر بين بيوتهم لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
فقد قتلت لحيان أكرم منهم وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء
فأف للحيان على كل حالة على ذكرهم فى الذكر كل عفاء
قبيلة باللؤم والغدر تغترى فلم تمس يخفى لؤمها بخفاء
فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم بلى إن قتل القاتليه شفائى
فالا أمت أذ عر هذيلا بغارة كغادى الجهام المغتدى بافاء
بأمر رسول الله والأمر أمره يبيت للحيان الخنا بفناء
يصبح قوماً بالرجيع كأنهم جداء شتاء بتن غير دفاء

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

فلا والله ، ما تدرى هذيل أصاف ماء زمزم أم مشوب
ولا لهم إذا اعتمروا وحجوا من الحجرين والمسعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل به اللؤم المبين والعيوب
كأنهم لدى الكنات أصلا تيوس بالحجاز لها نبيب
هم غروا بذمتهم خبيبا فبئس العهد عهدهم الكذوب

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا وأصحابه :

صلى الإله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم وابن البكير إمامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم وافاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالى إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة ـ وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرم ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

حديث بئر معونة

وكان من حديثهم ، كما حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدالله

ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ؟ ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يامحمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنالهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة ، المعنق ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ، ونافع بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، فى رجال مسمين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ا وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا فأبوا الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، على أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا لن نخفر أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عصية ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجار ، تركوه وبه رمق ، فارتث من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضميرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف .

وقال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح .

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ، وأخذوا عمرو ، ابن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : ثم من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر ، فلما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين ، لأدينهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء ،

فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قال ـ وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم ـ فكان يقول : إن مما دعانى إلى الاسلام أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت فى نفسى : ما فاز ؟ ألست قد قتلت الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ، فقلت : فاز لعمر و الله .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى فما أحدثت فى الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القين بن جسر ، وأم البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهى أم أبى براء .

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن مالك على عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه . فقال : هذا عمل أبى براء . إن أمت فدمى لعمى ، فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتى إلى

وقال أنس بن عباس السلمى ، وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل ، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى :

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاويا بمعترك تسفى عليه الاعاصر
ذكرت أبا الزيان لما رأيته وأيقنت أنى عند ذلك ثائر

وأبو الزيان : طعيمة بن عدى .

وقال عبد الله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء :

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغى ثواب الجهاد
صابر صادق وفى إذا ما أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ، ويخص المنذر بن عمرو :

على قتلى معونة فاستهلى بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا مناياهم ولاقتهم بقدر

أصابهم الفنـــاء بعقد قوم نخون عقد حبلهم بغدر
فيا لهفى لمنذر إذ تولى وأعنق فى منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم من ابيض ماجد من سر عمرو

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتاً أبو زيد الأنصارى .

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر معونة ، يعير بنى جعفر بن كلاب :

تركتم جاركم لبنى سليم مخافة حربهم عجزاً وهونا
فلو حبلا تناول من عقيل لمد بحبلها حبلا متينا
أو القرطاء ما إن أسلموه وقدما ما وفوا إذ لاتفونا

قال ابن هشام : القرطاء : قبيلة من هوازن ، ويروى « من نفيل » مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ، لأن القرطاء من نفيل قريب .

مقتل خبيب واصحابه

وذكر غدر عضل والقارة ، وهما بطنان من بنى الهون ، والهون هم بنو الريش ويثيع ابنى الهون بن خزيمة ، وقد تقدم التعريف بمعنى القارة ، وبالمثل الذى جرى فيهم ، والقارة الحرة ، وذكرنا السبب فى تسميتهم بها .

وذكر أن أصحاب خبيب كانوا ستة ، وفى الجامع الصحيح للبخارى أنهم كانوا عشرة ، وهو أصح ، والله أعلم.

وذكر أسماء الستة ، وقد نسبهم فيما تقدم ، فأما خبيب فهو من بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس ، وزيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من الثدنة والثدن استرخاء اللحم .

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله :

ما علتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل

والعنابل : الشديد ، وكأنه من العبالة ، وهى القوة ، والنون زائدة والعبالة أيضاً : شجرة صلبة ، وفى الخبر أن عصا موسى كانت من عبالة ، وقد روى أن عصا موسى كانت من عين ورقة آس الجنة ، ويجوز أن يكون منحوتاً من أصلين : من العنن والنبل ، كأنه يسيب ما عن له بنبله .

وذكر قوله : أبو سليمان وريش المقعد .

قوله : أبو سليمان ، أى : أنا أبو سليمان قد عرفت فى الحروب ، وعندى نبل راشها المقعد ، وكان رائشاً صانعاً ، وريش : السهم المحمود فيه اللؤام ، وهو أن تكون الريشة بطنها إلى ظهر الأخرى ، واللغاب بعكس ذلك ، أن يكون ظهر واحدة إلى ظهر الأخرى ، وهو الظهار أيضاً ، ومن اللؤام أخذ اللأم وهو السهم المريش قال امرؤ القيس :

كرك لأمين على نابل

وسئل رؤبة عن معنى هذا البيت ، فقال : حدثنى أبى عن أبيه ، قال حدثتنى عمتى ، وكانت فى بنى دارم قالت : سألت امرأ القيس ، وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك : كرك لأمين على نابل ؟ فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهاراً ، فما رأيت شيئا أسرع منه ، ولا أحسن فشبهت به ، ذكر هذا

أبو حنيفة ، وقوله : وضالة ، أى : سهام قداحها من الضال ، وهو السدر ، قال الشاعر :

قطعت إذا تخوفت العواطى ضروب السدر عبريا وضالا

فالعبرى منها ما كان على شطوط الأنهار ، والضال ما كان فى البرية ، والعواطى هى الماشية تعطو أى تتناول ، أطراف الشجر فى الصيف ، فمعناه: قطعت هذه الصحراء فى هذا الوقت ، وتخوفت: أى تنقصت من قوله سبحانه: « أو يأخذهم على تخوف » ، وذكر أن حجير بن أبى إهاب هو الذى اشترى خبيبا ، وكان خبيب قد قتل الحارث ابن نوفل ، لأنه قتل أباهم يوم بدر ، والمعنى قريب مما ذكر ابن إسحاق .

وقوله ماوية بنت حجير بالواو ، رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، ورواه غيره عن ابن إسحاق : مارية بالراء ، وبالواو وقع فى النسخ العتيقة من رواية ابن هشام ، كما رواه ابن بكير ، وقد تكلمنا عن اشتقاق هذا الاسم فى صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن المارية بالتخفيف هى البقرة ، وبتشديد الياء : القطاة الملساء . وأما الغلام الذى أعطته المدية ، فقيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبدمناف، قال الزبير : وهو جد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين الذى يروى عنه مالك فى الموطأ .

وذكر أن أبا ميسرة هو الذى طعن خبيبا فى الخشبة ، وهو أبو ميسرة بن عوف بن السباق بن عبد الدار ، والذى طعنه معه عقبة بن الحارث يكنى أبا سروعة ، ويقال : إن أبا سروعة وعقبة أخوان أسلما جميعاً ولعقبة بن الحارث حديث واحد فى الرضاع ، وشهادة امرأة واحدة فيه ، وحديثه مشهور فى الصحاح ، فيه أنه قال : تزوجت بنت أبى إهاب بن عزيز ، فجاءت امرأة ، سوداء ، فقالت : إنى قد أرضعتكما ، وذكر الحديث وزاد فيه الدارقطنى قال : جاءت امرأة سوداء تسأل ، فلم نعطها شيئا ، فقالت : إنى والله أرضعتكما ، فذكر ذلك للنبى — صلى الله عليه وسلم — وقال إنها كاذبة يا رسول الله ، فقال له عليه السلام : كيف ، وقد قيل ؟ فطلقها ، ونكحت ضريب بن الحارث ، فولدت له أم قتال ، وهى امرأة جبير بن مطعم ، وابنه محمد ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه المرأة التى طلقها عقبة : غنية ، وتكنى أم يحيى ، ذكر اسمها أبو الحسن الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف ، ولم يذكره أبو عمر فى كتاب النساء ، ولا كثير ممن ألف فى الحديث .

وذكر قصة عاصم حين حمته الدبر ، الدبر ها هنا : الزنابير ، وأما الدبر فصغار الجراد ، ومنه يقال ماء دبر قاله أبو حنيفة ، قال : وقد يقال للنحل أيضاً دبر بفتح الدال واحدتها دبرة ، قال : ويقال له :خشرم ، ولا واحد له من لفظه ، هذه روايه أبى عبيد عن الأصمعى ، ورواية غيره عنه أن واحدته : خشرمة : والثول جماعة النحل أيضا ، ولا واحد لها ، وكذلك النوب واللوب ، ومن اللوب : حديث زبان بن قسور ، قال : رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته ، فقلت : يا رسول الله إن معنا لوباً لنا — يعنى نحلا — كانت فى عيلم لنا به طرم وشمع ، فجاء رجل فضرب ميتين فانتج حيا . وكفنه بالثمام ، يعنى ناراً من زندين ، ونحسه يعنى : دخنه ، فطار اللوب هاربا ، ودلى مشواره فى العيلم فاشتار العسل، فمضى به ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — ملعون من سرق شروقوم ، فأضربهم ، أفلا اتبعتم أثره ، وعرفتم خبره ؟ قال . قلت : يا رسول الله إنه دخل فى قوم لهم منعة ، وهم جيراننا من هذيل ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — صبرك صبرك ترد نهر الجنة، وإن سعته كما بين العقيقة والسحيقة يتسبب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقياه لوب ، ولا مجه ثوب ، فالعيلم البئر، وأراد بها ها هنا قبة النحل أو الخلية ، وقد يقال لموضع النحل إذا كان صدعا فى جبل : شيق،وجمعه :شيقان،ويقال لكل دخان نحاس ، ولا يقال أيام إلا لدخان النحل خاصة ، يقال : آمها يئومها إذا دخنها ، قاله أبو حنيفة .

. . . .

صلاة ركعتين عند القتل : فصل : وذكر أن خبيباً أول من سن الركعتين عند القتل . قوله هذا يدل على أنهما سنة جارية ، وكذلك فعلهما حجر بن الأدبر حين قتله معاوية ـ رحمه الله ـ وذلك أن زياداً كتب من البصرة إلى معاوية يذكر أن حجراً وأصحابه ، قد خرجوا على السلطان ، وشقوا عصا المسلمين ، ووجه مع الكتاب صكا فيه شهادة سبعين رجلا فيهم الحسن بن أبى الحسن البصرى وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من علية التابعين ذكرهم الطبرى يشهدون بما قال زياد من خروج حجر بن عدى عليه ، وكان حجر شديد الإنكار للظلم ، غليظا على الأمراء ، وأنكر على زياد أموراً من الظلم ، فخرج عليه ، ولم يكن قصده الخروج على معاوية ، فلما حمل حجر إلى معاوية فى خمسة من أصحابه ، قال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : أو أنا للمؤمنين أمير ؟ ! ثم أمر بقتله ، فعند ذلك صلى حجر الركعتين ، ثم لقى معاوية عائشة بالمدينة ، فقالت له : أما اتقيت الله يا معاوية فى حجر بن عدى وأصحابه ، فقال : أو أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم ، فلما أكثرت عليه ، قال لها : دعينى وحجراً فإنى ملاقيه غداً على الجادة ، قالت : فأين عزب عنك حلم أبى سفيان ؟ فقال : حين غاب عنى مثلك من قومى .

وإنما صار فعل خبيب سنة حسنة والسنة إنما هى أقوال من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعال وإقرار ، لأنه فعلها فى حياته عليه السلام ، فاستحسن ذلك من فعله ، واستحسنه المسلمون ، مع أن الصلاة خير ما ختم به عمل العبد ، وقد صلى هاتين الركعتين أيضا زيد بن حارثة مولى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك فى حياته عليه السلام ، حدثنا أبو بكر بن طاهر بن ظاهر الإشبيلى ، قال : أخبرنا أبو على الغسانى ، قال : أخبرنا أبو عمر النمرى ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، قال : أخبرنا أبو محمد قاسم بن أصبغ ، قال : أخبرنا أبو بكر ابن أبى خيثمة : أخبرنا بن معين : أخبرنا قال : أخبرنا يحيى بن عبد الله بن بكير المصرى ، قال : أخبرنا الليث بن سعد ، قال : بلغنى أن زيد بن حارثة اكترى من رجل جعلا من الطائف اشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، قال فمال به إلى خربة ، فقال له : انزل فنزل ، فإذا فى الخربة قتلى كثيرة ، قال ، فلما أراد أن يقتله ، قال دعنى أصلى ركعتين ، قال : صل ، فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً ، قال : فلما صليت أتانى ، ليقتلنى ، قال : فقلت : يا أرحم الراحمين ، قال : فسمع صوتا :لا تقتله ،قال : فهاب ذلك فخرج يطلب أحداً ، فلم ير شيئا ، فرجع إلى ، فناديت : يا أرحم الراحمين ، ففعل ذلك ثلاثاً ، فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد فى رأسها شعلة من نار فطعنه بها ، فأنفذه من ظهره ، فوقع ميتا ، ثم قال لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة ، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين ، كنت فى السماء الدنيا ، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك .

ما انزل الله من القرآن فى حق خبيب وأصحابه : فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله تعالى فى خبر خبيب وأصحابه من قول المنافقين فيهم « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه » وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله وأنها نزلت فى الأخنس بن شريق الثقفى ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وقال ابن الكلبى : كنت بمكة ، فسئلت عن هذه الآية فقلت : نزلت فى الأخنس بن شريق ، فسمعنى رجل من ولده ، فقال لى : يا هذا إنما أنزل القرآن على أهل مكة ، فلا تسم أحداً مادمت فيها ، وكذلك قالوا فى قوله : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » نزلت فى صهيب بن سنان حين هاجر ، وترك جميع ماله

. . . .

لقريش ويدعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الألد بقول مهلهل ، قال : واسمه امرؤ القيس ، ويقال عدى ، وقد صرح مهلهل باسم نفسه فى الشعر الذى استشهد به ابن هشام ، فقال :

ضربت صدرها إلى وقالت ياعديا لقد وقتك الأواقى

وفيه البيت الذى ذكر ابن هشام :

إن تحت الأحجار حداً ولينا وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى : مغلاق بالغين المعجمة ، والمعلاق : اللسان ، وأما المغلاق بالغين معجمة ، فالقول الذى يغلق فم الخصم ويسكته . وبعده :

حية فى الوجار اربد لاينفع منها السليم نفث الراقى

وسمى مهلهلا بقوله :

لما توقل فى الكراع هجينهم هلهلت أثأر جابراً أو صنبلا

هلهلت : أى كدت وقاربت ، وأما الألد ، فهو من اللديدين ، وهما جانبا العنق ، فالألد الذى يريغ الحجة من جانب إلى جانب ، يقال : تركته يتلدد . وقال الزجاج : الخصام جمع فى هذه الآية ، ولا يستقيم أن يكون معناه المخاصمة ، لأن أفعل الذى يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه ، تقول : زيد أفصح الناس ، ولا تقول : زيد أفصح الكلام .

قال الشيخ الحافظ رضى الله عنه : وهذا الذى قاله حسن إن كان ألد من هذا الباب الذى مؤنثة الفعلى ، أما إن كان من باب أفعل الذى مؤنثة فعلاء نحو : أخرس وخرساء ، فالخصام مصدر خاصمته ، وهو ظاهر قول المفسرين ، فإنهم فسروه بالشديد الخصومة ، فاللدد إذاً من صفة المخاصمة ، وإن وصف به الرجل مجازاً ، ويقوى هذا قوله : وخصيما ألد ، ولم يضفه ، ولا قال ألد من كذا ، فجعله من باب أصم وأشم ونحوه ، ويقويه أيضاً قولهم فى الجمع : قوم لد ، روت عائشة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أبغض الخلق إلى الله الخصم الألد » وقرأ ابن محيصن « ويشهد الله على ما فى قلبه » بفتح الياء والهاء ، ورفع الهاء من اسم الله تعالى ، أى : ويعلم الله ما فى قلبه .

وذكر شعر حسان فى قصة خبيب ، وقوله فيه :

من القبائل منهم من نفت عدس

قوله : من نفت عدس ، يعنى حجير بن أبى إهاب بن عرين ، وهو ينتسب إلى بنى عدس بن زيد بن عبد الله ابن دارم بن مالك بن حنظلة ، ويقال : بل هو من بنى ربيعة بن مالك بن حنظلة ، ومن هاهنا ذكر نفى بنى عدس له ، من أجل الاختلاف فى نسبه . وعدس بضم الدال فى تميم ، وهو هذا ، وكل عدس فى العرب سواه فهو بفتح الدال ، وهو من عدس فى الأرض إذا ذهب فيها ، والله أعلم ، فمن المفتوح الدال عدس بن عبيد فى الأنصار ، ثم فى بنى النجار ، وهو جد أبى أمامة أسعد بن زرارة وقد قال بعض النسابين فى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الذى تقدم ذكره : عدس بفتح الدال ، والأول أعرف وأشهر .

وذكر قول خبيب حين رفعوه فى الخشبة : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، فمن رواه بدداً بكسر الباء ،

. . . .

فهو مصدر بمعنى التبدد ، أى : ذوى بدد . فإن قيل : فهل أجيبت فيهم دعوة خبيب ، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مستجابة ؟

قلنا : أصابت منهم من سبق فى علم الله أن يموت كافراً ، ومن أسلم منهم فلم يعنه ولا قصده بدعائه ، ومن قتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة ، فإنما قتلوا بدداً غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد ، وقبل ذلك فى بدر، وإن كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل منهم آحاد فيها متبددون ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جمع ولا معسكر غزوا فيه ، فنفذت الدعوة على صورتها وفيمن أراد خبيب ـ رحمه الله ـ وحاشا له أن يكره إيمانهم وإسلامهم .

فصل : وذكر أشعار حسان فى خبيب وأصحابه ، وليس فيهم معنى خفى ، ولا لفظ غريب وحشى ، فيحتاج إلى تفسيره ، لكن فى بعضها :

بنى كهيبة أن الحرب قد لقحت

جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبنى الغبراء وبنى درزة قال الشاعر :

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، وكهيبة من الكهبة وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغبراء ، وأكثر أشعار حسان فى هذه القصة ، قال فيها من هذيل ، لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه ، وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن إلياس وعضل والقارة من بنى خزيمة .

لغويات : وقوله : وابن لطارق ، وابن دثنة منهم ، حذف التنوين كما تقدم فى قوله شلت يدا وحشى من قاتل ، ولو أنه حين حذف التنوين نصب ، وجعله كالاسم الذى لا ينصرف ، وهو فى موضع الخفض مفتوح ، لكان وجهاً وقياساً صحيحاً ، لأن الخفض تابع التنوين ، فإذا زال التنوين زال الخفض ، لئلا يلتبس بالمضاف إلى ضمير المتكلم ، وإن كان ياء فقد يحذف ، ويكتفى بالكسرة منه ، وزوال التنوين فى أكثر ما لا ينصرف إنما هو لاستغناء الاسم عنه ، إذ هو علامة الانفصال عن الاضافة ، فكل اسم لا يتوهم فيه الاضافة لا يحتاج إلى التنوين ، لكنه إذا لم ينون لم يخفض ، لما ذكرناه من التباسه بالمضاف إلى المتكلم ، وقد تقدم فى أشعار أحد : كنار أبى حباحب والظبينا يفتح الباء من حباحب فى موضع الخفض ، وكان حق كل علم ألا ينون ، لأنه مستغن عن الاضافة كما لم ينون جميع أنواع المعارف ، ولكنه نون ما نون منه للسر الذى بيناه فى أسرار ما لا ينصرف من الأسماء ، وقد أملينا فى ذلك جزءاً . ولكن الخفض فى طارق ووحشى مروى ، ووجهه أنه لما كان ضرورة شعر ، ولم يكثر فى كلامهم لم يتبعوا الخفض فيه التنوين إذ لا يتوهم إضافته إلى المتكلم ، إذ لا يقع إلا نادراً فى شعر ، فاللبس فيه بعيد .

اشتقاق اسم خبيب وهذيل : وقوله : وابن البكير إمامهم وخبيب ، أردف حرف الروى بياء مفتوح ما قبلها ، وقد تقدم القول فيه مرتين وخبيب فى اللغة تصغير خب ، وهو الماكر من الرجال الخداع ، ويجوز أن يكون تصغير خاب من الخبيب ، فيكون من باب تصغير الترخيم ، وهو الذى ينبنى على حذف الزوائد ، وأما هذيل فقالوا فيه : إنه مصغر تصغير الترخيم ، لأنه هوذل الرجل ببوله إذا باعد به ، فكأنه تصغير مهوذل على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هذلول ، وهو التل الصغير من الرمل على تصغير الترخيم أيضا ،

. . . .

سالت بتسهيل الهمزة : وقوله : سالت هذيل رسول الله فاحشة ، ليس على تسهيل الهمزة فى سالت ، ولكنها لغة بدليل قولهم : تسايل القوم ، ولو كان تسهيلا ، لكانت الهمزة بين بين ، ولم يستقم وزن الشعر بها ، لأنها كالمتحركة ، وقد تقلب ألفاً ساكنة كما قالوا : المنساة ، ولكنه شىء لا يقاس عليه ، وإذا كانت سال لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل، ولكن قد حكى يونس : سلت تسال مثل خفت تخاف، هو عنده من ذوات الواو، وقال الزجاج : الرجلان يتسايلان ، وقال النحاس والمبرد : يتساولان ، وهو مثل ما حكى يونس .

خبر بئر معونة : قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجلا ، والصحيح أنهم كانوا سبعين ، كذا وقع فى صحيح البخارى ومسلم .

وذكر أبا براء ملاعب الأسنة ، وأنه أجار أصحاب بئر معونة من أهل نجد . وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، سمى ملاعب الأسنة فى يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة، وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم ، وجبلة اسم لهضبة عالية ، وقد تقدم طرف من هذا الحديث فى أول الكتاب، وكان سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذى يقال له فارس قرزل ، وهو طفيل بن مالك ،وقد ذكرنا فى أول الكتاب معنى قرزل ؛ كان أسلمه فى ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى ملاعب الأسنة ، وملاعب الرماح ، قال لبيد :

وإنى ملاعب الرماح ... ومدرة للكتيبة الرداح

وهو عم لبيد بن ربيعة ، وكانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعامر ملاعب الأسنة ، وربيعة المقترين وهو والد لبيد ، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بعدى ... إذا ما الأمر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سمى معوذ الحكماء .

وإياهم عنى لبيد حين قال بين يدى النعمان بن المنذر :

نحن بنى أم البنين الأربعة ... المطعمون الجفنة المدعدعة

والضاربون الهام تحت الخيضعة ... يا رب هيجا هى خير من دعه

ثم ذكر الربيع بن زياد فقال :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

إلى آخر الرجز فى خبر طويل ، إنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ،لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزى إلى الفراء أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافى ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقال : أراد جنة واحدة ، وجاء بلفظ التثنية ، لتتفق رءوس الآى ، أو كلاماً هذا معناه ، فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام ، وأبعده عن العلم ، وفهم

القرآن : وأقل هيبة قائله من أن يتبوأ مقعده من النار ، لحذار منه حذار ، ومما يدلك أنهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة أن فى الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه ، وأن أعمامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما قاولهم به الربيع بن زياد ، فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك ، ويهتمون له فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان ، وزعم أنه سيفحمه فتهاونوا بقوله ، حتى اختبروه بأشياء مذكورة فى الخبر ، فبان بهذا كله أنهم كانوا أربعة ، ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله .

ابن فهيرة : وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل قال يومئذ : من رجل لما طعنته رفع حتى رأيت السماء من دونه ، هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبى عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ ، ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته

أم البنين الأربعة : وذكر قول حسان :

بنى أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم فى ذوائب أهل نجد

وهذه أم البنين التى ذكر لبيد فى قوله :

نحن بنى أم البنين الأربعة

واسمها : ليلى بنت عامر - فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها ، ولم يذكر اسمها ،

وذكر قول أنس بن عباس السلمى :

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاوياً ... بمعترك تسفى عليه الأعاصر
ذكرت أبا الزبان لما رأيته ... وأيقنت أنى عند ذلك ثائر

هكذا وقع فى النسخة أبا الزبان ، وفى رواية إبراهيم بن سعد : أبا الريان بالراء المهملة ، وبالياء أخت الواو وهكذا ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف كما فى روايه إبراهيم بن سعد .

وذكر شعر كعب وفيه : أو للقرطاء ما إن أسلموه ، القرطاء : هم بنو قرط وقريط وقريط ، وهم أبطن من بنى عامر ثم من بنى كلاب .

ولما قتل أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن ، ثم رفع : أو أبلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ، فثبت هذا فى الصحيح ، وليس عليه رونق الإعجاز ، فيقال : إنه لم ينزل بهذا النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن .

فإن قيل : إنه خبر والخبر لا يدخله النسخ ، قلنا : لم ينسخ منه الخبر ، وإنما نسخ منه الحكم ، فإن حكم القرآن أن يتلى فى الصلاة ، وأن لا يمسه إلا طاهر ، وأن يكتب بين اللوحين ، وأن يكون تعلمه من فروض الكفاية . فكل ما نسخ ، ورفعت منه هذه الأحكام ، وإن بقى محفوظاً ، فإنه منسوخ ، فإن تضمن حكماً جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولا به ، وأنكرت ذلك المعتزلة ، وإن تضمن خبراً بقى ذلك الخبر مصدقاً به ، وأحكام

أمر إجلاء بنى النضير

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى ، للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثنى يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف .

فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك ، على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه : ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم . فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، رضوان الله عليهم

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم . فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك فى شهر ربيع الأول ، فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى بن سلول ، ووديعة ، ، ومالك بن أبى قوقل ، وسويدوداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتر بصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

التلاوة منسوخة عنه ، كما قد نزل : لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب

ويروى : لايملأ عينى ابن آدم ، وفم ابن آدم ، كل ذلك فى الصحيح ، وكذلك روى : وادياً من مال أيضاً ، فهذا خبر حق ، والخبر لاينسخ ، ولكن نسخ منه أحكام التلاوة له ، وكانت هذه الآية أعنى قوله : لو أن لابن آدم فى سورة يونس بعد قوله : كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ، كذلك قال ابن سلام وأما الذى بقى ، وكان قرآنا يتلى : فالشيخ والشيخة إذا زنيا ، فارجموهما البتة نكالا من الله ، ولا ترغبوا عن آبائكم ، فإن ذلك كفر بكم ، فهذا حكم كان نسخه جائزاً حين نسخ حكم التلاوة ، وكان جائزاً أن يبقى حكم التلاوة ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم .

يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة، ففعل؛ فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره، فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها.

قال بن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي، التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غفار، بزهاء وفخر ما رئي مثله من حي من الناس في زمانهم.

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش؛ وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها.

قال ابن إسحاق — وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هم به من شأني؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون.

ما نزل في بني النضير من القرآن: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته. وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عمل به فيهم، فقال تعالى: «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين»، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها «فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء» وكان لهم من الله نقمة، «لعذبهم في الدنيا»: أي بالسيف، «ولهم في الآخرة عذاب النار» مع ذلك «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها» واللينة: ما خالف العجوة من النخل «فبإذن الله»: أي فبأمر الله قطعت، لم تكن فساداً، ولكن كان نقمة من الله «وليخزي الفاسقين».

قال ابن هشام: اللينة: من الألوان، وهي ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل، فيما حدثنا أبو عبيدة. قال ذو الرمة:

كأن قتودي فوقها عش طائر ... على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وهذا البيت في قصيدة له.

«وما أفاء الله على رسوله منهم» — قال بن إسحاق: يعني من بني النضير — «فما أوجفتم عليه من خيل

ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير » : أي له خاصة .

قال ابن هشام : أو جفتم : حركتم وأتعبتم في السير . قال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة :

مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب أحياناً إذا الركب أوجفوا

وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . قال أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر :

مسنفات كأنهن قنا الهنـــد لطـــول الوجيف جدب المرود

وهذا البيت في قصيده له .

قال ابن هشام : السناف : البطان . والوجيف : وجيف القلب والكبد ، وهو الضربان . قال قيس بن الخطيم الظفري :

إنا وإن قدموا التي علموا أكبادنا من ورائهم تجف

وهذا البيت في قصيدة له .

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول » — قال ابن إسحاق : ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول — « ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا » يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم « يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب » : يعني بني النضير ، إلى قوله : « كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ، ولهم عذاب أليم » : يعني بني قينقاع . ثم القصة . إلى قوله : كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين »

ما قيل في بني النضير من الشعر : وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعي ـ فقال :

أهلي فداء لامرىء غير هالك أحل اليهود بالحسى المزنم
يقيلون في جمر الغضاة وبدلوا أهيضب عودى بالودى المكسم
فإن يك ظني صادقاً بمحمد تروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم عدو وما حي صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير في الوغى يهزون أطراف الوشيج المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهنـــد تورثن من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة فهل بعدهم في المجد من متكرم
بأن أخاكم فاعلمن محمداً تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم وتسموا من الدنيا إلى كل معظم

نبى تلاقته من الله رحمة ... ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان فى بدر لعمرى عبرة ... لكم يا قريشا والقليب الملمم
غداة أتى فى الخزرجية عامداً ... إليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه ... رسولا من الرحمن حقا بمعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه ... فلما أنار الحق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد فى كل موطن ... علوا لأمر حمه الله محكم

قال ابن هشام : عمرو بن بهثة ، من غطفان ، وقوله « بالحسى المزنم » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب : يذكر إجلاء بنى النضير ، وقتل كعب بن الأشرف .

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى :

عرفت ومن يعتدل يعرف ... وأيقنت حقاً ولم أصدف
عن الكلم المحكم اللاء من ... لدى الله ذى الرأفة الأرأف
رسائل تدرس فى المؤمنين ... بهن اصطفى أحمد المصطفى
فأصبح أحمد فينا عزيزاً ... عزيز المقامة والموقف
فيا أيها الموعدوه سفاهاً ... ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب ... وما آمن الله كالأخوف
وأن تصرعوا تحت أسيافه ... كمصرع كعب أبى الأشرف
غداة رأى الله طغيانه ... وأعرض كالجمل الأجنف
فأنزل جبريل فى قتله ... بوحى إلى عبده ملطف
فدس الرسول رسولا له ... بأبيض ذى هبة مرهف
فباتت عيون له معولات ... متى ينع كعب لها تذرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلا ... فإنا من النوح لم نشتف
فخلاهم ثم قال اظعنوا ... دحوراً على رغم الآنف
وأجلى النضير إلى غربة ... وكانوا بدار ذوى زخرف
إلى أذرعات ردافى وهم ... على كل ذى دبر أعجف

فأجابه سماك اليهودى ، فقال :

إن تفخروا فهو فخر لكم ... بمقتل كعب أبى الأشراف
غداة غدوتم على حتفه ... ولم يأت غدراً ولم يخلف
فعل الليالى وصرف الدهور ... يديل من العادل المنصف
بقتلى النضير وأحلافها ... وعقر النخيل ولم تقطف
فإن لا أمت نأتكم بالقنا ... وكل حسام معاً مرهف

بكف كمى به يحتمى ... متى يلق قرناً له يتلف
مع القوم صخر وأشياعه ... إذا غاور القوم لم يضعف
كليث بترج حمى غيله ... أخى غابه هاصر أجوف

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لقد خزيت بغدرتها الحبور ... كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب ... عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً ... وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتاباً ... وآيات مبينة تنير
فقالوا : ما أتيت بأمر صدق ... وأنت بمنكر منا جدير
فقال : بلى لقد أديت حقاً ... يصدقنى به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد ... ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدراً وكفراً ... وحاد بهم من الحق النفور
أرى الله النبى برأى صدق ... وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعاً ... فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير
فما كره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء ... أبارهم بما اجترموا المبير
غداة أتاهم فى الزحف رهواً ... رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه ... على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا ... وحالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبالا ... لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع ... وغودر منهم نخل ودور

فأجابه سماك اليهودى ، فقال :

أرقت وضافنى هم كبير ... بليل غيره ليل قصير
أرى الأحبار تنكره جميعاً ... وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارسين لكل علم ... به التوراة تنطق والزبور
قتلتم سيد الأحبار كعباً ... وقدماً كان يأمن من يجير
تدلى نحو محمود أخيه ... ومحمود سريرته الفجور
فغادره كأن دماً نجيعاً ... يسيل على مدارعه عبير
فقد وأبيكم وأبى جميعا ... أصيبت إذ أصيب به النضير

فإن نسلم لكم نترك رجالا ... بكعب حولهم طير تدور
كأنهم عتائر يوم عيد ... تذبح وهى ليس لها نكير
ببيض لا تليق لهن عظماً ... صوافى الحد أكثرها ذكور
كما لاقيتم من بأس صخر ... بأحد حيث ليس لكم نصير

وقال عباس بن مرداس أخو بنى سليم يمتدح رجال بنى النضير :

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا ... رأيت خلال الدار ملهى وملعبا
فإنك عمرى هل أريك ظعائنا ... سلكن على ركن الشطاة فتيأبا
عليهن عين من ظباء تبالة ... أوانس يصبين الحليم المجربا
إذا جاء باغى الخير قلن فجاءة ... له بوجوه كالدنانير مرحبا
وأهلا فلا ممنوع خير طلبته ... ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا
فلا تحسبنى كنت مولى ابن مشكم ... سلام ولا مولى حيى بن أخطبا

فأجابه خوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال :

تبكى على قتلى يهود وقد ترى ... من الشجو لو تبكى أحب وأقربا
فهلا على قتلى ببطن أرينق ... بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا
إذا السلم دارت فى صديق رددتها ... وفى الدين صدادا وفى الحرب ثعلبا
عمدت إلى قدر لقومك تبتغى ... لهم شبها كيما تعز وتغلبا
فإنك لما أن كلفت تمدحا ... لمن كان عيبا مدحه وتكذبا
رحلت بأمر كنت أهلا لمثله ... ولم تلف فيهم قائلا لك مرحبا
فهلا إلى قوم ملوك مدحتهم ... تبنوا من العز المؤثل منصبا
إلى معشر صاروا ملوكا وكرموا ... ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا
أولئك أحرى من يهود بمدحة ... تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا

فأجابه عباس بن مرداس السلمى ، فقال :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم ... لهم نعم كانت من الدهر ترتبا
أولئك أحرى لو بكيت عليهم ... وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خير مغبة ... وأوفق فعلا للذى كان أصوبا
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه ... ليبلغ عزا كان فيه مركبا
فبك بنى هارون واذكر فعالهم ... وقتلهم للجوع إذ كنت مجدبا
أخوات أذر الدمع بالدمع وابكهم ... وأعرض عن المكروه منهم ونكبا
فإنك لو لاقيتهم فى ديارهم ... لألفيت عما قد تقول منكبا
سراع إلى العليا كرام لدى الوغى ... يقال لباغى الخير أهلا ومرحبا

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمرى لقد حكت رحى الحرب بعدما ... أطارت لؤيا قبل شرقا وغربا
بقية آل الكاهنين وعزها ... فعاد ذليلا بعد ما كان أغلبا
فطاح سلام وابن سعية عنوة ... وقيد ذليلا للمنايا ابن أخطبا
وأجلب يبغى العز والذل يبتغى ... خلاف يديه ما جنى حين أجلبا
كتارك سهل الأرض والحزن همه ... وقد كان ذا فى الناس أكدى وأصعبا
وشأس وعزال وقد صليا بها ... وما غيبا عن ذاك فيمن تغيبا
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما ... وكعب رئيس القوم حان وخيبا
فبعدا وسحقا للنضير ومثلها ... إن اعقب فتح أو إن الله أعقبا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه بعد بنى النضير بنى المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى ـ وكان يكنى : أبا عبيدة ـ قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلم .

قال ابن هشام ، وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم . ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه . فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة . وطائفة مما يلى عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلى

العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بنى محارب ، يقال : له غورث ، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا: بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم - وكان محلى بفضة ، فيما قال ابن هشام - قال : فأخذه فاستله ، ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ، ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعنى الله منك ثم عمـــد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده عليه . قال : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أنها إنما أنزلت فى عمرو بن جحاش ، أخى بنى النضير وما هم به فالله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جعلت الرفاق تمضى ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، أبطأ بى جملى هذا قال : أنخه ، قال فأنخته ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أعطنى هذه العصى من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ، قال : ففعلت قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت فخرج ، والذى بعثه بالحق ، يواهق ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت: يارسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه يارسول الله ، قال: قد أخذته بدرهم ، قال: قلت : لا ، إذن ، تغبننى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال: قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقد رضيت يارسول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته . قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت ، بعد ؟ قال . قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قال : قلت : لا ، بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ! قال . قلت : يارسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ، قال أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفضت نمارقها قال : قلت : الله يارسول الله مالنا من نمارق ، قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيساً . قال . فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث ، وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ فدعيت له ، قال : فقال : يابن أخى خذ برأس

جملك ، فهو لك ، ودعا بلالا ، فقال له : اذهب بجابر، فأعطه أوقية قال : فذهبت معه ، فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئاً يسيراً . قال : فو الله مازال ينمى عندى ، ويرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعنى يوم الحرة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمى صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لاينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصارى للمهاجرى أى الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوله ، قال : فاضطجع المهاجرى فنام ، وقام الأنصارى يصلى ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة للقوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائما قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائما ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال . اجلس فقد أثبت ، قال : فوثب ، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله ! أفلا أهببتنى أول مارماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك ، وايم الله ، لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بدر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بداله فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع ، فارجعوا فرجع الناس . فسماهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريش على هذا الماء ! قال نعم ، يا أخا بنى ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ماكان بينناوبينك ،قال : لا والله يا محمد ،مالنا بذلك منك من حاجة

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فمر به معبد بن أبى معبدالخزاعى ، فقال، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به .

قد نفرت من رفقتى محمد ... وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوى على دين أبيها الأتلد ... قد جعلت ماء قديد موعدى
وماء ضجنان لها ضحى الغد

قال عبد الله بن رواحة فى ذلك ـ قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميما وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... عمراً أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم ... وأمركم السيء الذى كان غاويا
فإنى وإن عنفتمونى لقائل ... فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغـــيره ... شهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا ... بأرعن جرار عريض المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه ... وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامى تذرى أصوله ... مناسم أخفاف المطى الرواتك
فإن تلق فى تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرىء القيس بعده ... يزد فى سواد لونه لون حالك
فابلغ أبا سفيان عنى رسالة ... فإنك من غر الرجال الصعالك

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أحسان إنا يابن آكلة الفغا ... وجدك نغتال الخروق كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ... لو وألت منا بشد مدارك
إذا ما انبعثنا من مناخ حسبته ... مدمن أهل الموسم المتعارك

أقمت على الرس النزوع تريدنا ... وتتركنا فى النخل عند المدارك
على الزرع تمشى خيلنا وركابنا ... فما وطئت الصقنه بالدكادك
أقمنا ثلاثاً بين سلع وفارع ... بجرد الجياد والمطى والروانك
حسبتم جلاد القوم عند قبابهم ... كمأخذكم بالعين أرطال آنك
فلا تبعث الخيل الجياد ، وقل لها ... على نحو قول المعصم المتماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها ... فوارس من أبناء فهر بن مالك
فإنك لافى هجرة إن ذكرتها ... ولا حرمات الدين أنت بناسك

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذى بعده لحسان بن ثابت فى قوله :

دعوا فلجات الشام قد حال دونهـــا

وأنشدنى له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة بنى النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوه فى هذا الموضع ، وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهرى ، قال : كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر .

تأويل قوله تعالى : ما قطعتم من لينة : وذكر نزول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببنى النضير ، وسيره إليهم حين نقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه ، وهموا بقتله ، فلما تحصنوا فى حصونهم وحرق نخلهم نادوه أن يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه ، وذكر الحديث . قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء ، حتى أنزل الله تعالى : « ماقطعتم من لينة ، أو تركتموها قائمة على أصولها » . واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يحرق من نخلهم إلا ماليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة ، وفى الحديث : العجوة من الجنة ، وثمرها يغذو أحسن غذاء ، والبرنى أيضاً كذلك . وقال أبو حنيفة : معناه بالفارسية حمل مبارك ، لأن بر معناه : حمل ، ونى معناه جيد ، أو مبارك فعربته العرب ، وأدخلته فى كلامها ، وفى حديث وفد عبد القيس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم ، وذكر البرنى : إنه من خير تمركم ، وإنه دواء وليس بداء ، رواه منهم مزيدة العصرى ، ففى قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة » ولم يقل : من نخلة على العموم : تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو إذا رجى أن يصير إلى المسلمين ، وقد كان الصديق ـ رضى الله عنه ـ يوصى الجيوش ألا يقطعوا شجراً مثمراً ، وأخذ بذلك الأوزاعى ، فإما تأولوا حديث بنى النضير ، وإما رأوه خالصاً للنبى عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت فى بنى النضير ، ولا اختلفوا فى أموالهم ، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، وإنما قذف الرعب فى قلوبهم وجلوا عن منازلهم إلى خيبر ، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم ، فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار ، إذ كانوا قد ساهموهم فى الأموال والديار ، غير أنه

. . . .

أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما ، وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الأنصار ، وذكر الحارث ابن الصمة فيهم .

وقوله سبحانه : « يخربون بيوتهم » أى يخربونها من داخل ، والمؤمنون من خارج ، وقيل معنى بأيديهم : بما كسبت أيديهم من نقض العهد ، وأيدى المؤمنين ، أى بجهادهم .

وقوله « لأول الحشر » ، روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى : أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : إنهم كانوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر: الجلاء ، وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه التثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبقين دينان بأرض العرب .

وقوله : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » يقال : نزلت فى قتل كعب بن الأشرف .

وقوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » وروى عن مالك أنه قال : هم بنو قريظة ، وأهل التأويل على أنها عامة فى جميع القرى المفتتحة على المسلمين وإن اختلفوا فى حكمها ، فرأى قوم قسمها كما تقسم الغنائم ، ورأى بعضهم للإمام أن يقفها ، وسيأتى بيان هذه المسألة فى غزوة خيبر إن شاء الله .

وذكر شعر العبسى فى إجلاء اليهود ، فقال   أحل اليهود بالحسى المزنم

يريد : أحلهم بأرض غربة ، وفى غير عشائرهم ، والزنيم : الرجل يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحسى ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسياً لأنه عرضة الأكل ، والحسى والحسو مايحسى من الطعام حسواً ، أى أنه لا يمتنع على آكل ، ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى ، يقال : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم رذال المال وغذاء الغنم ، والمزنم منه ، فهذا وجه يحتمل ، وقد أكثرت التنقير عن الحسى فى مظانه من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبى على : الحسية ، والحسى ما يحسى من الطعام ، وإذا قد وجدنا الغذى واحد غذاء الغنم ، فالحسى فى معناه غير ممتنع أن يقال ، والله أعلم . والمزنم أيضاً : صغار الإبل ، وسائر هذا الشعر مع ما بعده من الأشعار ليس فيه عويص من الغريب ، ولا مستغلق من الكلام .

الكاهنان : وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قريظة والنضير ، وفى الحديث : يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يرونه أنه محمد بن كعب القرظى وهو محمد بن كعب بن عطيه ، وسيأتى خبر جده عطية فى بنى قريظة ، والكاهن فى اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذى يقوم بحاجة أهله ، إذا خلف عليهم ، يقال : هو كاهن أبيه وكاهله ، قاله الهروى ، فيحتمل أن يكون سمى الكاهنان بهذا .

خروج بنى النضير إلى خيبر : فصل : وذكر ابن إسحاق خروج بنى النضير ، إلى خيبر ، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة ابن الورد التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غفار . انتهى كلام ابن إسحاق ، ولم يذكر اسمها فى رواية

البكائى عنه ، وذكره فى غيرها ، وهى سلمى قال الأصمعى : اسمها : ليلى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة ، كانت ناكحاً فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد ، فسباها ، وذكر الحديث ، وقول أبى الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة . غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وعروة بن الورد بن زيد ، ويقال : ابن عمرو بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس ، فهو عبسى غطفانى قيسى ، لأن عبسا هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان قال فيه عبد الملك بن مروان : مايسرنى أن أحداً من العرب ولدنى إلا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأ منى أن سمنت ، وقد ترى   بجسمى مس الحق والحق جاهدا
إنى امرؤ عافى إنائى شركة   وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة   وأحسو قراح الماء والماء بارد

وكان يقال : من قال : إن حاتماً أسمح العرب ، فقد ظلم عروة بن الورد ، قال أبو الفرج : وكان عروة يتردد على بنى النضير ، فيستقرضهم إذا احتاج ، ويبيع منهم إذا غنم ، فرأوا عنده سلمى ، فأعجبتهم ، فسألوه أن يبيعها منهم فأبى فسقوه الخمر ، واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه وفى ذلك يقول :

سقونى الخمر ثم تكنفونى   عداة الله من كذب وزور

وروى أيضاً أن قومها افتدوها منه ، وكان يظن أنها لاتختار عليه أحداً ، ولا تفارقه ، فاختارت قومها فندم ، وكان له منها بنون فقالت له : والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت ستراً على بعل مثلك أغض طرفاً ، ولا أندى كفاً ولا أغنى غناء ، وإنك لرفيع العماد ، كثير الرماد ، خفيف على ظهور الخيل ، ثقيل على متون الأعداء ، راض للأهل والجار ، وما كنت لأوثر عنك أهلى ، لولا أنى كنت أسمع بنات عمك يقلن فعلت أمة عروة ، وقالت أمة عروة ، فأجد من ذلك الموت ، والله لا يجامع وجهى وجه غطفانية أبداً ، فاستوص ببنيك خيراً ، قال ثم تزوجها بعده رجل من بنى النضير ، فسألها أن تثنى عليه فى نادى قومه ، كما أثنت على عروة ، فقالت : أعفنى ، فإنى لا أقول إلا ما علمته ، فأبى أن يعفيها ، فجاءت حتى وقفت على النادى ، وهو فيه ، فقالت : عموا صباحاً ، ثم قالت له : إن هذا أمرنى أن أثنى عليه بما علمت فيه ، ثم قالت له : والله إن شملتك لالتفاف ، وإن شربك لاشتفاف ، وإن ضجعتك لانجعاف ، وإنك لتشبع ليلة تضاف ، وتنام ليلة تخاف فقال له قومه : قد كنت فى غنى عن هذا ، وفيها يقول عروة بن الورد :

أرقت وصحبتى بمضيق عمق   لبرق فى تهامة مستطير
إذا قلت استهل على قديد   يحور ربابه حور الكسير
سقى سلمى ، وأين محل سلمى   إذا حلت مجاورة السرير
إذا حلت بأرض بنى على   وأهلك بين أمرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب   محل الحى أسفل ذى القير
وآخر معهد من أم وهب   معرسنا فويق بنى النضير
وقالت : ماتشاء ، فقلت : ألهو   إلى الإصباح آثر ذى أثير

. . . .

بآنسة الحديث رضاب فيها   بعيد النوم كالعنب العصير
أطعت الآمرين بصرم سلمى   فطاروا فى بلاد اليستعور
سقونى الخمر ثم تكنفونى   عداة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعد فداء سلم   بمغن ما لديك ولا فقير
ولا وأبيك لو كاليوم أمرى   ومن لك بالتدبر فى الأمور
إذاً لملكت عصمة أم وهب   على ما كان من حسك الصدور
فيا للناس كيف غلبت نفسى   على شىء ويكرهه ضميرى

قوله : السرير موضع فى ناحيه كنانة ، وقوله : اليستعور : هو موضع قبل حرة المدينة ، فيه عضاه من سمر وطلع ، وقال أبو حنيفة : اليستعور شجر يستاك به ، ينبت بالسراة ، واليستعور أيضاً من أسماء الدواهى ، والياء فى اليستعور أصلية ، فهذا شرح ما أومأ إليه ابن إسحاق من حديث أم عمرو ، وإنما هى أم وهب كما تكرر فى شعره .

غزوة ذات الرقاع

وسميت ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم فى قول ابن هشام : قال ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع . وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى ، قال : « خرجنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه » .

صلاة الخوف : فصل : وذكر صلاة الخوف وأوردها من طرق ثلاث ؛ وهى مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر . سمعت شيخنا أبا بكر ـ رحمه الله ـ يقول : فيها ست عشرة رواية ، وقد خرج المصنفون أصحها ، وخرج أبو داود منها جملة ، ثم اختلاف الفقهاء فى الترجيح ، فقال طائفة : يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن ، وقالت طائفة : يجتهد فى طلب الآخر منها ، فإنه الناسخ لما قبله ، وقالت طائفة : يؤخذ بأصحها نقلا ، وأعلاها رواة ، وقالت طائفة : وهو مذهب شيخنا : يؤخذ بجميعها على حسب اختلاف أحوال الخوف ، فإذا اشتد الخوف ، أخذ بأيسرها مؤنة ، فإذا تفاقم الخوف صلوا بغير إمام لقبلة أو لغير قبلة ، وروى ابن سلام عن طائفة من السلف أن صلاة الخوف ، قد تئول إلى أن تكون أربع تكبيرات ، وذلك عند معمعة القتال ، وسيأتى بقية القول فى صلاة الخوف فى خبر بنى قريظة إن شاء الله ، ومما تخالف به صلاة الخوف حكم غيرها أنه لا سهو فيها على إمام ، ولا على مأموم رواه الدارقطنى بسند ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا سهو فى صلاة الخوف .

لغويات : فصل : وذكر حديث جابر حين أبطأ به جمله فنخسه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نخسات ، فخرج يواهق ناقته مواهقة ، المواهقة كالمسابقة : والمجاراة ، وأنشد سيبويه لأوس بن حجر :

تواهق رجلاها يداها ورأسه   لها قتب خلف الحقيبة رادف

. . . .

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل ، لأن المواهقة ، لا تكون إلا من اثنين ، فكل واحد منهما فاعل فى المعنى كما ذكروا فى قول الراجز :

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما

هكذا تأوله سيبويه ، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يحمل التثنية بالألف فى الرفع والنصب والخفض كما قال:

تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابى التراب عقيم

وكما قال الآخر :

قد بلغا فى المجد غايتاها (١)

وهى لغة بنى الحارث بن كعب، قاله أبو عبيد . وقال النحاس فى الكتاب المقنع: هى أيضا لغة لخثعم وطيىء وأبطن من كنانة ، والبيت أعنى : تواهق رجلاها يداها ، هو لأوس بن حجر الأسدى ، وليس من هذه لغته ، فالبيت إذاً على ما قاله سيبويه .

وذكر مساومة النبى صلى الله عليه وسلم لجابر فى الجمل ، حتى اشتراه منه بأوقية ، وأعطاه أولا درهما ،فقال لا إذاً تغبننى يا رسول الله ، فإن كان أعطاه الدرهم مازحاً ، فقد كان يمزح ، ولا يقول إلا حقا ، فإذا كان حقا ، ففيه من الفقه إباحة المكايسة الشديدة فى البيع ، وأن يعطى فى السلعة ما لا يشبه أن يكون ثمنا لها بنص الحديث وفى دليله أن من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها ثمنا ، وهو عاقل بصير ، ولم يكن فى البيع تدليس عليه ، فهو بيع ماض لا رجوع فيه ، وروى من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهما قد أخذته بكذا والله يغفر لك ، فكأنه عليه السلام أراد بإعطائه إياه درهما درهما أن يكثر استغفاره له ، وفى جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا . وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به فى جواز بيع وشرط ، لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرط له ظهره إلى المدينة، وقالت طائفة: لا يجوز بيع وشرط، وإن وقع فالشرط باطل ؛ والبيع باطل، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه عبد الله بن عمرو بن العاصى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن شرط وبيع ، وعن بيع وسلف

وقد روى أبو داود هذا الحديث ، فقال : عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو .

وهذه رواية مستغربة عند أهل الحديث جداً ، لأن المعروف عندهم أن شعيباً إنما يروى عن جده عبد الله ، لا عن أبيه محمد لأن أباه محمداً مات قبل جده عبد الله ، فقف على هذه التنبيهة فى هذا الحديث ، فقل من تنبه إليها وقالوا : لا حجة فى حديث جابر لما فيه من الاضطراب ، فقد روى أنه قال : أفقرنى ظهره إلى المدينة ، وروى

---

(١) أصل هذا الشعر :

واهاً لسلمى ثم واها واها هى المنى لو أننا نلناها

بثمن يرضى به أباها إن أباها وأبا أباها

قد بلغا فى المجد غايتاها

أنه قال : استثنيت ظهره إلى المدينة ، وروى أنه قال : شرط لى ظهره ، وقال البخارى : الاشتراط أكثر وأصح وكذلك اضطربوا فى الثمن ، فقالوا : بعته منه بأوقية ، وقال بعضهم : بأربع أواق ، وقال بعضهم : بخمس أواق وقال بعضهم : بخمسة دنانير ، وقال بعضهم : بأربعة دنانير ، وقال بعضهم : هو فى معنى الأوقية ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخارى ، وقال مسلم فى بعض رواياته : دينارين ودرهمين ، وقالت طائفة بإبطال الشرط ، وجواز البيع ، واحتجوا بحديث بريرة حين باعها أهلها من عائشة ، واشترطوا الولاء فأجاز النبى صلى الله عليه وسلم البيع وأبطل الشرط ، واستعمل مالك هذه الأحاديث أجمع ، فقال : بإبطال البيع والشرط على صورة ، وبجوازهما على صورة أخرى ، وبإبطال الشرط وجواز البيع على صورة أيضاً ، وذلك بين فى المسائل لمن تدبرها وأبين ما توجد محكمة الأصول مستثمرة الجنا والفصول فى كتاب المقدمات لابن رشد ، فلينظرها هنالك من أرادها .

فصل : ومن لطيف العلم فى حديث جابر بعد أن تعلم قطعاً أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يفعل شيئاً عبثاً بل كانت أفعاله مقرونة بالحكمة ومؤيدة بالعصمة ، فاشتراؤه الجمل من جابر ثم أعطاه الثمن ، وزاده عليه زيادة . ثم رد الجمل عليه ، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون مساومة فى الجمل ، ولا اشتراء ولا شرط ولا توصيل ، فالحكمة فى ذلك بديعة جداً ، فلتنظر بعين الاعتبار ، وذلك أنه سأله : هل تزوجت ، ثم قال له : هلا بكراً ، فذكر له مقتل أبيه ، وماخلف من البنات ، وقد كان عليه السلام قد أخبر جابراً بأن الله قد أحيا أباه ، ورد عليه روحه ، وقال : ما تشتهى فأزيدك ، فأكد عليه السلام هذا الخبر بمثل ما يشبهه ، فاشترى منه الجمل ، وهو مطيته ، كما اشترى الله تعالى من أبيه ، ومن الشهداء أنفسهم بثمن هو الجنة ، ونفس الإنسان مطيته كما قال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ إن نفسى مطيتى ، ثم زادهم زيادة فقال: « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، ثم رد عليهم أنفسهم التى اشترى منهم فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً » ، فأشار عليه السلام باشترائه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزيادته على الثمن ، ثم رد الجمل المشترى عليه ، أشار بذلك كله إلى تأكيد الخبر الذى أخبر به عن فعل الله تعالى بأبيه ، فتشاكل الفعل مع الخبر ، كما تراه ، وحاش لأفعاله أن تخلو من حكمة بل هى كلها ناظرة إلى القرآن ومنتزعة منه صلى الله عليه وسلم .

فصل : وحدث عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر ، وذكر حديث غورث ، وقد ذكره البخارى فقال فيه : غورث بن الحارث ، وقد ذكره الخطابى ، فقال فيه : إنه لما هم بقتل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رمى بالزخة فندر السيف من يده ، وسقط إلى الأرض . الزلخة : وجع يأخذ فى الصلب ، وأما روايته الحديث عن عمرو بن عبيد فأعجب شىء سياقته إياه عن عمرو بن عبيد ، وقد رواه الأثبات عن جابر ، وعمرو بن عبيد متفق على وهن حديثه ، وترك الرواية عنه ، لما اشتهر من بدعته ، وسوء نحلته ، فإنه حجة القدرية ، فيما يسندون إلى الحسن ـ رضى الله عنه ـ من القول بالقدر ، وقد برأه الله منه ، وكان عند الله وجيهاً ، وأما عمرو بن عبيد بن دأب ، فقد كان عظيماً فى زمانه عالى الرتبة فى الورع ، حتى افتتن به ، وبمقالته أمة فصاروا قدرية ، وقد نبز بمذهبه قوم من أهل الحديث ، فلم يسقط حديثهم ، لأنهم لم يجادلوا على مذهبهم ، ولا طعنوا فى مخالفيهم من أهل السنة ، كما فعل عمرو ابن عبيد : فممن نبز بالقدر ابن أبى ذئب وقتادة وداود بن الحصين وعبد الحميد بن جعفر ، وطائفة سواهم من الأثبات فى علم الحديث ، وعمرو بن عبيد يكنى أبا عثمان وأبوه عبيد بن دأب كان صاحب شرطة فيما ذكروا

وسمع يوماً ناساً يقولون فى ابنه هذا خير الناس ابن شر الناس ، فالتفت إليهم ، وقال : وما يعجبكم من هذا ؟ هو كإبراهيم وأنا كآزر ، وكان أبو جعفر المنصور ، يقول بعد موت عمرو بن عبيد : ما بقى أحد يستحيا منه بعد عمرو ، وكان يقول :

كلكم خاتل صيد * كلكم يمشى رويد * غير عمرو بن عبيد

وقد نبز ابن إسحاق بالقدر أيضاً ، وروايته عن عمرو بن عبيد تؤيد قول من عزاه إليه ، والله أعلم .

وقعة الحرة : وذكر قول جابر : فوالله مازال ينمى عندنا ، ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب منا يوم الحرة يعنى : وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم ، روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بينى وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انتهت المدينة فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدرى صاحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا له : قد سمعنا خبرك ، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على ، وما عندى شىء ، فقالوا : كذبت ونتفوا لحيته ، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذى كنا بمساق حديثه ، فخرج فى ذلك اليوم يطوف فى أزقة المدينة والبيوت تنتهب ، وهو أعمى ، وهو يعثر فى القتلى ، ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبى ، فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل فى ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، فقد ذكروا أن امرأة من الأنصار دخل عليها رجل من أهل الشام ، وهى ترضع صبيها ، وقد أخذ ما كان عندها ، فقال لها : هات الذهب ، وإلا قتلتك ، وقتلت صبيك ، فقالت : ويحك إن قتلتنا فأبوه أبو كبشة صاحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما خنت الله فى شىء بايعت رسوله عليه ، فانتفض الصبى من حجرها ، وثديها فى فيه ، ، وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الأرض والمرأة تقول : يا بنى لو كان عندى شىء نفديك به ، لفديتك ، فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه ، وصار مثلة فى الناس .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأة جدة للصبى ، لا أما له ، إذ يبعد فى العادة أن تبايع النبى عليه السلام ، وتكون يوم الحرة فى سن من ترضع . والحرة التى يعرف بها هذا اليوم يقال لها حرة زهرة ، وفى الحديث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف بها ، وقال : ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتى بعد أصحابى ، ويذكر عن عبد الله بن سلام ، أنه قال : لقد وجدت صفتها فى كتاب يهود بن يعقوب الذى لم يدخله تبديل ، وأنه يقتل فيها قوم صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم ، وذكر الحديث . وعرفت حرة زهرة بقرية كانت لبنى زهرة

. . . .

قوم من اليهود ، وكانت كبيرة فى الزمان الأول ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ، ذكر هذا الزبير فى فضائل المدينة له : وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين ، وقد كان يزيد بن معاويه قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يعطى الناس واجتهد فى استمالتهم إلى الطاعة ، وتحذيرهم من الخلاف ، ولكن أبى الله إلا ما أراد والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

فصل : وذكر حديث الأنصارى والمهاجرى ، وهما عباد بن بشر ، وعمار بن ياسر ، وأن رجلا من العدو رمى الأنصارى بسهم ، وهو يصلى لما علم أنه ربيئة القوم ، الربيئة هو الطليعة ، يقال : ربأ على القوم يربأ فهو رباء وربيئة قال الشاعر :

ربأء شماء لا يأوى لقلتها ... إلا السحاب وإلا الأوب والسبل

رباء : فعال من ربا إذا نظر من مكان مرتفع ، وشماء ، يريد هضبة شماء ، وإنما قالوا : ربيئة بهاء التأنيث ، وطليعة ، لأنهما فى معنى العين ، والعين مؤنثة ، تقول : ثلاثة أعين ، وإن كانوا رجالا ، يعنى الطلائع ، لأن الطليعة والربيئة إنما يراد منه عينه الناظرة ، كما تقول فى ثلاثة أعبد : أعتقت ثلاث رقاب ، فتؤنث ، لأن الرقبة ترجمة عن جميع العبد ، كما أن العين الذى هو الطليعة كذلك ، ويجوز أن تكون الهاء فى ربيئة وطليعة للمبالغة ، كما هى فى علامة ونسابة ، فعلى الوجه الأول تقول : ثلاث طلائع ، وثلاث ربايا فى جمع ربيئة ، كما تقول : ثلاث أعين ، لأنه باب واحد من التأنيث ، وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت : ثلاثة وأربعة ، لأنك تقصد التذكير ، لأن هاء المبالغة لا توجب تأنيث المسمى ، ولأنها فى الصفة ، والصفة بعد الموصوف ، ولذلك تقول : هذا علامة ، ولا تقول : هذه علامة بخلاف الرقبة والعين ، لأنك تقول فى العبد الذكر : هذه رقبة فأعتقها ، وفى العين . هذه طليعة ، وهذه عين ، وأنت تعنى الرجل ، هذا معنى الفرق بينهما .

وفى هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح وجرحه يثعب دماً ، كما فعل عمر بن الخطاب ، وقد ترجم بعض المصنفين عليه لموضع هذا الفقه ، وفيه متعلق لمن يقول : إن غسل النجاسة ، لا يعد فى شروط صحة الصلاة ، وفيه من الفقه أيضاً تعظيم حرمة الصلاة ، وأن للمصلى أن يتمادى عليها وإن جر إليه ذلك القتل ، وتفويت النفس ، مع أن التعرض لفوات النفس ، لا يحل إلا فى حال المحاربة ، ألا ترى إلى قوله : لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو انفدها ، يعنى : السورة التى كان يقرؤها .

وذكر قول معبد : وعجوة من يثرب كالعنجد

العنجد : حب الزبيب ، وقد يقال للزبيب نفسه أيضاً عنجد ، وأما العنب ، فيقال : لعجمه : الفرصد ، والأتلد : والأقدام من المال التليد .

وأما قول حسان : دعوا فلجات الشام

جمع فلج ، وهو الماء الجارى ، سمى فلجا ، لأنه قد خد فى الأرض ، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الأسنان ، أو من الفلج وهو القسم ، والفالج مكيال يقسم به ، والفلج والفالج بعير ذو سنامين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلجة المزرعة

غزوة دومة الجندل فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق فى شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظى ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله — فقالت لهم قريش :

وذكر شعر أبى سفيان :   أحسان إنا يابن آكله الفغا

الفغا : ضرب من التمر ، ويقال : هى غبرة تعلو البسر ، والغفالة فى الفغا .

وفيه :   كأخذكم بالعين أرطال آنك

ألفيت على هذا البيت فى حاشية أبى بحر ما هذا نصه : ذكر محمد بن سلام فى الطبقات له هذا البيت :

حسبتم جلاد القوم حول بيوتكم   كأخذكم فى العين أرطال آنك

ووصل به بأن قال : فقال أبو سفيان بن حرب لأبى سفيان بن الحارث يا ابن أخى : لم جعلتها آنك إن كانت لفضة بيضاء جيدة .

وقوله :   سعدتم بها وغيركم كان أهلها

وفى حاشية الشيخ : شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها .

وقوله :   خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

اليعافير : الظباء العفر ، يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير .

يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » .. إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » : أى النبوة ، « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمه وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيراً » .

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان ، من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ،وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب : قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، فى بنى فزارة ، والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، فى بنى مرة ، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أسجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع

حفر الخندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الامر، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التى لابد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير ، واحتسابا له .

ما نزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق : فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم» . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » .

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب : قال حسان بن ثابت :

وقريش تفر منا لواذاً أن يقيموا وخف منها الحلوم

وهذا البيت فى قصيدة له قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد

« ألا إن لله ما فى السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه » .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شيء عليم » .

المسلمون يرتجزون فى العمل : قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جعيل ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرآ ، فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمرآ وكان للبائس يوماً ظهرآ

فإذا مروا « بعمرو » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرآ ، وإذا مروا « بظهر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرآ .

معجزات ظهرت فى حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها ، فوالذى بعثه بالحق نبياً ، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأساً ولا مسحاة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا أنه حدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية ؛ اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله ، هـذا تمر ، بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه ، قال : هاتيه ، قالت : فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه . فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى شويهة ، غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزآ ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق - قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال: فلما أن قلت له ذلك قال: نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ، قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه، قال : فجلس وأخرجناها إليه، قال : فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسى ، أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغلظت على صخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدى، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحتــــه برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هـذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت: نعم ، قال : أما الأول فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول ، حين فتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقمى ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره . والخندق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام .

حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد : وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى ، حتى أتى كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيى : ويحك يا كعب ! افتح لى ، قال : ويحك يا حيى : إنك امرؤ مشئوم، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا ، قال : ويحك افتح لى أكلمك، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال: ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، ويحك يا حيى ! فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء . فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب ، حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة بن دليم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو

يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس - قال : فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، خبيب وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

لم يكن معتب منافقا : قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قيظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فانها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل والحصار .

قال ابن هشام : ويقال الرميا .

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى - إلى عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة فى ذلك ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يارسول الله ، أمراً نحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، ولا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ،

إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس ، أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبى قيس .

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بنى كنانة ، فقالوا: تهيئوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

سلمان يشير بحفر الخندق : قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسى أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحدثنى بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

على يقتل عمرو بن عبد ود : قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه . فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز فبرزله على بن أبى طالب فقال له : ياعمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام قال : لاحاجه لى بذلك ، قال : فإنى أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يا بن أخى ؟ فو الله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على على ،فتنازلا ، فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصوابى
فصددت حين تركته متجدلا ... كالجذع بين دكادك وروابى
وعففت عن أثوابه ولو اننى ... كنت المقطر بزنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيـــه يامعشر الأحزاب

قال ابن إسحاق : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى بن أبى طالب .

هجاء حسان لعكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ،فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فر وألقى لنا رمحـــه ... لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم ... ما إن تجور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستأنساً ... كأن قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات فى أبيات له .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حم ، لاينصرون .

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن . بن سهل الأنصارى، أخو بنى حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق،وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد أبو معاذ معها فى الحصن ، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فمر سعد وعليه درع له مقلصة ، وقد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرفل بها ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل ... لابأس بالموت إذا حان الأجل

قال فقالت له أمه : الحق : أى بنى ، فقد والله أخرت ، قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ، قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل ، رماه كما حدثنى عاصم بن قتادة ، حبان بن قيس بن العرقة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولاتمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرم هلا لمتنى إذ تقول لى ... فداك بآطام المدينة خالد

ألست الذى ألزمت سعداً مرشة ... لها بين أثناء المرافق عاند

قضى نحبه منها سعيد فأعولت ... عليه مع الشمط العذارى النواهد

وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا ... عبيدة جمعاً منهم إذ يكابد

على حين ما هم جائر عن طريقه ... وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

حديث حسان فى وقعة الخندق : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع ، حصن حسان بن ثابت ، قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان ، قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم ، لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : ياحسان ، إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يابنة عبد المطلب . والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته . قالت فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسلبه من حاجة يابنة عبد المطلب .

. . . .

خداع نعيم للمشركين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديماً فى الجاهلية ، فقال : يابنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لاتقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يامعشر غطفان ، إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحب النّاس إلى ، ولا أراكم تتهمونى ، قالوا : صدقت ، وما أنت عندنا بمتهم ، قال فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ماحذرهم .

ما أنزل الله بالمشركين: فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل ، فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم

نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم : وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

استخبار ما حل بالمشركين : قال : فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه اليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة ابن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال ، نعم . يا بن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال ، والله لقد كنا نجهد قال: فقال :والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا قال : فقال حذيفة : يابن أخى ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوياً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال . يا حذيفة ، اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فو الله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ، أن لا تحدث شيئاً حتى تأتينى ، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن ،

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الرجوع من الخندق : قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة فى سنة خمس

جبريل يأتى بحرب بنى قريظة : فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزهرى ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، فأذن فى الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بنى قريظة : قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس . فسار على بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يارسول الله ، قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : ياإخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

جبريل فى صورة دحية الكلبى : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد؟ قالوا : يارسول الله ، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى ، على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا .

قال ابن هشام : بئر آنى .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بدفى حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى

الحصار : قال : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

وقد كان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب ابن أسد بما كان عاهده عليه .

كعب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلال ثلاثاً فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل ، أنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، وقالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ، ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال ، فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قصة أبى لبابة : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح قال أبو لبابة : فوالله مازلت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى فى أبى لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر ، وهو فى بيت أم سلمة . فقالت أم سلمه : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يارسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أبى لبابة ، قالت : قلت : أفلا أبشره يارسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم » .

إسلام بعض بني هدل : قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هدل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة عمرو بن سعدى : وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام . ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه ، وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أي ذلك كان

تحكيم سعد في أمر بني قريظة : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوهبهم له ، فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم : يقال لها رفيدة ، في مسجده ، كانت تداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ، فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أنى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم ، وعلى من هاهنا ، في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

• •

قال ابن هشام : حدثني بعض من أثق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ، فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار الحارث ، امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ست مائة أو سبع مائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتي بحيي بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقاحية ـ قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوشي ـ قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله مالمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته : فانطلق بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد ، فقتلته .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان الزبير قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ، ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان من عليه يوم بعاث ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله ـ فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ، قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يجزي الكريم ، ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزبير علي منة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت

وأمى يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ، قال : هم لك . قال: فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك ، قال : أى ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى، كعب بن أسد ؟ قال : قتل، قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن أخطب ؟ قال: قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزال بن سموأل ؟ قال : قتل ، قال: فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظه؟ قال : ذهبوا قتلوا . قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » ، قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً مخلداً .

قال ابن هشام : قبلة دلو ناضح . وقال زهير بن أبى سلمى فى « قبلة » :

وقابل يتغنى كلما قدرت   على العراقى يداه قائماً دفقاً

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول

عطية القرظى ورفاعة بن سموأل : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدونى لم أنبت ، فخلوا سبيلى

قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس، أم المنذر ، أخت سليط بن أخت سليط بن قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء ـ سألته رفاعة بن سموأل القرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة ، فإنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها فاستحييته .

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فىء وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحاً .

إسلام ريحانة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانه بنت عمرو بن خنافة ،

إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت يا رسول الله ، بل تتركنى فى ملكك، فهو أخف على وعليك، فتركها ، وقد كانت حين سباها قد تعصبت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن ، القصة فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً » ، والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » ، فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان ، يقول الله تبارك وتعالى : « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال « وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة ، إن يريدون إلا فراراً » لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه « ولو دخلت عليهم من أقطارها » : أى المدينة .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها : قتر .
قال الفرزدق :

كم من غنى فتح الإله لهم به   والخيل مقعية على الأقطار

ويروى : « على الأقتار » ، وهذا البيت فى قصيدة له .

« ثم سئلوا الفتنة » : أى الرجوع إلى الشرك « لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً ، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار : وكان عهد الله مسئولا » ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، وإذاً لا تمتعون إلا قليلا * قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً * قد يعلم الله المعوقين منكم » : أى أهل النفاق « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا » : أى إلا دفعاً وتعذيراً « أشحة عليكم » : أى للضغن الذى فى أنفسهم « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت » : أى إعظاما له وفرقاً منه« فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حسبة فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذوكم . تقول العرب : خطيب سلاق ، وخطيب مسلق ومسلاق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

فيهم المجد والسماحة والنجـ دة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت فى قصيدة له .

« يحسبون الأحزاب لم يذهبوا » قريش وغطفان « وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليما » : أى صبراً على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه » أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب ، قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحبه فى ملتقى الخيل هوبر

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهوبر : من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد بن هوبر ، والنحب : النذر ، قال جرير بن الخطفى :

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وبسطام : بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، وهو ابن ذى الجدين : حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار ، وطخفة : موضع بطريق البصرة ، والنحب : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذا نحبت كلب على الناس أينا على النحب أعطى للجزيل وأفضل

والنحب : البكاء ، ومنه قولهم ينتحب ، والنحب : الحاجة والهمة ، تقول : مالى عندهم نحب ، قال مالك بن نويرة اليربوعى :

ومالى نحب عندهم غير أننى تلمست ما تبغى من الشدن الشجر

وقال نهار بن توسعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موالى بنى حنيفة :

ونجى يوسف الثقفى ركض دراك بعد ما وقع اللواء

ولو أدركنه لقضين نحباً به ولكل مخطأة وقاء

والنحب : السير الخفيف المر .

قال ابن إسحاق : « ومنهم من ينتظر » : أى ما وعد به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ، يقول الله تعالى : « وما بدلوا تبديلا » : أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره ، « ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيماً . ورد الله الذين كفروا بغيظهم » : أى قريشاً وغطفان « لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب » : أى بنى قريظة « من صياصيهم » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها

قال ابن هشام : قال سحيم عبد بنى الحسحاس ، وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خزيمة :

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : القرون ، قال النابغة الجعدى :

وسادة رهطى حتى بقيـ ت فرداً كصيصية الأعضب

يقول . أصاب الموت سادة رهطى ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال أبو دواد الإيادى :

فذعرنا سحم الصياصى بأيديـ ـهن نضح من الكحيل وقار

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى ، جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

نظرت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : التى تكون فى أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار ، والصياصى . الأصول ، أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول : جذ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : « وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا » : أى قتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها » : يعنى خيبر « وكان الله على كل شىء قديراً » .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق . حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قدمات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أسيد بن حضير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلا بادناً ، فلما حمله النـــاس

وجدوا له خفة :فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حملة غيركم ، والذى نفسى بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ،واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مم سبحت؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرجه الله عنه

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وقالت أم سعد ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه ـ قال ابن هشام ـ وهى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد ابن ثعلبة بن عبد بن الأبجر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج :

ويل أم سعد سعداً صرامة وحداً
وسودداً ومجداً وفارسا معداً
سد به مسدا يقد هاما قدا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ .

الشهداء يوم الخندق : قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلى ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ . وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة ، رجلان .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب ، فقتله .

قال ابن هشام : سهم غرب وسهم غرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به .

قتلى المشركين : وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدار بن قصى : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .
قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه ، فقتل، فغلب المسلمون على جسده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه ، فخلى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسدة عشرة آلاف درهم، فيما بلغنى عن الزهرى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل : عمـــرو بن عبد ود ، قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهرى أنه قال : قتل على بن أبى طالب يومئذ عمرو ابن عبد ود وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

الشهداء يوم بنى قريظة : قال ابن إسحاق : واستشـهد يوم بنى قريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحـارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبـة بن عمرو ، طرحت عليه رحى ، فشدختة شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو بنى اسد بن خزيمة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام

ولمـا انصرف أهل الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولـكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة دومة الجنـــدل

قال أبو عبيد البكرى : سميت دومة الجندل بدومى بن إسماعيل ، كان نزلها .

غزوة الخنـــدق

وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولـكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منوشهر بن أيرج بن أفريدون وقد قيل فى افريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أثفيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمى ، وإلى رأس ستين من ملـكة بعث موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الـكمائن فى الحروب ، وأن أول من فعلها بختنصر فى قول الطبرى .

وذكر تحزيب بنى قريظة الأحزاب ، ونسب طائفة من بنى النضيرى فقال فيهم النضرى ، وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه : النضيرى إلا أن يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس ، وإنمـا يقال : فعلى فى النسب إلى فعيلة .

عيينة بن حصن: وذكر قائد غطفـان يوم الأحزاب ، وهو عيينة بن حصن ، واسمه حذيفة ، وسمى : عيينـة لشتر كان بعينه ، وهو الذى قال فيه عليه السلام الأحمق المطاع ، لأنه كان من الجرارين تتبعه عشرة آلاف قناة ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره ، وفى رواية أخرى : أنه قال : إنى أداريه ، لأنى أخشى أن يفسد على خلقاً كثيراً ، وفى هذا بيان معنى الشر الذى اتقى منه ، وكان دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن ، فلما قال له : أين الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضرى قبلك ، وقال : ما هذه

. . . .

الحميراء معك يامحمد ؟ فقال : هى عائشة بنت أبى بكر . فقال طلقها ، وأنزل لك عن أم البنين ، فى أمور كثيرة تذكر من جفائه ، أسلم ، ثم ارتد ، وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيراً ، فأتى به أبو بكر رضى الله عنه أسيراً ، فمن عليه ، ولم يزل مظهراً للإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات . قال الشاعر :

وإنى على ماكان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب

وذكر حفره الخندق ، وأنه عرضت له صخرة ، ووقع فى غير السيرة عبلة وهى الصخرة الصماء ، وجمعها عبلات ويقال لها العبلاء والأعبلى أيضاً ، وهى صخرة بيضاء .

البرقات التى طلعت من الصخرة : وذكر أنه لمعت له من تلك الصخرة برقة بعد برقة ، وخرجه النسوى من من طريق البراء بن عازب بأتم مما وقع فى السيرة ،قال : لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أن نحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول ، فأخذ المعول وقال : بسم الله ،فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة ، وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا ، قال: ثم ضرب أخرى ، وقال : بسم الله ، وكسر ثلثاً آخر ، قال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الحجر ، وقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر باب صنعاء من مكانى هذا الساعة وقوله : فأساً ولامسحاة : مفعله من سحوت الطين ، إذا قشرته ، ويقال لحد الفاس والمسحاة : الغراب ، ولنصليهما : الفعال بكسر الفا . ، قاله أبو عبيد فى حديث سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى أنه عليه السلام حين ضرب فى الخندق قال :

بسم الله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * حبذا رباً وحبذا دينا

زغابة : وقوله : حتى نزلوا بين الجرف وزغابة زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة ،وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة بضم الزاى والعين المهملة ، وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لاتعرف قال المؤلف : والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند أنه عليه السلام ، قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث ، وقال : ذنب نقم ونقمى معا .

معنى يفتل فى الذروة والغارب : وذكر حيى بن أخطب ، وما قال لكعب ، وأنه لم يزل يفتل فى الذروة والغارب . هذا مثل ، وأصله فى البعير ، يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ، وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة ، وكذلك جاء فى حديث ابن الزبير حين أراد عائشة على الخروج إلى البصرة ، فأبت عليه ، فجعل يفتل فى الذروة والغارب حتى أجابته . وقال الحطيئة :

لعمرك ماقراد بنى بغيض اذا نزع القراد بمستطاع

يريد : أنهم لايخدعون ولايستذلون .

الحنوا لى لحنا : وذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحنوا لى لحناً أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس .

. . . .

اللحن : العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ، كما أن اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف .

قال السيرافى : ماعرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذى هو ضده ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصد إلى الصواب ، وأما اللحن بفتح الحاء ، فأصله من هذا إلا أنه إذا لحن لك لتفهم عنه ، ففهمت سمى ذلك الفهم لحناً ، ثم قيل لكل من فهم قد لحن بكسر الحاء ، وأصله ماذكرناه من الفهم عن اللاحن قال الجاحظ فى قول مالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحناً

أراد أن اللحن الذى هو الخطأ قد يستملح ، ويستطاب من الجارية الحديثة السن ، وخطىء الجاحظ فى هذا التأويل ، وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته : هند بنت أسماء بن خارجة ، حين لحنت ، فأنكر عليها اللحن فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج : لم يرد أخوك هذا ، إنما أراد اللحن الذى هو التورية والألغاز ، فسكتت ، فلما حدث الجاحظ بهذا الحديث ، قال : لو كان بلغنى هذا قبل أن أؤلف كتاب البيان ماقلت ، فقيل له : أفلا تغيره ؟ فقال : كيف وقد سارت به البغال الشهب وأنجد فى البلاد وغار .

وكما قال الجاحظ فى معنى تلحن أحياناً قال ابن قتيبة مثلا أو قريباً منه .

وقوله : يفت فى أعضاد الناس ، أى يكسر من قوتهم ويوهنهم ، وضرب العضد مثلا ، والفت : الكسر ، وقال: فى أعضادهم ولم يقل : يفت أعضادهم ، لأنه كناية عن الرعب الداخل فى القلب ، ولم يرد كسراً حقيقيا ، ولا العضد الذى هو العضو ، وإنما هو عبارة عما يدخل فى القلب من الوهن ، وهو من أفصح الكلام .

وذكر أوس بن قيظى ، وهو القائل : « إن بيوتنا عورة » ، وابنه عرابة بن أوس كان سيداً ، ولا صحبة له ، وقد قيل له صحبة ، وقد ذكرناه فيمن استصغر يوم أحد ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ولعرابة أخ اسمه : كباثة مذكور فى الصحابة أيضا .

الهم بمصالحة الأحزاب وما فيها من الفقه : فصل : وذكر ماهم به النبى صلى الله عليه وسلم من مصالحة الأحزاب على ثلث تمر المدينة ، وفيه من الفقه جواز إعطاء المال للعدو ، إذا كان فيه نظر للمسلمين وحياطة لهم ، وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وأنه أمر معمول به وذكر أن معاوية صالح ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه إليه ، قيل : كان مائة ألف دينار ، وأخذ من الروم رهنا فغدرت الروم ، ونقضت الصلح ، فلم ير معاوية قتل الرهائن ، وأطلقهم ، وقال : وفاء بغدر خير من غدر بغدر ، قال : وهو مذهب الأوزاعى وأهل الشام ألا تقتل الرهائن ، وإن غدر العدو .

سلمان منا أهل البيت : وذكر قوله عليه السلام: سلمان منا أهل البيت بالنصب على الاختصاص ، أو على إضمار

أعنى ، وأما الخفض على البدل ، فلم يره سيبويه جائزاً من ضمير المتكلم ، ولا من ضمير المخاطب ، لأنه فى غاية البيان ، وأجازه الأخفش

مبارزة عمرو بن أد لعلى : فصل : وذكر خبر عمرو بن أد العامرى ، ومبارزته لعلى إلى آخر القصة ، ووقع فى مغازى ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى فيها زيادة حسنة ، رأيت أن أوردها هنا تتميما للخبر .

قال ابن إسحاق : إن عمرو بن أد خرج فنادى : هل من مبارز ؟ فقام على - رضى الله عنه - وهو مقنع بالحديد ، فقال : أنا له يا نبى الله ، فقال : إنه عمرو اجلس ، ونادى عمرو ألا رجل يؤنبهم ، ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تبرزون لى رجلا . فقام على ، فقال : أنا يارسول الله ، فقال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بححت من الندا ء بجمعكم هل من مبارز ؟
ووقفت إذ جبن المشـــ ـجع موقف القرن المناجز
وكذاك إنى لم أزل متسرعا قبـــل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقام على ، فقال يارسول الله ، أنا له فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً : فأذن له النبى - صلى الله عليه وسلم - فمشى إليه على ، حتى أتاه وهو يقول :

لاتعجلن فقـــد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيـــة وبصـــيرة والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجـــو أن أقـــ ـيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـــ ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ فقال : أنا ابن أبى طالب ، فقال : غيرك يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك ، فإنى أكره أن أهريق دمك فقال له على رضى الله عنه : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضبا ، وذكر أنه كان على فرسه ، فقال له على : كيف أقاتلك ، وأنت على فرسك ، ولكن انزل معى ، فنزل عن فرسه ، ثم أقبل نحو على ، واستقبله على - رضى الله عنه - بدرقته ، فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ، وضربه على على حبل العاتق ، فسقط ، وثار العجاج ، وسمع النبى صلى الله عليه وسلم التكبير ، فعرف أن عليا - رضى الله عنه - قد قتله ، فثم يقول على رضى الله عنه :

أعلى تقتحم الفوارس هكذا عنى وعنه أخروا أصحابى
فاليوم تمنعنى الفرار حفيظتى ومصمم فى الرأس ليس بنابى
أدى عمير حين أخلص صقله صافى الحديدة يستفيض ثوابى
فغدوت ألتمس القراع بمرهف عضب مع البتراء فى أقراب
قال ابن عبد حين شد ألية وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يفر ولا يهلل فالتقى رجلان يلتقيان كل ضراب

وبعده : نصر الحجارة إلى آخر الأبيات ، إلا أنه روى : عبد الحجارة ، وعبدت رب محمد ، وروى فى موضع ولقد بححت : ولقد عجبت ، ويروى فالتقى أسدان يضطربان كل ضراب ، وفيه إنصاف من على ـ رضى الله عنه ـ لقوله : أسدان ، ونسبه إلى الشجاعة والنجدة وقوله : أدى عمير إلى قوله ثوابى ، أى أدى إلى ثوابى ، وأحسن جزائى حين أخاص صفاقة ، ثم أقبل نحو النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو متهلل ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : هلا سلبته درعه ، فإنه ليس فى العرب درع خير منها ، فقال : إنى حين ضربته استقبلنى بسوأته ، فا ستحييت ابن عمى أن أستلبه ، وخرجت خيلهم منهزمه حتى اقتحمت الخندق هاربة ، فمن هنا لم يأخذ على سلبه ، وقيل تنزه عن أخذها ، وقيل : إنهم كانوا فى الجاهلية إذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه .

وقول عمرو لعلى : والله ما أحب أن أقتلك زاد فيه غيره : فإن أباك لى صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب ينادم مسافر بن أبى عمرو ، فلما هلك اتخذ عمرو بن ود نديماً ، فلذلك قال لعلى حين بارزه ما قال .

الفرعل : وقول حسان فى عكرمة : كأن قفاك قفا فرعل الفرعل : ولد الضبع وذكر قول سعد :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل

هو بيت تمثل به ، عنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب بن جناب الكلبى . وقوله يرقد بالحربة أى يسرع بها ، يقال : ارقد وارمد بمعنى واحد . قال ذو الرمة :

يرقد فى أثر عراض وتتبعه صهباء شامية عثنونها حصب

يعنى الريح .

ابن العرقة وأم سعد : وابن العرقة الذى رمى سعداً هو حبان بن قيس بن العرقة ، والعرقة هى قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة ، سميت العرقة لطيب ريحها ، وهى جدة خديجة أم أمها هالة ، وحبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى .

وأم سعد اسمها : كبشة بنت رافع .

حديث اهتزاز العرش : وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، : فقال يامحمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ماوطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه السلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد وفى كتاب الدلائل أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه ، فقال ، سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره ضمة ، ثم فرج عنه ، وأما ضغطة القبر التى ذكر فى الحديث . فقد روى عن عائشة ـ رضى الله عنها أنها قالت : يارسول الله ، ما انتفعت بشىء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر ، وضمته فقال : ياعائشة ، إن ضغطة القبر على المؤمن أو قال ضمة القبر على المؤمن كضمة الأم الشفيقة يديها على رأس ابنها ، يشكو إليها الصداع ، وصوت منكر ونكير كالكحل فى العين ، ولكن ياعائشة ويل للشاكين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغط البيض على الصخر : ذكره أبو سعيد ابن الأعرابى فى كتاب المعجم .

وذكر ابن إسحاق فى رواية الشيبانى عنه ، قال : حدثنى أمية بن عبد الله ، قال : قلت لبعض أهل سعد بن معاذ :

ما بلغكم فى هذا ، يعنى الضمة التى انضمها القبر عليه ؟ قال : كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير .

لم يكن حسان جباناً : فصل : وذكر حديث حسان حين جعل فى الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صفية فى أمر اليهودى حين قتلته ، وما قال لها ؛ ويحمل هـــذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جباناً شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، وقال : لوصح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له

حديث الصورين ودحية : فصل : وذكر خروج النبى صلى الله علية وسلم إلى بنى قريظه حين مر بالصورين والصور القطعة من النخل فسألهم ، فقالوا مر بنا دحية بن خليفة الكلبى . هو : دحية بفتح الدال ، ويقال : دحية بكسر الدال أيضاً ، ودحية بلسان اليمن الرئيس ، وجمعه دحاء ، وفى مقطوع الأحاديث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية ، تحت يد كل دحية سبعون ألف ملك ، ذكره القتبى ، ورواه ابن سنجر فى تفسيره مسنداً إلى عبد الله بن الهذيل ، ورواه عنه أبو التياح ، وذكر أن حماد بن سلمة قال لأبى التياح حين حدثه بهذا الحديث ما الدحية ؟ قال : الرئيس ، وأما نسب دحية فهو ابن خليفه ابن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج ، والخزرج العظيم البطن ابن زيد مناة ابن عامر بن بكر ابن عامر الأكبر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رقيدة بن ثور بن كلب يذكر من جماله أنه كان إذا قدم المدينة لم تبق معصر ، وهى المراهقه للحيض إلا خرجت تنظر إليه .

لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة : وذكر قوله عليه السلام : لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة ، فغربت عليهم الشمس قبلها ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنفهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا من الفقة أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحد من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : «ففهمناها ، سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً » ، ولا يستحيل أن يكون الشىء صواباً فى حق إنسان وخطأ فى حق غيره ، فيكون من اجتهد فى مسألة فأداه اجتهاده إلا التحليل مصيباً فى استحلاله ، وآخر اجتهد فأداه ، اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً فى تحريمها وإنما المحال أن يحكم فى النازلة بحكمين متضادين فى حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتى بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ ، وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن فى حق زيد والقبح فى حق عمرو ، كما يستحيل ذلك فى الألوان ، والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر فى النازلة على من

. . . .

من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب فى اجتهاده مصيب للحكم الذى تعبد به ، وإن تعبد غيره فى تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ، فلا يعد فى ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق .

قصة أبى لبابة . فصل : وذكر أبا لبابة واسمه رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل: اسمه مبشر وتوبته وربطه نسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن على بن الحسين أن فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته ، فقال : قد أقسمت ألا يحلنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فاطمة مضغة منى، فصلى الله عليه ، وعلى فاطمة ، فهذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر، وأن من صلى عليها ، فقد صلى على أبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه: أنزل الله تعالى : «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا» ، غير ان المفسرين اختلفوا فى ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ما ذكره فى السيرة من إشارته على بنى قريظة ، وقال آخرون :كان من المخلفين: الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه فى هذه الآية .

الفرق بين لعل وعسى وليت : فإن قيل : ليس فى الآية نص على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى: «عسى الله أن يتوب عليهم» .

فالجواب : أن عسى من الله واجبة وخبر صدق . فإن قيل : وهو سؤال يجب الاعتناء به: إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى فى كلام العرب بخبر ، ولا تقتضى وجوبا ، فكيف تكون عسى واجبة فى القرآن ، وليس بخارج عن كلام العرب ؟ .

وأيضا : فإن لعل تعطى معنى الترجى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال : «لعلهم يشكرون» فلم يشكروا ، وقال «لعله يتذكر أو يخشى» فلم يتذكر ولم يخش ، فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟ .

قلنا : لعل تعطى الترجى، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق، وعسى مثلها فى الترجى ، وتزيد عليها بالمقاربة ، ولذلك قال : «عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً» ، ومعناه الترجى مع الخبر بالقرب ، كأنه قال قرب أن يبعثك، فالترجى مصروف إلى العبد ، كما فى لعل ، والخبر عن القرب والمقاربة مصروف إلى الله تعالى ، وخبره حق ووعده حتم ، فما تضمنه من الخبر فهو الواجب دون الترجى الذى هو محال على الله تعالى ، ومصروف إلى العبد وليس فى لعل من تضمن الخبر مثل ما فى عسى ، فمن ثم كانت عسى واجبة إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل.

فإن قيل : فهل يجوز فى ليت ما كان فى لعل من ورودها فى كلام البارى سبحانه، على أن يكون التمنى مصروفا إلى العبد ، كما كان الترجى فى لعل كذلك ؟

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جاز ذلك فى لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها فعل ، وبعدها فعل ، الاول سبب للثانى نحو قوله : «يعظكم لعلكم تذكرون» ، فقال بعض الناس : لعل هاهنا بمعنى كى ، أى كى تذكروه وأنا أقول : لم يذوب منها معنى الترجى ، لأن الموعظة ، مما يرجى أن تكون سدأ للتذكر ، فعلى هذه الصوره وردت فى القرآن ، ونحو قوله أيضا : «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك» هى هاهنا توقع وتخوف ، أى : ما أصابك من التكذيب مما يتخوف ويتوقع منه ضيق الصدر ، فهذا هو الجائز لعل ، وأما أن

ترد فى القرآن داخلة على الابتداء والخبر مثل أن تقول مبتدئا : لعل زيداً يؤمن ، فهذا غير جائز ، لأن الرب سبحانه لايترجى ، وإن صرف الترجى إلى حق المخلوق ، وموضوعها فى كلام العرب أن يكون المتكلم بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التى قدمنا من كونها بمعنى : كى ، ووقوعها بين السبب والمسبب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال فى ليت أنها لا تكون فى كلام البارى سبحانه ، لأن التمنى محال عليه والترجى والتوقع والتخوف كذلك ، حتى تزيلها عن الموضع الذى يكون معناها فيه للمتكلم بها .

أسماء السماء : فصل وذكر حكم سعد فى بنى قريظة ، وقول النبى عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ، هكذا فى السيرة : أرقعة ، وفى الصحيح : من فوق سبع سماوات ، والمعنى واحد ، لأن الرقيع من أسماء السماء ، لأنها رقعت بالنجوم ، ومن أسمائها : الجرباء وبرقع ، وفى غير رواية البكائى أنه عليه السلام قال فى حكم سعد : بذلك : طرقنى الملك سحراً .

وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ إذا تكلمت بالفوق مخبراً عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال : بحكم الله من فوق سبع سماوات ، ولم يقل فوق على الظرف ، فدل على أن الحكم نازل من فوق ، وهو حكم الله تعالى ، وهذا نحو من قوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم » أى يخافون عقاباً ينزل من فوقهم ، وهو عقاب ربهم .

فإن قيل : أو ليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سبع سماوات ؟ قلنا : ليس فى هذه الآية ، ولا فى هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليل آخر ، وكذلك قول زينب : زوجنى الله من نبيه من فوق سبع سماوات ، وإنما معناه ، أن تزويجه إياها نزل من فوق سبع سماوات ولا يبعد فى الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله ، لا على المعنى الذى يسبق للوهم من التحديد ، ولكن لا يتلقى إطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وصفاً له لا وصفاً للبارى سبحانه ، وقد أملينا فى حديث الأمة التى قال لها : أين الله ؟ قالت : فى السماء مسألة بديعة نافعة شافية رافعة لكل لبس ، والحمد لله .

كيسة بنت الحارث : فصل : وذكر حبس بنى قريظة فى دار بنت الحدث ، كذا وقع فى هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارث ، واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وكيسة أخرى مذكورة فى النساء ، وهى بنت عبد الحميد بن عامر بن كريز ، وكيسة بنت أبى بكرة روت عن أبيها عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى ، ويقول : فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم : وأما كيسة بسكون الياء ، فهى بنت أبى كثير تروى عن أمها عن عائشة فى الخمر : لا طيب الله من تطيب بها ، ولا شفى من استشفى بها ، ذكره البخارى فى الأشربة فى بعض روايات الكتاب ، ووقع اسمها فى السيرة من غير رواية ابن هشام : زينب بنت الحارث النجارية ، فالله أعلم . وأما كيسة بنت الحارث ، فهى التى أنزل فى دارها وفد بنى حنيفة ، وسيأتى ذكرها .

رفيدة : وذكر رفيدة ، وهى امرأة من أسلم الذى كان سعد يمرض فى خيمتها لم يذكرها أبو عمر ، وزادها أبو على الغسانى فى كتاب أبى عمر ، حدثنى بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه ، وحدثنى عنه أيضاً عن أبى عمر أنه قال لأبى على : أمانة الله فى عنقك ، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة ، لم يذكره إلا ألحقته فى كتابى الذى فى الصحابة .

أسماء ذكرت فى غزوة الخندق : فصل : وذكر فى غزوة الخندق ثعلبة بن سعية ، وأسد بن سعية وأسيد بن سعية وهم من بنى هدل ، وقد تكلمنا فى الجزء الثانى من هذا الكتاب على سعية وشعنة بالنون ، وذكرنا الاختلاف

. . . .

فى أسيد وأسيد ، وذكرنا خبراً عجيباً لزيد بن سعية بالياء ، ومن قال من النسابين هدل بسكون الدال فى بنى هدل ، فأغنى ذلك عن إعادته

المرتدة المقتولة : وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قريظة ، ففيها دليل لمن قال بقتل المرتدة من النساء ، أخذاً بعموم قوله عليه السلام : من بدل دينه ، فاضربوا عنقه ، وفى هذا الحديث مع العموم قوة أخرى ، وهو تعليق الحكم بالعلة ، وهو التبديل والردة ، ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق بأن لا تقتل المرأة لنهيه عليه السلام عن قتل النساء والولدان ، وللاحتجاج للفريقين ، وما نزل به كل واحد منهم موطن غير هذا .

الزبير بن باطا : فصل : وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا ، وهو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

وذكر فيه قول الزبير :

فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح

وقال ابن هشام : إنما هو قبلة دلو بالقاف والباء ، وقابل الدلو هو الذى يأخذها من المستقى .

وذكر أبو عبيد الحديث فى الأقوال على غير ما قالاه جميعاً ، فقال : قال : الزبير يا ثابت ألحقنى بهم ، فلست صابراً عنهم إفراغة دلو .

الانبات أصل فى معرفة البلوغ : وذكر حديث عطيه القرظى ، وهو جد محمد بن كعب القرظى ، وذكر أنه لم يكن أنبت فترك ، ففى هذا أن الإنبات أصل فى معرفة البلوغ إذا جهل الاحتلام ، ولم تعرف سنوه .

حلة حيى بن أخطب : وذكر حيى بن أخطب حين قدم إلى القتل ، وعليه حلة فقاحية ، الحلة : إزار ورداء ، وأصل تسميتها بهذا إذ كان الثوبان جديدين ، كما حل طيهما ، فقيل له : حلة لهذا ، ثم استمر عليه الاسم ، قاله الخطابى .

وقوله : فقاحية نسبت إلى الفقاح ، وهو الزهر إذا انشقت أكمته ، وانضرجت براعيمه ، وتفتقت أخفيته ، فيقال له حينئذ فقح وهو فقاح ، والقنابع أيضاً فى معنى البراعيم ، واحدها : قنبعة ، وأما الفقاع بالعين فهو الفطر ، ويقال له أيضاً : آذان الكماة من كتاب النبات .

ويروى أيضا : حلة شقحية وهو سنح البسر إذا تلون ، قاله الخطابى :

ولكنه من يخذل الله يخذل

بنصب الهاء من اسم الله ، ويصحح هذه الرواية أن الخبر قول النبى صلى الله عليه وسلم : ألم يمكن الله منك ؟ فقال : بلى ، ولقد قلقلت كل مقلقل ، ولكن من يخذلك يخذل ، فقوله : يخذلك كقول الآخر فى البيت :

ولكنه من يخذل الله يخذل

لأنه إنما نظم فى البيت كلام حيى .

سلمى بنت أيوب : وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى صعصعة ، وألفيت فى حاشية الشيخ ، قال : وقع فى تاريخ البخارى أن أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هى : سلمى بنت أيوب

. . . .

ابن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم

سلمى بنت قيس : وقوله عن سلمى بنت قيس ، هى سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عمرو بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

تفسير بعض الآيات القرآنية : وقوله تعالى : « وبلغت القلوب الحناجر » والقلب لا ينتقل من موضعه ، ولو انتقل إلى الحنجرة لمات صاحبه ، والله سبحانه لا يقول إلا الحق ، ففى هذا دليل على أن التكلم بالمجاز على جهة المبالغة ، فهو حق إذا فهم المخاطب عنك ، وهذا كقوله تعالى : « يريد أن ينقض فأقامه » أى مثله كمثل من يريد أن يفعل الفعل ، ويهم به ، فهو من مجاز التشبيه ، وكذلك هؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخلع قلبه من موضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ، تقديره : بلغ وجيف القلوب الحناجر وأما قوله: «إذ القلوب لدى الحناجر » فلا معنى لحمله على المجاز ، لأنه فى صفة هول القيامة ، والأمر ميه أشد مما تقدم ، لاسيما وقد قال فى أخرى : « لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » ، أى قد فارق القلب الفؤاد ، وبقى فارغاً هواء ، وفى هذا دليل على أن القلب غير الفؤاد ، كأن الفؤاد هو غلاف القلب ، ويؤيده قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل اليمن : ألين قلوباً وأرق أفئدة مع قوله تعالى : « فويل للقاسية قلوبهم » ولم يقل للقاسية أفئدتهم ، والقسوة ضد اللين ، فتأمله :

وقوله تعالى: « قد يعلم الله المعوقين منكم » أى المخذلين لإخوانهم : فيعوقونهم بالتخذيل عن الطاعة ، لقولهم: هلم إلينا ، تقول : عاقنى الأمر عن كذا ، وعوقنى فلان عن كذا ، أى صرفنى عنه .

وذكر الصياصى وأنها الحصون ، واستشهد بقول سحيم يصف سيلا :

وأصبحت الثيران صرعى، وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصى : قرون الثيران المذكورة فيه لا ماتوهم ابن هشام أنها الحصون والآطام ، يقول : لما أهلك هذا السيل الثيران وغرقها أصبحت نساء تميم يبتـــدرن أخذ قرونها ، لينسجن بها البجد ، وهى الأكسية ، قال هذا يعقوب عن الأصمعى ، ويصحح هذا أنه لا حصون فى بادية الأعراب ، قال المؤلف : ويصحح هذا التفسير أيضاً رواية أحمد بن داود له، فإنه أنشده فى كتاب النبات له، فقال فيه يلتقطن الصياصيا ولم يقل : يبتدرن ، وأنشد :

فذعرنا سحم الصياصى بأيديـ ـهن نضح من الكحيل وقار

الكحيل : القطران ، والقار : الزفت ، شبه السواد الذى فى أيديهن بنضح من ذلك الكحيل والقار ، يصف بقر وحش ، وأنشد لدريد بن الصمة :

كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

وحمله الأصمعى على ما تقدم فى البيت قبل هذا من أنها القرون التى ينسج بها ، لا أنها شوك كما قال ابن هشام .

حديث اهتزاز العرش: وذكر اهتزاز العرش ، وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم: الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق وتجوز عليه الحركة ، والهزة ، ولا يعدل عن ظاهر

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظه

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر ، فى يوم الخندق :

ومشفقة تظن بنا الظنونا ... وقد قدنا عرندسة طحونا
كأن زهاءها أحد إذا ما ... بدت أركانه للناظرينا
ترى الأبدان فيها مسبغات ... على الأبطال واليلب الحصينا
وجرداً كالقداح مسومات ... نؤم بها الغواة الخاطئينا
كأنهم إذا صالوا وصلنا ... بباب الخندقين مصافحونا
أناس لا نرى فيهم رشيداً ... وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهراً كريتاً ... وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم ... عليهم فى السلاح مدججينا
بأيدينا صوارم مرهفات ... نقد بها المفارق والشئونا
كأن وميضهن معريات ... إذا لاحت بأيدى مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل ... ترى فيها العقائق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه ... لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا ... به من خوفنا متعوذينا
فإن نرحل فإنا قد تركنا ... لدى أبياتكم سعداً رهينا
إذا جن الظلام سمعت نوحى ... على سعد يرجعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب ... كما زرناكم متوازرينا
بجمع من كنانة غير عزل ... كأسد الغاب قد حمت العرينا

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، فقال :

وسائلة تسائل ما لقينا ... ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا ... على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبى وزير صدق ... به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا ... وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا ... بضرب يعجل المتسرعينا

اللفظ ، ما وجد إليه سبيل، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : أنه سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابه جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى ، وأسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى . والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم .

ترانا في فضافض سابغات ... كغدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف ... بها نشفي مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أسداً ... شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا ... على الأعداء شوساً معلمينا
لننصر أحمداً والله حتى ... نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا ... وأحزاب أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك ... وأن الله مولى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعداً سفاهاً ... فإن الله خير القادرينا
سيدخله جناناً طيبات ... تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً ... بغيظكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً ... وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم ... فكنتم تحتها متكمهينا

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي ، في يوم الخندق :

حي الديار محا معارف رسمها ... طول البلى وتراوح الأحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها ... إلا الكنيف ومعقد الأطناب
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها ... في نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة ... ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم ... ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب ... في ذي غياطل جحفل جبجاب
يدع الحزون مناهجاً معلومة ... في كل نشز ظاهر وشعاب
فيها الجياد شوازب مجنوبة ... قب البطون لواحق الأقراب
من كل سلهبة وأجرد سلهب ... كالسيد بادر غفلة الرقاب
جيش عيينة قاصد بلوائه ... فيه وصخر قائد الأحزاب
قرمان كالبدرين أصبح فيهما ... غيث الفقير ومعقل الهراب
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا ... للموت كل مجرب قضاب
شهراً وعشراً قاهرين محمداً ... وصحابه في الحرب خير صحاب
نادوا برحلتهم صبيحة قلتم ... كدنا نكون بها مع الخياب
لولا الخنادق غادروا من جمعهم ... قتلى لطير سغب وذئاب

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب ... متكلم لمحاور بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه ... وهبوب كل مطلة مرباب

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم … بيض الوجوه ثواقب الأحساب

فدع الديار وذكر كل خريدة … بيضاء آنسة الحديث كعاب

واشك الهموم إلى الإله وما ترى … من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليه وألبوا … أهل القرى وبوادى الأعراب

جيش عيينة وابن حرب فيهم … متخمطون بحلبة الأحزاب

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا … قتلى الرسول ومغنم الأسلاب

وعدوا علينا قادرين بأيدهم … ردوا بغيظهم على الأعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم … وجنود ربك سيد الأرباب

فكفى الإله المؤمنين قتالهم … وأثابهم فى الأجر خير ثواب

من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم … تنزيل نصر مليكنا الوهاب

وأقر عين محمد وصحابه … وأذل كل مكذب مرتاب

عاتى الفؤاد موقع ذى ريبة … فى الكفر ليس بطاهر الأثواب

علق الشقاء بقلبه ، ففؤاده … فى الكفر آخر هذا الأحقاب

وأجابه كعب بن مالك أيضاً ، فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية … من خير نحلة ربنا الوهاب

بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا … حم الجذوع غزيرة الأحلاب

كاللوب يبذل جمها وحفيلها … للجار وابن العم والمنتاب

ونزائعا مثل السراح نمى بها … علف الشعير وجزة المقضاب

عرى الشوى منها وأردف نحضها … جرد المتون وسائر الآراب

قوداً تراح إلى الصياح إذ غدت … فعل الضراء تراح للكلاب

وتحوط سائمة الديار وتارة … تردى العدا وتئوب بالأسلاب

حوش الوحوش مطارة عند الوغى … عبس اللقاء مبينة الإنجاب

علفت على دعة فصارت بدنا … دخس البضيع خفيفة الأقصاب

يغدون بالزغف المضاعف شكه … وبمترصات فى الثقاف صياب

وصوارم نزع الصياقل غلبها … وبكل أروع ماجد الأنساب

يصل اليمين بمارن متقارب … وكلت وقيعته إلى خباب

وأغر أزرق فى القناة كأنه … فى طخية الظلماء ضوء شهاب

وكتيبة ينفى القران قتيرها … وترد حد قواحذ النشاب

جأوى ململة كأن رماحها … فى كل مجمعة ضريمة غاب

يأوى إلى ظل اللواء كأنه … فى صعدة الخطى فىء عقاب

اعيت أبا كرب وأعيت تبعا … وأبت بسالتها على الأعراب

ومواعظ من ربنا نهدى بها ... بلسان أزهر طيب الأثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها ... من بعد ما عرضت على الأحزاب
حكما يراها المجرمون بزعمهم ... حرجاً ويفهمها ذوو الألباب
جاءت سخينة كى تغالب ربها ... فليغلبن مغالب الغلاب

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به، قال: حدثنى عبد الملك بن يحى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، لما قال كعب ابن مالك:

جاءت سخينة كى تغالب ربها ... فليغلبن مغالب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق:

من سره ضرب يمعمع بعضه ... بعضاً كمعمعة الأباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندق
دربوا بضرب المعلمين وأسلموا ... مهجات أنفسهم لرب المشرق
فى عصبة نصر الإله نبيه ... بهم وكان بعبده ذا مرفق
فى كل سابغة تخط فضولها ... كالنهى هبت ريحه المترقرق
بيضاء محكمة كأن قتيرها ... حدق الجنادب ذات شك موثق
جدلاء يحفزها نجاد مهند ... صافى الحديدة صارم ذى رونق
تلكم مع التقوى تكون لباسنا ... يوم الهياج وكل ساعة مصدق
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
فترى الجماجم ضاحيا هاماتها ... بله الأكف كأنها لم تخلق
نلقى العدو بفخمة ملمومة ... تنفى الجموع كقصد رأس المشرق
ونعد للأعداء كل مقلص ... ورد ومحجول القوائم أبلق
تردى بفرسان كأن كماتهم ... عند الهياج أسود طل ملثق
صدق يعاطون الكماة حتوفهم ... تحت العماية بالوشيج المزهق
أمر الإله بربطها لعدوه ... فى الحرب إن الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحيطا ... للدار إن دلفت خيول النزاق
ويعيننا الله العزيز بقوة ... منه وصدق الصبر ساعة نلتقى
ونطيع أمر نبينا ونجيبه ... وإذا دعا لكريهة لم نسبق
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها ... ومتى نر الحومات فيها نعنق
من يتبع قول النبى فإنه ... فينا مطاع الأمر حق مصدق
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ... ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
إن الذين يكذبون محمدا ... كفروا وضلوا عن سبيل المتقى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته :

من يتبع قول النبي

أبو زيد . وأنشدنى :

تنفى الجموع كرأس قدس المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا ... علينا وراموا ديننا ما نوادع
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت ... وخندف لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونا فى مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا ... ولله فوق الصانعين صنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

ألا أبلغ قريشاً أن سلعاً ... وما بين العريض إلى الصماد
نواضح فى الحروب مدربات ... وخوص ثقبت من عهد عاد
رواكد يزخر المرار فيها ... فليست بالجمام ولا الثماد
كأن الغلب والبردى فيها ... أجش إذا تبقع للحصاد
ولم نجعل تجارتنا اشتراء الحمـ ... ـير لأرض دوس أو مراد
بلاد لم تثر إلا لكيما ... نجالد إن نشطتم للجلاد
أثرنا سكة الأنباط فيها ... فلم تر مثلها جلهات واد
قصرنا كل ذى حضر وطول ... على الغايات مقتدر جواد
أجيبونا إلى ما نجتديكم ... من القول المبين والسداد
وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... لكم منا إلى شطر المذاد
نصبحكم بكل أخى حروب ... وكل مطهم سلس القياد
وكل طمرة خفق حشاها ... تدف دفيف صفراء الجراد
وكل مقلص الآراب نهد ... تميم الخلق من أخر وهادى
خيول لا تضاع إذا أضيعت ... خيول الناس فى السنة الجماد
ينازعن الأعنة مصغيات ... إذ نادى إلى الفزع المنادى

إذا قالت لنا النذر استعدوا | توكلنا على رب العباد
وقلنا لن يفرج مالقينا | سوى ضرب القوانس والجهاد
فلم تر عصبة فيمن لقينا | من الأقوام من قار وبادى
أشـد بسالة منا إذا ما | أردناه وألين فى الوداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها | جيادا الجدل فى الأرب الشداد
قذفنا فى السوابغ كل صقر | كريم غير معتلث الزناد
أشم كأنه أسـد عبوس | غداة بدابيطن الجزع غادى
يغشى هامة البطل المذكى | صبى السيف مسترخى النجاد
لنظهر دينـك اللهم إنا | بكفك فاهدنا سبل الرشاد

قال ابن هشام بيته :

قصرنا كل ذى حضر وطول

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشم كأنه أسـد عبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح يبكى عمرو بن عبدود ، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه :

عمرو بن عبد كان أول فارس | جزع المذاد وكان فارس يليل
سمح الخلائق ماجد ذو مرة | يبغى القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمتم حين ولوا عنكم | أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم | يبغى مقاتلة وليس بمؤتلى
ولقد تكنفت الأسنة فارساً | بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل النزال على فارس غالب | بجنوب سلع ، ليته لم ينزل
فاذهب على فما ظفرت بمثله | فخراً ولا لاقيت مثل المعضل
نفسى الفداء لفارس من غالب | لاقى حمام الموت لم يتحلحل
أغنى الذى جزع المذاد بمهره | طلبا لثأر معاشر لم يخذل

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا عنه وتركوه :

عمرو بن عبد والجياد يقودها | خيل تقاد له وخيل تنعل
أجلت فوارسه وغادر رهطه | ركنا عظيما كان فيها أول
عجباً وإن أعجب لقد أبصرته | مهما تسوم على عمراً ينزل
لا تبعدن فقد أصبت بقتله | ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبراً | عند القتال مخافة أن يقتلوا

وضرار كأن البأس منه محضراً ولى كما ولى اللئيم الأعزل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له . وقوله :«عمراً ينزل »عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبكى عمراً ، ويذكر قتل على إياه :

لعمرى ما وليت ظهرى محمداً وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولـكننى قلبت أمرى فلم أجد لسيفى غناء إن ضربت ولا نبلى
وقفت فلما لم أجد لى مقدماً صددت كضرغام هزبر أبى شبل
ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد مكرا وقدماً كان ذلك من فعلى
فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالـكاً وحق لحسن المدح مثلك من مثلى
ولا تبعدن ياعمرو حيا وهالـكاً فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل
فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا وللفخر يوماً عند قرقرة البزل
هنالك لو كان ابن عبد لزارها وفرجها حقا فتى غير ما وغل
فعنك على لا أرى مثل موقف وقفت على نجد المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك فخراً بمثـله أمنت به ما عشت من زلة النعل

قال هبيرة بن أبي وهب يبكى عمرو بن عبدود ، ويذكر قتل على إياه :

لقد علمت عليا لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
لفارسها عمرو إذا ما يسومه على وإن الليث لابد طالب
عشية يدعوه على وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسى إن عمراً تركته بيثرب لازالت هناك المصائب

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبدود :

بقيتـكم عمرو أبحناه بالقنا بيثرب نحمى والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهنـد ونحن ولاة الحرب حين نصول
ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت معاشركم فى الهالـكين تجول

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا فى شأن عمرو بن عبدود :

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغى بجنوب يثرب ثأره لم ينظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة ضربوك ضربا غير ضرب الحسر
اصبحت لاتدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أبا هـدم رسولا ... مغلغلة تخب بها المطى
أكنت وليكم فى كل كره ... وغيرى فى الرخاء هو الولى
ومنكم شاهد ولقد رآنى ... رفعت له كما احتمل الصبى

وقال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلى ، ويروى فيها آخرها :

كببت الخزرجى على يديه ... وكان شفاء نفسى الخزرجى

وتروى أيضاً لأبى أسامة الجشمى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم :

لقد سجمت من دمع عينى عبرة ... وحق لعينى أن تفيض على سعد
قتيل ثوى فى معرك فجعت به ... عيون ذوارى الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة ... مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا ... وأمسيت فى غبراء مظلمة اللحد
فأنت الذى يا سعد أبت بمشهد ... كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك فى حى قريظة بالذى ... قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم ... ولم تعف إذ ذكرت ماكان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الألى ... شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا ... إلى الله يوما للوجاهة والقصد

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكى سعد بن معاذ ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير :

ألا يا لقومى هل لما حم دافع ... وهل مامضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت ... بنات الحشى وانهل منى المدامع
صبابة وجد ذكرتنى أحبة ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا فى الجنان وأوحشت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ... ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم ... مطيع له فى كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى تولوا جماعة ... ولا يقطع الآجال إلا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك ياخير العباد بلاؤنا ... إجابتنا لله والموت ناقع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ... لأولنا فى ملة الله تابع

ونعلم أن الملك لله وحده ... وأن قضاء الله لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ما سآها ... وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه ... سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة أتاهم يهوى إليهم ... رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى ... بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشىء ... دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم ... كذاك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً ... من الرحمن إن قبلت نذيرى

وقال حسان بن ثابت فى بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ماسآها ... وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح ... بأن إلهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى ... فلاهم فى بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منا صفوف ... له من حر وقعتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قريظة :

تفاقد معشر نصروا قريشاً ... وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمى من التوراة بور
كفرتم بالقران وقد أتيتم ... بتصديق الذى قال النذير
فهان على سراة بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق فى طرائقها السعير
ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أى أرضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركاباً ... لقالوا لامقام لكم فسيروا

وأجابه جبل بن جوال الثعلبى أيضاً ، وبكى النضير وقريظة ، فقال :

ألا ياسعد سعد بنى معاذ ... لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك إن سعد بنى معاذ ... غداة تحملوا لهو الصبور
فأما الخزرجى أبو حباب ... فقال ليقينقاع لاتسيرا
وبدلت الموالى من حضير ... أسيداً والدوائر قد تدور
وأقفرت البويرة من سلام ... وسعية وابن أخطب فهى بور
وقد كانوا ببلدتهم ثقالا ... كما ثقلت بميطان الصخور

فإن يهلك أبو حكم سلام فلا رث السلاح ولا دثور
وكل الكاهنين وكان فيهم مع اللين الخضارمة الصقور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه بمجد لاتغيبه البدور
أقيموا يامراة الأوس فيها كأنكم من المخزاة عور
تركتم قدركم لاشىء فيها وقدر القوم حامية تفور

مقتل سلام بن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبى الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ، فإذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبدالله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار : والأوس ، والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لاتصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج: والله لاتذهبون بها فضلا علينا أبداً ، قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، وخزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ،أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله قال : وكان فى علية له إليها عجلة قال : فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفاً أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوهت بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطنى قطنى : أى حسبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلا سىء البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئا شديداً ـ ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام ـ وحملناه نأتى به منهراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال :

فأوقدوا النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم ،فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى . يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسى وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشراف ، وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله در عصابة لاقيتهم	يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأسد فى عرين مغرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم	فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : قوله : « ذفف » عن غير ابن إسحاق

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى ، عن حبيب بن أبى أوس الثقفى ، قال : حدثنى عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيى ، ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون والله إنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكراً ، وإنى قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : : رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر على قومنا كنا عند النجاشى ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من نكون تحت يدى محمد ؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأى ، قلت:فاجمعوا لنا مانهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال :فقلت لأصحابى :هذاعمرو بن أمية الضمرى ، لو قد دخلت على النجاشى ، وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قدأجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قال ؟ قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ،فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ماسألتكه ، قال:

أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال : قالت : أيها الملك : أكذاك هو ؟ قال : ويحك ياعمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ؛ قال : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته : على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال ، والله لقد استقام الميسم ، ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم، فحتى متى ، قال : والله ما جئت إلا لأسلم قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يارسول الله . إني أبايع على أن يغفر لي ماتقدم من ذنبي ، ولاأذكر ماتأخر قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ، ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يحت ما كان قبله ، وإن الهجرة تحت ما كان قبلها .

إسلام ابن طلحة : قال إسحقاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، حين أسلما قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبعرى السهمي :

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا ... وملقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الآباء من كل حلفه ... وما خالد من مثلها بمحالل
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغي ... وما يبتغى من مجد بيت مؤثل
فلا تأمنن خالداً بعد هـــذه ... وعثمان جاء بالدهيم المعضل

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون .

غزوة بني لحيان

« بسم الله الرحمن الرحيم » قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهري ربيع وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة . إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص، ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ، فأغذ السير سريعاً ، حتى نزل على غران ، وهي منازل بني لحيان ، وغران وادبين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له: ساية ، فوجدهم قدحذروا وتمنعوا في رءوس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرتهم ماأراد قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون . أعوذ بالله من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

والحديث فى غزوة بنى لحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبدالله بن كعب بن مالك فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان .

لو أن بنى لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً فى دارهم ذات مصدق
لقوا سرعاناً يملأ السرب روعه أمام طحون كالمجرة فيلق
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت شعاب حجاز غير ذى متنفق

فصل فى اشعار يوم الخندق

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب : على الأبطال واليلب الحصينا

اليلب : الترسة ، وقيل : الدرق ، وقيل : بيضات ودروع كانت تتخذ من جلود الإبل ، ويشهد لهذا قول حبيب :

هذه الأسنة والماذى قد كثرا فلا الصياصى لها قدر ولا اليلب

أى لا حاجة بعد وجود الدروع الماذية إلى اليلب ، وبعد الأسنة إلى الصياصى ، وهى القرون ، وكانت أسنتهم منها فى الجاهلية قال الشاعر :

يهزهز صعدة جرداء فيها نقيع السم أو قرن محيق

وذكر فى شعر كعب : فكنتم تحتها متكمهينا

متفعلين من الكمه وهو العمى ، والأظهر فى الأكمة أنه الذى يولد أعمى ، وقد قيل فيه : إنه الذى لا يبصر بالليل شيئاً ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير .

وفيه قوله : وجنود ربك سيد الأرباب

فيه شاهد لمن زعم أن السيد من أسماء الله ، وقد كره أكثر العلماء أن يقال فى الدعاء : يا سيدى ، وأجاز بعضهم ، واحتج بحديث ليس إسناده بالقوى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال له رجل : ياسيد ، فقال : السيد الله .

وأما مذهب القاضى فى مثل هذا من الأسماء التى يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز ما لم يرد نهى عنه ، أو تجمع الأمة على ترك الدعاء به ، كما أجمعوا ألا يسمى بفقيه ، ولا عاقل ولا سخى ، وإن كان فى ذلك مدح .

قال المؤلف : والذى أقول فى السيد : إنه اسم يعتبر بالاضافة ، لأنه فى أصل الوضع بعض ما أضيف إليه تقول : فلان سيد قيس ، إذا كان واحداً منهم ، ولا يقال : فى قيس هو سيد تميم ، لأنه ليس واحداً منهم ، فكذلك لا يقال فى الله تعالى هو سيد الناس ، ولا سيد الملائكة ، وإنما يقال : ربهم فإذا قلت : سيد الأرباب وسيد الكرماء ، جاز، لأن معناه أكرم الكرماء، وأعظم الأرباب، ثم يشتق له من اسم الرب فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد، لأنه ليس باسم له على الاطلاق، وقد جاء فى شعر حسان الذى رثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

ياذا الجلال وذا العلا والسودد

يصف الرب، ولكن لا تقوم الحجة فى إطلاق هذه الأسماء إلا أن يسمعها الرسول عليه السلام فلا ينكرها ، كما سمع شعر كعب، فلم ينكره ، وإنما وصف على الوجه الذى قدمناه ، وعلى المعنى الذى بيناه .

. . . .

وقول كعب :

بيضاء مشرفة الذرى ومعـــاطنا

يعنى : الآطام ، وقوله : معاطنا يعنى : منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل ، وهى مباركها عند الماء .

وقوله : حم الجذوع ، وصفها بالحة ، وهى السواد ، لأنها تضرب إلى السواد ، من الخضرة والنعمة ، وشبه ما يجتنى منها بالحلب ، فقال : غريزة الاحلاب .

وقوله : كاللوب ، : جمع لوبة ، واللاب جمع لابة وهى الحرة ، يقال ما بين لابتيها مثل فلان ، ولا يقال ذلك فى كل بلد ، فقد قال شبيب بن شيبة لرجل نسبه إلى التصحيف فى حديث السقط إنه يظل محبنطئا على باب الجنة ، فقال له شبيب : بالظاء منقوطة ، فقال الرجل : أخطأت ، إنما هو بالطاء . قال الراجز :

إنى إذا استنشدت لاأحبنطى ولا أحب كـــثره التمطى

فقال له شبيب : أفلحننى ومابين لابتيها أفصح منى ، فقال له الرجل : وهذه لحنة أخرى ، أو للبصرة لابتان؟! إنما اللابتان للمدينة والكوفة .

وقوله : يبذل جما وحفيلها ، أى : الكثير منها ، والمنتاب الزائر مفتعل من ناب ينوب إذا ألم .

وقوله : ونزائعاً مثل السراج ، يعنى : الخيل العربية ، التى نزعت من الأعداء .

قوله : مثل السراج بالجيم ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها كالسراج ، ووقع فى الحاشية بالحاء ، وفسره فقال : جمع سرحان ، وهو الذئب ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهى الألف والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سراحين

وقوله : وجزة المقضاب المقضاب : مزرعة ، وجزتها ما يجز منها للخيل .

وقوله عرى الهوى منها ، يعنى القوائم . والنحض : اللحم والآراب : المفاصل واحدها إرب ، وفى الحديث أمرت أن أسجد على سبعة آراب .

وقوله : قوداً ، أى طوال الأعناق ، والضراء : الكلاب الضارية ، وفى الحديث: إن قيساً ضراء الله فى الأرض ، أى أسده الضارية . والكلاب : جمع كالب . وهو صاحب الكلاب ، الذى يصيد بها .

وقوله : عبس اللقاء : جمع عبوس .

وقوله : دخس البضيع . البضع : اللحم المستطيل ، والدخيس من اللحم : الكثير .

وقوله : خفيفة الأقصاب ، يعنى : جمع قصب وهو المعى .

ومنه سمى الجزار قصاباً ، وقوله يعدون بالزغف ، أى : بالدرع .

وقوله : شكة : حلقه ونسجه ، وقوله :

وبمترصـــات فى الثقاف صياب

المترصات . المحكمة ، يعنى الرماح المثقفة .

وقوله : تزع الصياقل علبها ، أى : جسأتها وخشونة درئها . يقال علب اللحم إذا لم يكن رخصاً ، وعلب النبات إذا جسأ .

وقوله : بمارن متقارب . المارن : اللين ، ووقيعته : صقله ، وخباب : اسم صيقل .

. . . .

وقوله : وأغر أزرق ، يعني الرمح ، وطخية الظلماء ، أي : شدتها ، وطخاء القلب : ظلمته ، ومنه قوله عليه السلام في السفرجل : إنه يذهب بطخاء القلب .

وقول كعب :

جاءت سخينة كي تغالب ربها

كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجزها ، فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : إن العرب كانوا إذا اسنتوا أكلوا العلهز ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتة فنفست عليهم ذلك فلقبوهم : سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم ، ولتركه أدباً مع النبي عليه السلام ، إذ كان قرشياً ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازني في قريش :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فقال : مازاده هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعيير لهم بشيء .

وفي شعر كعب أيضاً : من مره ضرب يمعمع بعضه المعمعة : صوت النار فيما عظم وكثف من الشعراء والقصباء ونحوها ، والكلحبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه ، والقطقطة : صوت الغليان ، وكذلك الغرغرة والجعجعة صوت الرحى ، والدردبة صوت الطبل .

وقوله : الأباء ، وهو القصب واحدتها أباءة ، والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء ، قاله ابن جني ، لأنه عنده من الآباية ، كأن القصب يأبى على من أراده بمضغ أو نحوه ، ويشهد لما قاله ابن جني قول الشاعر :

يراه الناس أخضر من بعيد وتمنعـــه المرارة والإباء

وقوله : فليأت مأسدة ، وهي الأرض الكثيرة الأسد ، وكذلك المسبعة الأرض الكثيرة السباع ، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أسد كما قالوا مشيخة ومعلجة ، حكى سيبويه مشيخة ومشيوخاء ، ومعلجة ومعلوجاء ، وألفيت أيضاً في النبات مسلوماء لجماعة السلم ومشيوحاء للشيح بالحاء ، المهملة ، الكثير .

وقوله تسن سيوفها ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضي أبي الوليد ، ووقع في الأصل عند أبي بحر : تسن سيوفها بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى : تسن أي : تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أي : تسن للأبطال ، ولمن بعدها من الرجال سنة الجرأة والإقدام .

وقوله في وصف الدرع :

جدلاء يحفزها نجاد مهند

جدلاء من الجدل ، وهو قوة الفتل ، ومنه الأجدل للصقر ، هذا البيت دليل على قوة امتناع الصرف في أجدل وأنه من باب أفعل الذي مؤنثه فعلاء ، ومن صرفه شبهه بأرنب وأفكل ، وهو أضعف الوجهين ، وإن كانوا قد قالوا في جمعه : أجادل مثل أرانب فقد قالوا أيضاً الأجارع والأباطح في جمع اجرع وأبطح ، ولكنهم لايصرفونهما من حيث قالوا في المؤنث بطحاء وجرعاء ، وكذلك القول في أبرق وبرقاء .

. . . .

وقوله : يحفزها نجاد مهند ، كقول ابن الأسلت فى وصف الدرع :

أحفزها عنى بذى رونق أبيض مثل الملح قطاع

وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها حفزوها ، أى شمروها فربطوها بنجاد السيف .

وقوله : تلكم مع التقوى تكون لباسنا

من أجود الكلام ، وأملح الالتفاتات ، لأنه قول انتزعه من قول الله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » ، وقال الشاعر :

إنى كأنى أرى من لا وفاء به ولا أمانة وسط القوم عريانا

وموضع الإجادة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباس الدرع تبعاً للباس التقوى ، لأن حرف مع تعطى فى الكلام أن ما بعده هو المتبوع ، وليس بتابع ، وقد احتج الصديق على الأنصار يوم السقيفة بأن قال لهم أنتم الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين » ، والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : « للفقراء المهاجرين » إلى قوله . « أولئك هم الصادقون » .

حكم بله وما بعدها : وقوله بله الأكف ، بخفض الأكف هو الوجه ، وقد روى بالنصب ، لأنه مفعول ، أى : دع الأكف ، فهذا تقول : رويد زيد ، ورويد زيد بلا تنوين مع النصب ، وبله كلمة بمعنى دع ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهى عندى من لفظ البله والتباله ، وهو من الغفلة ، لأن من غفل عن الشىء تركه ، ولم يسأل عنه ، وكذلك قوله : بله الأكف ، أى لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماجم ضاحية مقطعة ، وفى الحديث : يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، بله ما أطلعتهم عليه .

وقوله : بفخمة ملمومة ، أى : كتيبة مجموعة ، وقوله : كفصد رأس المشرق ، الصحيح فيه : ما رواه ابن هشام عن أبى زيد : كرأس قدس المشرق ، لأن قدس جبل معروف من ناحية المشرق .

وقوله :

عند الهياج أسود طل ملثق

الطل معروف ، والملثق ما يكون عن الطل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين .

وقوله فى العينية :

أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت

واحد الأضاميم : إضمامة ، وهو كل شىء مجتمع يقال : إضمامة من الناس وإضمامة من كتب .

قيس عيلان وقيس كبة : وقوله : من قيس بن عيلان ، هو المشهور عند أهل النسب ، وبعضهم يقول : إن قيساً هو عيلان لا ابنه ، قال : وعرف قيس بن عيلان بفرس ، كان له يسمى . عيلاناً ، كما عرف قيس كبة من بجيلة بفرس اسمه : كبة ، وكان هو وقيس عيلان متجاورين ، فكان إذا ذكر أحدهما وقيل أى القيسين هو ، قيل قيس عيلان أو قيس كبة ، وقيل : إن عيلان اسم كلب ، كان له ، وقيل : عيلان اسم جبل ولد عنده ، وقيل اسم غ لا

. . . .

لمضر كان حضنه ، وقيل كان جواداً أتلف ماله فأدركته عيلة فسمى عيلان ، وما يحتج به للقول الآخر قول رؤبة:

وقيس عيلان ومن تقيسا

وقوله فى الدالية : وما بين العريض إلى الصماد ، العريض : موضع ، والصماد : جمع صمد ، وهو ما غلظ من الأرض .

وقوله : نواضح فى الحروب ، يعنى : حدائق نخل تسقى بالنضح ، وأراد بالخوص آباراً ، وإنما جعل البئر خوصاً لأن العين الخوصاء هى الغائرة ، وجمعها خوص ، فعيون الماء فى الآبار كذلك غائرة :

وأنشد أبو عبيد فى وصف الإبل :

مخيسة بزلا كأن عيونها عيون الركايا أنكزتها المواتح

وقوله : يزخر المرار فيها ، المرار : اسم نهر .

وقوله :

كأن الغاب والبردى فيها أجش إذا تبقع للحصاد

يريد : صوت حفيف الريح ، كصوت الأجش ، وهو الأبح ، وقد يوصف النبات أيضاً بالغنة من أجل حفيف الريح فيه ، فيقال : روضة غناء ، وقد قيل إنما ذلك من أجل صوت الذباب الذى يكون فيه ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : تبقع للحصاد ، أى : صارت فيه بقع بيض من اليبس ، يقال للزرع إذا صار كذلك : ارقاط ، وإسحام واسحار ، وإذا أخذ السبل الحب قيل ألحم وأسفى من السفى ، وأشع من الشعاع بفتح الشين وكسرها ، وهو السفى ، ويقال أسبل الزرع من السبل ، كما يقال : بعير حظل وأحظل المكان من الحنظل ، وهى لغة أهل الحجاز ، وبنو تميم يقولون : سبل ، وأما همدان فيسمون السنبل سبولا ، والواحدة سبولة فقياس لغتهم أن يقال أسبل ، وإنما فخرت الأنصار فى هذا الشعر والذى قبله بنخلها وآطامها ، إشارة إلى عزها ومنعتها ، وأنها لم تغلب على بلادها على قديم الدهر ، كما أجليت أكثر الأعاريب عن محالها ، وأزعجها الخوف عن مواطنها ، وهذا المعنى أراد حسان فى قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليل على منعتهم ، وألا مغالب لهم على ماتخيروه من بقاع الأرض، وآثروه عند ارتيادهم .

وقوله : أبرنا سكة الأنباط فيها

السكة : النخل المصطف ، أى حرثناها وغرسناها ، كما تفعل الأنباط فى أمصارها لا تخاف عليها كيد كائد ، وإياها أراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : خير المال سكة مأبورة ، والسكة أيضاً : السنة ، وهى الحديدة التى يشق بها الفدان الأرض، ويقال لها أيضاً: المان ، وهو تفسير الأصمعى، وفسره أبو عبيد على المعنى الآخر ، وأنها النخل ، ويقال أيضاً أبيثت الأرض فى معنى أثيرت ، قاله أبو حنيفة ، ويروى فى الحماسة :

هلم إليها قد أبيثت زروعها

. . . .

أى أثيرث وفى الغريب المصنف :

وحق بنى سفارة أن يقولوا لصخر الغى ماذا تستبيث

وغلط أبو عبيد فجعل تستبيث من نبيثة البئر ، وهو ترابها ، ولو كان كذلك لقال تستنبيث بنون قبل الباء .

وقوله : جلهات واد .

الجلهات من الوادى ما كشفت عنه السيول الشعراء فأبرزته ، وهو من الجلة وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس .

وقوله : صفراء الجراد ، وهى الخيفانة منها ، وهى التى ألقت سرأها ،أى بيضها ،وهى أخف طيراناً ، والكتفان من الجراد أكبر من الخيفان ، وأول أمر الجراد دود ويقال : له الغمص يلقيه بحر اليمن ، وله علامة قبل خروجه ، وهو برق يلمع من ذلك البحر سبع عشرة مرة ، فيعلمون بخروج الجراد ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : غير معتلث الزناد :

الزناد المعتلث هو الذى لايدرى من أى عود هو ، وأصل الاعتلاث الاختلاط : يقال علثت الطعام إذا خلطت حنطة بشعير ، والعلاثة : الزند الذى لايورى ناراً .

مقتل ابن أبى الحقيق : ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه ، وسماهم ، وذكر فيهم ابن عقبة أسعد بن حرام ، ولا يعرف أحد ذكره غيره .

قطنى وقد ونون الوقاية : ذكر فى الحديث : : قطنى قطنى ، قال معناه : حسبى حسبى .

قال المؤلف : وهذه الكلمة أصلها من القط ، وهو القطع ، ثم خففت وأجريت مجرى الحرف ، وكذلك قد بمعنى قط هى أيضاً من القد ، وهو القطع طولا ، والقط بالطاء هو القطع عرضاً ، يقال : إن عليا ـ رحمه الله ـ كان إذا استعلى الفارس قده ، وإذا استعرضه قطه : ولما كان الشىء الكافى الذى لايحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قطع الطلب ، وترك المزيد جعلوا قد وقط تشعر بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت قدى وقطى ، كما تقول : حسبى ، وإن شئت ألحقت نوناً ، فقلت . قدنى ، وذلك من أجل سكون آخرها فكرهوا تحريكه من أجل الياء ، كما كرهوا تحريك آخر الفعل ، فقالوا ضربنى ، وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا ليتنى ، وقد يقولون ليتى وهو قليل ، وقالوا لعلنى ولعلى ، وقالوا من : لدنى فأدخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بمن وعن ، فعلوا هذا وقاية لأواخر هذه الكلم من الخفض وخصوا النون بهذا ، لأنها إذا كانت تنويناً فى آخر الاسم ،آذنت بامتناع الاضافة ، وكذلك فى هذه المواطن التى سمينا تشعر بامتناعها من الخفض، وتشعر فى الفعل والحروف بامتناعها من الاضافة أيضا، لأن الحرف لايضاف، كذلك الفعل مع أن النون من علامات الإضمار فى فعلنا ، وفعلنا فى ضمير المفعول ، فأما قد وقط فاسمان ، وكذلك لدن ، ولكن كرهوا تحريك أواخرها لشبهها بالحروف . فإن قيل : فما موضع نى من قوله قطنى ؟ قلنا: موضعها خفض بالاضافة ، كما هى فى لدنى. فإن قلت :كيف تكون ضمير المفعول والمنصوب فى ضربنى وليتنى ، ثم تقول إنها فى موضع خفض؟ قلنا :الضمير فى الحقيقة هى الياء وحدها فى الخفض والنصب، كما الكاف والهاء كذلك، وقد قالوا : منى وعنى ، وهو ضمير خفض، وفيه النون وقالوا ليتى ولعلى وهو ضمير نصب وليس فيه نون فإن قيل : فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت : قطى وقدى ؟ قلنا : عرابهما كإعراب حسبى مبتدأ وخبره محذوف ، وإنما لزم حذف خبره لما دخله من معنى الأمر ، ومن هذا الباب

. . . .

قول جهنم أعاذنا الله منها : قطي وعزتك قطي ، ويروى : قطني ، وذلك بعد قولها : هل من مزيد ، فإذا وضعت فيها القدم ، وزوى بعضها إلى بعض ، قالت : قطني . وقد جمع الشاعر بين اللغتين ، فقال :

قدني من نصر الخبيبين . قدي

فهذا ما فى قط التى هى بمعنى حسبي . فأما قط المبنية على الضم ، فهى ظرف لما مضى ، وهى تقال بالتخفيف والتثقيل ، وهى من القط أيضا الذى بمعنى القطع ، وفى مقابلتها فى المستقبل : عوض ما فعلته قط ، ولا أفعله عوض، مثل قبل وبعد .

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما : روينا من طريق أبى بكر الخطيب بإسناد يرفعه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يقدم عليكم الليلة رجل حكيم ، فقدم عمرو بن العاص مهاجراً ، ذكر فيه اجتماعه مع خالد فى الطريق وقول خالد له : والله قد استقام الميسم . من رواه الميسم بالياء ، فهى العلامة ، أى قد تبين الأمر واستقامت الدلالة ، ومن رواه المنسم بفتح الميم وبالنون ، فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة ، والمنسم مقدم خف البعير ، وكنى به عن الطريق للتوجه به فيه .

وذكر الزبير خبر عمرو هذا ، وزاد فيه : أن عثمان بن طلحه بن أبى طلحة صحبهما فى تلك الطريق ، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم . قال عمرو : وكنت أسن منهما ، فأردت أن أكيدهما ، فقدمتهما قبلى للبيعة ، فبايعا ، واشترطا أن يغفر من ذنبهما ما تقدم ، فأضمرت فى نفسى أن نبايع على أن يغفر الله من ذنبى ما تقدم وما تأخر ، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وأنسيت أن أقول وما تأخر .

الضمرى مع النجاشي : وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمرى على النجاشى بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية ، فإنه لما قدم عليه قال له : يا أصحمة إن على القول وعليك الاستماع أنك كأنك فى الرقة علينا منا ، وكأنا بالثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه ، ولم نخفك على شىء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد ، وقاض لا يجور ، وفى ذلك وقع الحز وإصابة المفصل ، وإلا فانت فى هذا النبى الأمى كاليهود فى عيسى ابن مريم ، وقد فرق النبى عليه السلام رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر ، فقال النجاشى : أشهد بالله أنه للنبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان له ليس بأشفى من الخبر عنه ، ولكن أعوانى من الحبش قليل فانظرنى حتى أكثر الأعوان وألين القلوب ، وسنذكر فيما بعد ـ إن شاء الله ـ ما قالته أرسال النبى صلى الله عليه وسلم ـ إلى الملوك ، وما ردت عليها .

رسله عليه السلام إلى الملوك : فإن دحية كان رسوله إلى قيصر ، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى وشجاع بن وهب إلى جبلة بن الايهم الغسانى ، وسليط بن عمرو إلى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة ، والعلاء ابن الحضرمى إلى المنذر ابن ساوى ملك البحرين والمهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد كلال ، وعمرو بن العاصى إلى الجلندى صاحب عمان ، وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ، وعمرو بن أمية إلى النجاشى كما تقدم ، ولكل واحد منهم كلام قاله ، وشعر نظمه سنذكره بعد إن شاء الله

السمهدية من الرماح : فصل : وما وقع فى أشعار السيرة من ذكر السمهرية من الرماح ، فمنسوبة إلى سمهر

. . . .

وكان صنعا فيما زعموا يصنع الرماح ، وكانت امرأته ردينة تبيعها ، فقيل للرماح : الردينية لذلك ، وأما الماسخى من القسى فمنسوبة إلى ماسخة ، واسمه نبيشة بن الحارث أحد بنى نصر بن الأزد ، وقال الجعدى :

بعيس تعطف أعناقهـــا كما عطف الماسخى القيانا

وقد تنسب القسى أيضا إلى زارة وهى امرأة ماسخة ، قال صخر الغى :

سمحة من قسى زارة حمـ راء هتوف عدادها غرد

من كتاب النبات للدينورى، واليزنية منسوبة إلى عبيدالطعان، وهو المعروف بيزن بن هاذى، والمانية منسوبة إلى ماذى بن يافث بن نوح ، قاله الطبرى ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الأرض .

غزوة بنى لحيان

ليس فيها ما يشكل ، وفيها من شعر حسان :

لقوا سرعانا يملأ السرب روعه

سرعان الناس : سباقهم ، والسرب : المال الراعى ، كأنه جمع سارب ، ويقال : هوآمن فى سربه إذا لم يذعر، ولا خاف على ماله من الغارة ، ومن قال فى سربه بكسر السين ، فهو مثل ، لأن السرب هو القطيع من الوحش والطير ، فمعنى : آمن فى سربه ، أى لم يذعر هو نفسه ولا ذعر أهله ، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة : معنى فى سربه أى : فى نفسه لم يرد أن النفس يقال لها : سرب وإنما أراد أنه لم يذعر هو ولا من معه ، لا كالآخر الذى تقدم ذكره ، وقيل فيه آمن فى سربه بفتح السين، فكأن الواحد آمن فى ماله، والآخر آمن فى نفسه، ويقال: فى سربه ، أى :فى طريقه أيضا .

وقوله : أمام طحون كالمجرة فيلق

يعنى : كتيبة ، جعلها كالمجرة للمعان السيوف والأسنة فيها كالنجوم حول المجرة ، لأن النجوم - وأكثر ما تكون - حولها ، وقد قيل : إن المجرة نفسها نجوم صغار متلاصقة ، فبياض المجرة من بياض تلك النجوم ، وقد روى فى حديث منقطع : إن المجرة التى فى السماء هى من لعاب حية تحت العرش، وفى حديث معاذ بن جبل أن النبى - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه إلى اليمن قال له : إنك ستقدم على قوم يسألونك عن المجرة ، فقل لهم : هى من عرق الأفعى التى تحت العرش ، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يعرج عليه ، ذكره العقيلى ، وعن على أنها شرج السماء الذى تنشق منه ، وأما قول المنجمين غير الإسلاميين فى معنى المجرة ، فذكرهم القاضى فى النقض الكبير نحواً من عشرة أقوال وأكثر ، منهـا ما يجوزه العقل ، ومنها ما هو شبه الهـذيان ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون قوله كالمجرة ، أى أثر هذه الكتيبة الطحون كأثر المجرة تقشر ما مرت عليه ، وتكنسه . والفيلق : فيعل من الفلق وهى الداهية ، وكأنها تفلق القلوب ، وهى الفلقة أيضا ، قال ابن أحمر :

قد طرقت ببكرها أم طبق فذبروه خبراً ضخم العنق

فقيل : وما ذاك؟ قال :

موت الإمام فلقة من الفلق

الفهـــارس

أولا : فهرست كتاب السيرة النبوية لابن هشام

الموجودة فوق الجدول

الجزء الثالث

الموضوع	صفحة
ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم	٣
معنى العاقب والسيد والأسقف	
إسلام كوز بن علقمة	
رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس	
صلاتهم إلى جهة المشرق	
أسماؤهم ومعتقدهم	٤
ما نزل فيهم من القرآن	
ما نزل من القرآن فيما اتبعه اليهود والنصارى	٥
ما نزل من القرآن فى وعظ المؤمنين	٦
ما نزل فى خلق عيسى وخبر مريم وزكريا	
كفالة جريج لمريم	
رفع عيسى عليه السلام	٧
إباؤهم الملاعنة	٨
أبو عبيدة يتولى أمرهم	
نبذ من ذكر المنافقين	
من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٠
دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة	
بدء قتال المشركين	١١
تاريخ الهجرة	١٧
غزوة ودان وهى أولى الغزوات	١٨
سرية عبيدة بن الحارث	
سرية حمزة إلى سيف البحر	٢٠
غزوة بواط	٢١
غزوة العشيرة	
سرية سعد بن أبى وقاص	٢٢

الموضوع	صفحة
غزوة سفوان	٢٢
سرية عبد الله بن جحش	
صرف القبلة إلى الكعبة	٢٥
غزوة بدر الكبرى	٢٩
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب	٣٠
قريش تتجهز للخروج	٣١
ما وقع بين قريش وكنانة من الحرب	
خروجه صلى الله عليه وسلم	٣٢
اللواء والرايتان	
إبل المسلمين إلى بدر	
الطريق إلى بدر	٣٣
استشارة الأنصار	
نجاة أبى سفيان بالعير	٢٥
قريش تنزل بالعدوة والمسلمون ببدر	٣٦
بناء العريش	
الحنظلية ونسبها	٣٧
مقتل الأسود	
دعاء عتبة إلى المبارزة	٣٨
التقاء الفريقين	
ضرب الرسول لابن غزية	
الرسول يناشد ربه النصر	
أول قتيل من المسلمين	٣٩
مقتل أمية بن خلف	٤٠
الملائكة تشهد وقعة بدر	٤١
مقتل أبى جهل	
حديث عكاشة بن محصن	٥٠

الموضوع	صفحة
طرح المشركين فى القليب	٥٠
شعر حسان فى ذلك	٥١
الفتية الذين نزل فيهم « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »	٥٢
فى بدر	
بشرى الفتح	
الرجوع إلى المدينة	٥٣
مقتل النضر وعقبة	
بلوغ مصاب قريش إلى مكة	٥٤
أمر عمرو بن أبى سفيان	٥٦
من أطلقوا بغير فداء	٦٠
ثمن الفداء	٦١
إسلام عمير بن وهب وتحريض صفوان له على قتل الرسول	٧٠
المطعمون من قريش	٧٢
أسماء خيل المسلمين يوم بدر	٧٣
نزول سورة الأنفال تصف أحداث بدر	
من حضر بدرا من المسلمين	٨٥
من استشهد من المسلمين يوم بدر	٩٨
من قتل ببدر من المشركين	١٠٢
أسرى قريش يوم بدر	١٠٦
ما قيل من الشعر يوم بدر	١٠٨
غزوة بنى سليم بالكدر	١٣٥
غزوة السويق	١٣٦
غزوة ذى أمر	
غزوة الفرع من بحران	١٣٧
أمر بنى قينقاع	
سرية زيد بن حارثة إلى القردة	١٣٨
مقتل كعب بن الأشرف	١٣٩
أمر محيصة وحويصة	١٤٦
غزوة أحـــد	١٤٧
اجتماع قريش للحرب	١٤٨
رؤيا الرسول عليه السلام ومشاورته القوم	
انخذال المنافقين	١٤٩
تفاؤل الرسول عليه السلام	
ما كان من مربع المنافق	١٥٠
الرسول يجيز من هم فى الخامسة عشرة	
أبو دجانة وشجاعته	
أبو عامر الفاسق	١٥١
أبو سفيان وهند يحرضان قريشا	
استشهاد مصعب	١٥٣
حنظلة غسيل الملائكة	١٥٤
شعر الأسود وأبى سفيان فى قتل حنظلة	
حسان والحارث يردان على أبى سفيان	١٥٥
الزبير يذكر سبب الهزيمة	
حسان يذكر شجاعة صؤاب	
شعر حسان فى شجاعة عمرة الحارثية	١٥٦
ماأصاب الرسول يوم أحد	
من شجاعة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام	١٥٧
مقتل أمية بن خلف	١٦٦
انتهاء الرسول إلى الشعب	١٦٧
ابن أبى وقاص يحرض على قتل عقبة	
عمر يصعد إلى قريش الجبل	
معاونة طلحة للرسول	
مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب	
مقتل قزمان منافقا	١٦٨
مقتل مخيريق	
الحارث بن سويد	
أمر أصيرم	١٦٩
عمرو بن الجموح	
هند وتمثيلها بحمزة	
أبو سفيان يشمت بالمسلمين	١٧٠
على يخرج فى آثار قريش	
سعد بن الربيع	١٧١
الرسول يحزن على حمزة	
دفن الشهداء	١٧٢
المرأة الدينارية	١٧٣

الموضوع	صفحة
غسل السيوف	١٧٣
غزوة حمراء الأسد	
تمحيص المؤمنين يوم أحد	١٧٥
ذكر ما أنزل الله يوم أحد	١٨١
مصير قتلى أحد	١٨٨
من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد	١٨٩
ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين	
ذكر من قتل من المشركين يوم أحد	١٩٢
ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد	١٩٨
ذكر يوم الرجيع	٢٢٤
مقتل خبيب وأصحابه	
ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن	٢٢٦
حديث بئر معونة	٢٣٠
أمر إجلاء بنى النضير	٢٤٠
ما نزل فى بنى النضير من القرآن	٢٤١
ما قيل فى بنى النضير من الشعر	٢٤٢
غزوة ذات الرقاع	٢٤٦
غزوة بدر الآخرة	٢٤٨
غزوة دومة الجندل	٢٥٨
غزوة الخندق	
خروج الأحزاب	٢٥٩
حفر الخندق	
ما نزل من القرآن فى حق العاملين بالخندق	
المسلمون يرتجزون فى العمل	٢٦
معجزات ظهرت فى حفر الخندق	
حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد	٢٦١
لم يكن معتب منافقاً	٢٦٢
محاولة الصلح مع غطفان	
سلمان يشير بحفر الخندق	٢٦٣
على يقتل عمر بن عبد ود	

الموضوع	صفحة
هجاء حسان لعكرمة	٢٦٢
استشهاد سعد بن معاذ	٢٦٤
حديث حسان فى وقعة الخندق	
خداع نعيم المشركين	٢٦٥
ما أنزل الله بالمشركين	
استخبار ما حل بالمشركين	٢٦٦
أبو سفيان ينادى بالرحيل	
الرجوع من الخندق	
غزوة بنى قريظة	٢٦٧
جبريل يأتى بغزو بنى قريظة	
على يبلغ الرسول ماسمعه من بنى قريظة	
جبريل فى صورة دحية الكلبى	
الحصـــار	
كعب بن أسد ينصح قومه	٢٦٨
قصة أبى لبابه	
إسلام بعض بنى هدل	٢٦٩
قصة عمر بن سعدى	
تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة	
قصة الزبير بن باطا	٢٧٠
عطية القرظى ورفاعة بن شموأل	
تقسيم الفىء	
إسلام ريحانة	
ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة	٢٧٢
إكرام سعد فى موته	٢٧٤
الشهداء يوم الخندق	٢٧٥
قتلى المشركين	
الشهداء يوم بنى قريظة	٢٧٦
ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة	٢٨٦
مقتل سلام بن أبى الحقيق	٢٩٥
إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٢٩٦
غزوة بنى لحيان	٢٩٧

ثانيا : فهرست الروض الأنف للسهيلى

الذى تحت الجـــدول

الموضوع	صفحة
ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم	١١
كن فيكون	
معنى آيات محكمات	
احتجاج القسيسين والأحبار للتثليث	١٢
احتجاجهم لألوهية عيسى والرد عليهم	١٣
رب إنى وضعتها أنثى	
المباهلة	١٤
ابن أبى	
الملك فى العرب	
مزاحم أطمة	١٥
وعك أبى بكر وبلال وعامر بن فهيرة	
تاريخ الهجرة وغزوة ودان	٢٥
شرح قصيدة أبى بكر وابن الزبعرى وأبى جهل	٢٦
بعض الأسماء الممنوعة من التنوين	
كراهية رواية أشعار الكفرة	٢٧
غزوة بواط	
غزوة العشيرة	
أشقى الناس	٢٨
موادعة بنى ضمرة	
سرية عبد الله بن جحش	
أولاد الحضرمى	٢٩
تحريم القتال فى الأشهر الحرم	
غزوة بدر	٤٣
التحسس والتجسس	
رؤيا عاتكة	
اللياط	
الجمرة والألوة	
شعر مكرز	٤٤
المواضع التى نزل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم	

الموضوع	صفحة
ذكر لبعض الأنساب	٤٤
تعوير القلب	٤٥
سواد بن غزية	٤٦
جهاد النبى فى المعركة	٤٧
المفاعلة ومعناها	
العصب والعصم	
حديث عمير بن الحمام	٤٨
حديث عوف بن عفراء	
معنى ضحك الرب	
لغويات	
نسب أبى داود المازنى	٤٩
لغويات	
الغلامان اللذان قتلا أبا جهل	
لغويات	
خبر عكاشة بن محصن	٦١
نداء أصحاب القليب	٦٢
شعر حسان	٦٣
معنى إلقائهم فى القليب ، وما فيه من الفقه	
عود إلى شعر حسان	
معنى قول ابن أبى بكر	٦٤
لغويات وأنساب	
سبب نزول أول الأنفال	٦٥
عقبة بن أبى معيط	
نسب بنى أمية	
أبو هند الحجام	٦٦
أسارى بدر	
خبر أبى رافع	
ضبيرة وابن الدخشم	٦٧
مكرز وشعره	

الموضوع	صفحة
أبو العاص بن الربيع وزينب بنت الرسول	٦٧
قتل بلال لأمية بن خلف	٦٩
إسلام عمير بن وهب	٧٨
هل تمثل إبليس فى غزوة بدر ؟	
ذكر ما أنزل الله فى بدر	٧٩
قتال الملائكة يوم بدر	٨١
فلا تولوهم الأدبار	
الذين فى قلوبهم مرض	٨٢
رأى أبى جهل فى النبى صلى الله عليه وسلم ورجوع الأخنس ببنى زهرة	
غنائم بدر	٨٣
خيل المسلمين ببدر	٨٤
من شهد بدرا	٩٩
قصة خوات بن جبير	١٠٠
نسب النعمان بن عصر	
أسماء وأنساب	
الذين استشهدوا فى بدر	١٠١
من قتل من المشركين فى بدر	١٢٤
من أسلم من أسرى المشركين	١٢٥
من لم يسلم من الأسارى	١٢٧
وفاة رقية	
أشعار يوم بدر	١٢٨
غزوة قرقرة الكدر	١٤٢
سلام بن مشكم	
خبر بنى قينقاع	١٤٣
سرية زيد	
لغويات	١٤٤
مقتل كعب بن الأشرف	١٤٥
مقتل محيصة اليهودى	١٥٨
غزوة أحد	
موافقة اسم جبل أحد للتوحيد	١٥٩
رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم	
الصبية الذين منعوا من الخروج يوم أحد	١٦٠
شعر هند بنت عتبة	١٦٠
أبو دجانة	١٦١
حديث وحشى	١٦٢
مقتل حنظلة غسيل الملائكة	١٦٣
شعر أبى سفيان	١٦٤
الصارخ بمقتل الرسول صلى الله عليه وسلم	١٦٥
من رموا النبى عليه السلام	
أسماء أجزاء الليل	
من مص دم الرسول عليه السلام	
قتل الرسول لأبى بن خلف	١٧٦
عين قتادة	
أنساب ولغة	
الرسول يسأل عن سعد بن الربيع	١٧٨
حميد الطويل	
حول الصلاة على الشهداء	
عبد الله بن جحش	١٧٩
عمر وأبو سفيان	
أول وقف فى الإسلام	١٨٠
غزوة حمراء الأسد	
قصيدة معبد الخزاعى	
أبو عزه الجمحى	
رسالة أبى سفيان	١٨١
قول عبد الله بن أبى	
تفسير ما نزل من القرآن فى أحد	١٩٢
نسب عبيد بن التيهان	١٩٧
أبو حبة أو أبو حنة	
عبد الله بن سلمة	
شرح ما وقع فى غزوة أحد من الأشعار	٢١٥
إقرار الجاهلية بالقدر	٢١٦
حذف حرف الجر	٢١٧
ترك التنوين للضرورة	٢٢١
مقتل خبيب وأصحابه	٢٣٣
صلاة ركعتين عند القتل	٢٣٥

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
ما أنزل الله فى حق خبيب وأصحابه	٢٣٥	حديث اهتزاز العرش	
لغويات	٢٣٧	لم يكن حسان جبانا	٢٨١
اشتقاق اسم خبيب وهذيل		حديث الصورين ودحية	
سالت بتسهيل الهمزة	٢٣٨	لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة	
خبر بئر معونة		قصة أبى لبابة	٢٨٢
ابن فهيرة	٢٣٩	الفرق بين لعل وعسى وليت	
أم البنين الأربعة		أسماء السماء	٢٨٣
غزوة بنى النضير وما نزل فيها	٢٥٠	كيسة بنت الحارث	
تأويل قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة »		رفيدة	
الكاهنان	٢٥١	أسماء ذكرت فى غزوة الخندق	
خروج بنى النضير إلى خيبر		المرتدة المقتولة	٢٨٤
غزوة ذات الرقاع	٢٥٣	الزبير بن باطا	
صلاة الخوف		الإنبات أصل فى معرفة البلوغ	
لغويات		حلة حيى بن أخطب	
وقعة الحرة	٢٥٦	سلمى بنت أيوب	
غزوة دومة الجندل	٢٧٦	سلمى بنت قيس	٢٨٥
غزوة الخندق		تفسير بعض الآيات القرآنية	
عيينة بن حصن		حديث اهتزاز العرش	
البرقات التى طلعت من الصخرة	٢٧٧	أشعار يوم الخندق	٢٩٨
زغابة		حكم بله وما بعدها	٣٠١
معنى يفتل فى الذروة والغارب		قيس عيلان وقيس كبة	
الحنوا لى لحنا		قطنى وقد ونون الوقاية	٣٠٣
الهم بمصالحة الأحزاب ومافيها من الفقه	٢٧٨	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٣٠٤
سلمان منا أهل البيت		الضمرى مع النجاشى	
مبارزة عمرو بن أد لعلى	٢٧٩	رسله عليه السلام الى الملوك	
الفرعل	٢٨٠	السمهدية من الرماح	
ابن العرقة وأم سعد		غزوة بنى لحيان	

تمت الفهرست

تم بعون الله الجزء الثالث ويليه إنشاء الله الجزء الرابع

أودع هذا المصنف

بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ٤٠٢٤١ لسنة ١٩٧٢